

تاريخ وسيرة ومناقب أمير المؤمنين :

الفاروق عمر بن الخطاب

ثاني الخلفاء الراشدين وأول حكام دولة بني أمية في الإسلام

حياته . مناقبه . خطبه

كلماته . خلافته . فتوح

الفرس والشام ومصر

تأليف

محمد رضا

بمكتبة الجامعة المصرية

ومؤلف كتابي محمد رسول الله - وأبو بكر الصديق

عليه فهارس بأسماء الرجال والقبائل والنساء

المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر

ص.ب ٥٠٥ مصر

فهرس

كتاب الفاروق عمر بن الخطاب

صفحة	صفحة
٣٧	إهداء الكتاب
— دعاؤه	١ المقدمة
— إن الشيطان ليخاف من عمر	٦ حياة عمر بن الخطاب رضى الله عنه
٣٨ فضل عمر	٨ نسبه ومولده
٣٩ ستره العورات ودفاعه عن الشرف	٩ أولاده وزوجاته
٤١ طواف عمر على الناس ليلا	— منزل عمر فى الجاهلية
٤٣ تدوين الدواوين	١٠ منزلته فى الجاهلية
٤٥ سبب التسمية بالديوان	— صفته رضى الله عنه . إسلامه
٤٦ الصدقات والنفى والغنيمة	١٨ ظهور الاسلام
٤٧ رأى أبى بكر فى توزيع العطاء	١٩ تسميته بالفاروق
٤٨ رأى عمر	— هجرته الى المدينة
— زينب زوج رسول الله توزع عطاياها	٢٣ زواج ابنته حفصة برسول الله
٤٩ ما فرضه عمر للبولود	— استخلاف عمر رضى الله عنه
٥٠ مقتله . عمال عمر على الأُمصار	٢٤ عفته
٥١ قضائه . وصية عمر لابنه عبد الله	٢٩ تسميته بأمر المؤمنين
٥٢ كرامات عمر رضى الله عنه	— طرف من أعماله
٥٣ تأييد عمر بن الخطاب	٣١ زيادته فى المسجد النبوى
٥٤ آراء المستشرقين فى عمر	٣٣ الزيادة فى المسجد الحرام
٥٥ بعض خطب عمر رضى الله عنه	٣٥ لينه وشدته
٦٤ حكم عمر وكلماته الأثرية	٣٦ عمر يرفض هدية لامرأته

صفحة	صفحة
التجنيد ١١٢	٧٢ خلافة عمر بن الخطاب - أول
١١٣ تآهب عمر للسير الى العراق بنفسه	أعماله إرسال الجيوش الى العراق
- رأى العامة	٧٤ موقعة النمارق
١١٤ رأى الخاصة	٧٥ موقعة الجسر - أسباب هزيمة
- اختيار سعد بن أبي وقاص	المسلمين
١١٥ وصية عمر لسعد بن أبي وقاص	٧٨ أليس الصغرى
١١٨ وفاة المثنى	٧٩ موقعة البويب - يوم الاغشار
١٢٠ وصية المثنى الى سعد بن أبي وقاص	٨٣ سوق الحنافس - وسوق بغداد
١٢١ ترتيب جيوش المسلمين	غزوة الانار الآخرة وغزوة
١٢٢ مراسلات عمر بن الخطاب	أليس الآخرة
وسعد بن أبي وقاص	٨٤ كلمة عن الشام - هوا الشام
١٢٥ ميدان القتال	حاصلات الشام - الاتهار
١٢٦ يزيد جرد يعجل بالقتال	والبحيرات
١٢٧ وفد المسلمين الى يزيد جرد يدعونه	٩٠ تاريخ العرب بالشام قبل الاسلام
الى الاسلام	٩١ غزو الشام - فتح دمشق
١٣٠ مسير جيش رستم	٩٥ حصار دمشق -
١٣١ سعد يمنع جيشه من القتال	٩٩ زوجة إبان تحارب مع المسلمين
١٢٣ جراءة طليحة	١٠١ هجوم الروم ليلا -
- رستم يحاول منع القتال	١٠٣ المفاوضات في الصلح
١٢٠ الفرس يعبرون النهر	١٠٤ دخول أبي عبيدة دمشق
- الاستعداد للحرب	١٠٧ غزوة فحل
١٤١ مرض سعد	١٠٨ كتاب أهل دمشق لأبي عبيدة
١٤٢ خطبة سعد	١١٠ تولية يزيد جرد عرش فارس
- خطبة عاصم بن عمرو	- موقعة القادسية

صفحة	صفحة
١٧٧ بناء البصرة	١٤٣ يوم أرماث ، أول يوم من
١٧٨ بناء الكوفة	موقعة القادسية
١٨٠ موقعة حمص	١٤٤ الفيلة
١٨٣ فتح الجزيرة	١٤٦ سلمى زوجة سعد توبخه
١٨٤ فتح أرمينية	١٤٧ يوم أغواث وهو اليوم الثاني
١٨٥ خروج عمر الى الشام	١٥٠ أبو محجن الثقفي يخرج من
١٨٧ موقعة قنسرين	حبسه ويقا تل
— فتح انطاكية	١٥٢ يوم عماس وهو اليوم الثالث
١٨٨ موقعة مرج الروم	١٥٤ فرار الفيلة
١٨٩ فتح قيسارية	١٥٥ ليلة الهرب أو ليلة القادسية
— فتح بيسان وموقعة اجنادين	القتال الى الصباح ، قتل رستم
١٩١ حيلة عمرو بن العاص	١٥٩ خسارة الحرب
١٩٢ خروج عمر بن الخطاب الى الشام	١٦٠ أهمية انتصار المسلمين
١٩٣ فتح بيت المقدس	١٦١ ما بعد القادسية من الحوادث
٢٠١ قدوم عمر الى الشام	فتح المدائن - يوم برس
٢٠٢ خطبة عمر في الجيش	١٦٢ يوم بابل
٢٠٣ تواضع عمر وتشفه	١٦٣ فتح المدائن
٢٠٤ خروج عمر الى البترق	١٦٥ إيوان كسرى
٢٠٥ دخول عمر بيت المقدس	١٦٦ غنائم المسلمين
٢٠٦ عهد أهل بيت المقدس	١٦٩ موقعة جلولا
٢١٠ فتح مدينة حلب	١٧١ فتح تكريت والموصل
٢١٣ فتح عزاز	١٧٣ فتح ماسبذان
٢١٤ فتح المعرة وغيرها	١٧٤ فتح قرقيسيا
٢١٥ عام الرمادة - الاستسقاء	١٧٦ التاريخ الهجرى

صفحة	صفحة
٢٧٩ غزو فارس من البحرين	٢١٨ طاعون عمواس
٢٨٣ فتح الأهواز وانهزام الهرمزان	٢٢٠ وفاة أنى عبيدة بن الجراح
٢٨٧ صلح الهرمزان	٢٢٤ وفاة معاذ بن جبل
٢٩٠ يزدجرد يعود الى قتال المسلمين	٢٢٧ وفاة يزيد بن أبي سفيان
٢٩٦ فتح السوس وموقعة نهاوند	٢٢٨ وفاة شرحبيل بن حسنة
٣٠٤ سعد بن أبي وقاص والساعون به	٢٢٩ خروج عمر الى الشام بعد
٣٠٦ فتح أصبهان	طاعون عمواس
٣٠٧ فتح آذربيجان	٢٣١ أسباب انتصار المسلمين
٣٠٨ فتح الري وغيرها	بالشام والعراق
٣١٠ فتح مدينة الباب	٢٣٥ فتح مصر
٣١٢ غزو الترك	٢٣٩ موقعة عين شمس
٣١٤ مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه	٢٤١ فتح حصن بابلين
٣١٦ ديونه	٢٤٤ مفاوضات الصلح
— استئذان عائشة فى دفنه بقبر	٢٥٣ رأى الأستاذ واشنجتون أيرفنج
رسول الله	فى فتح حصن بابلين ومناقشته
٣٠٧ الخلافة شورى	٢٥٦ عمرو بن العاص يصف مصر
— اختيار الخليفة	لأمير المؤمنين
٣٢٢ وصية عمر للناس	٢٥٧ شروط الصلح
٣٢٣ وصيته للخليفة من بعده	٢٥٩ المسير الى الاسكندرية وفتحها
٣٢٤ أبو لؤلؤة قاتل عمر	٢٦٨ إرسال معاوية بن خديج الى عمر
٢٢٥ عبيد الله بن عمر وقتله الهرمزان	ابن الخطاب بفتح الاسكندرية
٣٢٧ مؤامرة الهرمزان وجفينة	٢٧٠ فتح دمياط
على قتل عمر	٢٧٢ عروس النيل
٣٢٨ دفنه رضى الله عنه	٢٧٥ حريق مكتبة الاسكندرية

طبع بمعرفة
المطبعة العمومية التجارية بالازهر بمصر

و

للكتبة العمومية التجارية بميدان الجامع الأزهر بمصر

سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م

حقوق الطبع محفوظة

إهداء الكتاب

الى جلالة مولانا الملك المعظم

(فاروق الأول)



مليك النيل يا خير الرجاء ويا من عهده عهد الجلاء
تفضل سيدي واقبل كتاباً عن الفاروق يني بالولاء

كان المؤلف قد تشرف بتقديم مؤلفه (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) الى المنفور له ساكن الجنان جلالة مولانا الملك المعظم فؤاد الأول فتلقى بيد الشكر والامتنان الكتاب الآتي :-

« حضرة محمد افندي رضا بمكتبة الجامعة المصرية

« رفعت إلى مقام حضرة صاحب الجلالة مولاي

« الملك المعظم مؤلفكم محمد رسول الله صلى الله عليه

« وسلم فنال حسن القبول

« فاتشرف بابلاغ حضرتكم ذلك مع شكر

« جلالته السامى

وتقبلوا وافر الاحترام

وكيل ديوان جلالة الملك

في ٢٨ شوال سنة ١٣٥٣ هـ

(مراد محسن)

٢ فبراير سنة ١٩٣٥ م

خطاب

سمو الأمير الجليل عمر طوسون

حضرة الأستاذ الفاضل محمد افندى رضا

أهديتم الينا مؤلفكم القيم « محمد » فنزل من تقسنا منزلة خاصة جعلتنا نتصفح كثيرا من موضوعاته . وقد حملنا تقديرنا له على أن نبعث اليكم بخطابنا هذا مثنين على هذا الجهد المفضى الذى بذلتموه فى هذا السبيل وأخرجتم لنا هذه الثمرة الجنية فى أشرف موضوع كتب فيه الكتاتيون ألا وهو سيرة نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد فانا نهنئكم باضطلاعكم بهذا العمل العظيم وإحراجه على أكل وجه وأحسنه . فان السيرة الشريفة كتب فيها ألوف من المؤلفين منذ بعثه عليه صلوات الله وسلامه الى الآن . وموضوع كهذا فرغ منه المؤلفون وأفرغوا فيه جهودهم ليس من الهبات الهينات الكتابة فيه من جديد فضلا عن الاحسان فيه كل الاحسان .

أما حاجة الناس جميعا الى هذا الكتاب فهي فى الحقيقة حاجة ملحة لا مفر منها ولا غنى عنها . فالسيرة النبوية فيها من مواطن الاهتداء ومثل الاحتذاء وأسباب القدوة الحسنة وبواعث الهداية الى السنة المتبعة ومظاهر الكمال الانسانى ما ليس فى غيرها من العظما وتراجم الزعماء . ولا غرو فهي سيرة « محمد » وكفى بهذا الاسم الكريم شرفاً ونبلا

والسلام عليكم ورحمة الله

(عمر طوسون)

خطاب

جلالة الامام يحيى ملك اليمن

« حضرة العالم المؤلف محمد افندى رضا بمكتبة الجامعة المصرية أحسن الله اليه في آخرته ودنياه ، وأجزل له المثوبة فيما خطته يداه . والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

« إنا نبارك لكم في هذا الكتاب لما وفقم اليه من التأليف . وأعملتم الفكر فيه من التهذيب والتصنيف . حيث أضفتم الى المؤلفات في السيرة النبوية فردا جليلا جمع بين دقة المفردى والتحرى . ونشكر لكم تلك التكرمة التى أوقفتنا على نسخة منه سرتنا رؤيتها . وجمت المحاسن بهجتها . فاقبلوا منا الشكران على الهدية ومن الله تعالى نستمد لكم ما تبغون من نواب العمل الصالح والأجر الراجح والسلام عليكم ما

في ١٨ شعبان سنة ١٣٥٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا بفضلِهِ وكرمه إلى نعمة الاسلام ، وأنعم علينا بالتصديق برسالة محمد عليه الصلاة والسلام . خاتم الأنبياء والمرسلين ، وخير خلفه أجمعين ، الداعي إلى الوحدةانية ، والناشر لواء الإخاء والانسانية ، الذي قضى على عقائد الشرك ومثالب الوثنية بقوة البرهان ، وقطع ألسنة المكابرين بالحجة وفصاحة اللسان ، وبيد جيوش المعاندين بقوة البأس والجنان ، فجمع الله له بذلك قوة العقل وصلابة القلب ، ووهب له نعمة البيان وقوة الإيمان وجعل الخلفاء بعده خير من حافظ على الدين وجمع شمل المسلمين

أما بعد : فإني وفاء بوعدى وقياماً بواجبي نحو ملتي وأمتي أقدم للقراء الكتاب الثالث وهو «عمر بن الخطاب» ثانی الخلفاء الراشدين بعد أن بدأت بسيرة محمد رسول الله وثبتت بأبي بكر الصديق هذه الكتب وإن كانت معدودة ضمن كتب السير أو التراجم لكنها مع ذلك تعتبر من كتب التاريخ الاسلامي لأن الاسلام بدأ بتاريخ رسول الله ولأني لم أقصر على تدوين السير بل تناولت

الأعمال التي تمت في عهد أربابها من حروب وفتوح ونظم وإصلاحات ومعتقدات وأحكام وقواد وحكام

تابع المسلمون أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله لأنه أفضل المهاجرين، وثاني اثنين إذ هما في الغار وخليفة رسول الله على الصلاة ولما حضرت أبا بكر الوفاة اختار لهم عمر بن الخطاب قائلاً :
« إذا لقيت الله ربي فسألتني قلت استخلفت على أهلك خير أهلك »

وقال : « أترضون بمن استخلف عليكم فاني والله ما ألوت من جهد الرأى ولا وليت ذا قرابة وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا . فقالوا : سمعنا وأطعنا »

لم يكن أبو بكر مغرضاً في اختيار عمر للخلافة بعده وحاشاه أن يكون مغرضاً فقد كان عارفاً بأقدار الرجال مقدرراً لهم واثقاً بأن عمر خير من يصلح للسليين بغض الطرف عن أى اعتبار آخر وقد كان عمر رضى الله عنه على اتفاسق تام مع أبي بكر في خلافته غير أنه كان لا يرى إنفاذ جيش أسامة أولاً لصغر سنه . ثانياً لأن المرتدين كانوا يهددون المدينة نخشى من زحفهم إذا خرج الجيش غازياً ثم اتضح له بعد ذلك أن أبا بكر كان مصيباً في بعث جيش أسامة كما كان يريد رسول الله فان العرب قالوا لولم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون وكان عمر رضى الله عنه يرى عزل خالد بن الوليد من القيادة

بسبب قتله مالك بن نويرة وزواجه بامرأته وخوفاً من افتتان المسلمين به لما أحرزه خالد من الانتصارات الباهرة التي جعلتهم ينقادون إليه . أما أبو بكر فكان شديد الإعجاب بخالد ولم يقبل كلام عمر فيه بل قال له « ارفع اسنانك عن خالد فاني لا أشيم (أعتمد) سيفاً سله الله على الكافرين » إلا أن عمر عاد فقال لما مات خالد « لقد ثلم في الاسلام ثلمة لا تترق ولقد ندمت على ما كان مني إليه »

ومن المسائل التي خالف فيها عمر رأى أبي بكر توزيع العطاء كما سيرد ذكره في كتابنا هذا فقد كان أبو بكر رضى الله عنه يرى التسوية في العطاء ولا يرى التفضيل بالسابقة في الدين فقال لأبي بكر : أتسوى بين من هاجر المهجرتين وصلى إلى القبلتين وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف ؟ فقال له أبو بكر إنما عملوا لله وإنما اجورهم على الله وإنما الدنيا دار الاغ الركب فقال له عمر : لا اجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه فلما وضع الديوان فضل بالسابقة

وقد أخذ عثمان بن عفان برأى أبي بكر بعده واخذ به ابو حنيفة وفقهاء العراق وهذا ما نراه لأن الاسلام يهدم ما قبله الا ترى ان رسول الله قال لخالد بن الوليد حين اسلم وسأله ان يدعو الله لخالد يغفر تلك المواطن التي شهدها عليه « الاسلام يُجِبُّ ما قبله » تلك اختلافات يحدث مثلها عادة بين المفكرين ، والمصلحين فكل له رايه وكل له اجتهاده.

لا شك ولا خلاف في أن عمر كان خير رجل يصلح للخلافة بعد أبي بكر وقد أدى إلى الإسلام خدمات جليلة ناطقة بفضله ورجاحة عقله فقد كان مثال الحاكم العادل والسياسي الماهر والمسلم المتمسك بدينه ومركزا للقيادة العامة لجيوش المسلمين في الفرس والشام ومصر إذ كان هو في الحقيقة المحرك لها المدبر للخطط، المختار للقواد، المرسل للجند، وكان شديدا في الحق لا يحابي أحدا ولا يغبط حق أحد، حافظا لوقاره وهيبته وسطوته، مدافعا عن الأعراض، قاطعا لبذور الفساد، مطعما للفقراء، يطوف على الناس بالليل ليرى ويسمع بنفسه أحوال المسلمين حتى يغيث الملهوف ويعطى المحتاج وينصف المظلوم وحتى لا تخفى عليه خافية من أمر رعيتيه لأنه كما قال لمولاه أسلم المستول عنهم في الآخرة ويحمل المؤونة بنفسه إلى الجائعين ويطبخ لهم ثم لا يتركهم حتى يأكلوا ويمرحوا وبعدئذ تطيب نفسه ويرجع، وهو الذي بلغت شفقته أن رتب للقطاء المرتبات لأرضاعهم وإيوائهم وتربيتهم وكان فوق ذلك كله شديد الاهتمام بأحوال المسلمين في البلاد النائية فكان يسأل قواده وهم أهل ثقته أن يصفوا له البلدان وميادين القتال ولا ينتظر مع ذلك ورود كتبهم لاستقاء أخبار الحروب بل كان يسأل كل من يلقى. فمن ذلك شدة اهتمامه بحرب الفرس فكان يسأل الركبان حتى يصبح إلى اتصاف النهار عن أهل القادسية ثم يرجع إلى أهله ومنزله مما سئد كره بعد. ومن ذلك خروجه إلى بيت

المقدس لعقد الصلح بنفسه . وكان إذا أصاب المسلمين جذب وضيّق
ضيّق على نفسه حتى يشعر الراعي بما تشعر به الرعية إذ لا يصح شرعاً
ولا إنسانية أن يتنعم الراعي وتشقى الرعية . وقد أقسم سنة الرمادة
وهي سنة القحط الشديد أن لا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيا
الناس وكان يقول « كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يصنني ما أصابهم »
هذا وقد بذلت الجهد في نشر سيرة « الفاروق » وأعماله والله
أسأل أن يوفقني ويهديني إلى سواء السبيل وأن يجعل كتابي هذا
درساً وعبرة إيه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

محمد رضا

حياة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

٥٨١ م - ٦٤٤ م

عمر بن الخطاب ثابى الخلفاء الراشدين . هو ذلك الرجل العظيم الذى يعد من اقوى رجال التاريخ شكيمة واشدهم بأساً واسدهم رأياً وأبعدهم نظراً واعفهم نفساً واطهرهم ذمة وانقاهم ذيلاً . فحياته حديرة بأن تدرس درساً وافياً دقيقاً اذ كان مثال الشهامة واليقظة والعدل ، والانصاف ، والسهر على الرعية ، والزهد ، والتكشف والاستماتة فى إيصال الخير إلى كل فرد من افراد الرعية لا يحابى كبيراً او غنياً او قريباً ولا يستصغر شأن صغير او فقير . وكان ابو بكر رضى الله عنه يلحظ فيه الشدة والقوة لكنه كان يثق باخلاصه ويعلم ان سريره خير من علانيته . فلما ولى الامارة كان انا رءوفاً بالمسلمين وأخاً شقيقاً ، وسياسياً ماهراً ، وقاضياً عادلاً وما بلغ ما قاله ابن مسعود فيه - « كان إسلام عمر فتحاً وكانت هجرته بصراً وكانت امارته رحمة »

وجدير بكل راع وكل رئيس أن يضع حياة عمر نصب عينيه ويتخذ سلوكه وخلفه وشدة اهتمامه بالناس نبراساً يستضيء به فى حكمه وسياسته . وكل من ينصفح التاريخ ليعترف أن عهد رسول الله والخلفاء الراشدين خير ما شاهد العالم من شهامة ومروءة وصدق وعدل وعفة . فكانت حكومتهم أرقى حكومة ساست رعيتهما وأنصفتهم

وهذبتهم وقومت أخلاقهم

نريد ممن يطالع حياة عمر رضى الله عنه وخلافته ألا يمر على الحوادث وهو يتلوها مرأ سريعاً دون ان يفكر فيها ، بل نريد ان يعتبر بالعبر ويتعظ بالمواعظ ويقتبس من تلك الأخلاق القوية العظيمة ويعمل بها ما استطاع حتى تعود للشرق سيرته الأولى من عظمة ومجد وتنتعش الهمم بعد أن فترت ، وتسود الفضائل بعد ان طغت عليها الرذائل، وتنظهر النفوس بعد ان تلوثت بادران المطامع واغترت بزخارف الدنيا، واستحكمت الشهوات ففسدت الأخلاق وضاعت الثقة فلم يعد الكبير يشفق على الصغير، ولا الصغير يوقر الكبير، واصبحت الأنانية رائداً وحب المال مقدساً

لاثمرة من قراءة التاريخ كما تقرأ القصص ثم تطوى وتنسى ولا تبقى في الذاكرة إلا أسماء ووقائع . فما لهذا تؤلف ونقضى العمر في الدرس والبحث

إن الحياة ليست لعباً ولهواً وغروراً وخداعاً بل يجب ان تكون الحياة عملاً وجداً وثمراتياً وقدوةً سالحةً وفائدةً للجمع الانساني وعلاجاً لآفاته . إن هؤلاء القادة الأبطال الذين وحدوا الله واهتدوا بهدى رسوله اناروا لنا الطريق وفتحوا الدنيا لا بقصد الفتح والتوسع وإشباع المطامع بل للهداية ونشر العلم وتأسيس المدنية الصحيحة الخالية من الشوائب ، وهم وإن كانت اجسامهم تحت الأثرى فان اعمالهم وسيرهم الطاهرة لم تمت بل هي خالدة شاهدة

لهم بحسن السيرة ونقاء السريرة، شاهدة بتغلب الفضائل على الرذائل وانتصار الحق على الباطل وبأن حياة الرجال والأمم إنما هي باستماتة الراعى والرعية في سبيل المصلحة العامة وموتها بنخور العزائم والاهمال وتقديس الأمانة والتباغض والتشاحن والتحاسد .

إننا بتدوين حياة الخلفاء الراشدين لا نخدم التاريخ فحسب فان التاريخ مجردا عن الاعتبار لا يستحق أى اهتمام وقد يعد من العلوم الكمالية الى لا يقصد منها غير التسلية والحدث والواقع ان غاية التاريخ النظر فيمن مضى من الأمم الغابرة واقباس حسناتها والابتعاد عن مساوئها ومخازيها والنظر في وسائل الرقى والسعادة واسباب الانحطاط والشقاوة — بل اننا بذلك نخدم الانسانية ونكشف لها عن سر عظمة الأمم والأفراد وفائدة المجمع

لذلك سألفت نظر القارىء إلى المواطن المهمة في حياة عمر رضى الله عنه حتى يقدرها حق قدرها ليستفيد منها في حياته ويفيد غيره من أهله وأحبابه وامته وإن كانت حياة عمر كلها دروسا وعبرا

(نسبه ومولده)

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى العدوى وكنيته أبو حفص

وامه حنمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم روى عن عمر انه قال ولدت بعد الفجار الأعظم بأربع سنين

وذلك قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة

(أولاده وزوجاته)

كان لعمر من الولد عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة
وامهم زينب بنت مظعون^(١) بن حبيب بن وهب بن حذافة بن
جمح . وزيد الأكبر لابقية ورقية وامهما أم كلثوم بنت علي بن ابي
طالب وامها فاطمة بنت رسول الله . وزيد الأصغر وعبيد الله قلا
يوم صفين مع معاوية وامهما ام كلثوم بنت جروول بن مالك وكان
الاسلام فرق بين عمر وبين أم كلثوم بنت جروول وعاصم وامه
جميلة بنت ثابت وعبد الرحمن الأوسط وهو ابو المجبر وامه لهية ام
ولد . وعبد الرحمن الأصغر وامه ام ولد . وفاطمة وامها ام حكيم
بنت الحارث بن هشام . وزينب وهي اصغر ولد عمر وامها فكيهة
ام ولد ، وعياض بن عمر وامه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل
غير النبي صلى الله عليه وسلم اسم ام عاصم بن عمر وكان اسمها
عاصية . قال لابل انت جميلة

(منزل عمر في الجاهلية)

كان منزل عمر رضى الله عنه في الجاهلية في اصل الجبل الذى
يقال له اليوم جبل عمر وكان اسم الجبل في الجاهلية العافر فنسب
إلى عمر بعد ذلك وبه كانت منازل بنى عدى بن كعب

(١) تزوج عمر زينب في الجاهلية

(منزلته في الجاهلية)

كان عمر من اشراف قريش وإليه كانت السفارة وذلك أن قريشا كانوا اذا وقع بينهم حرب او بينهم وبين غيرهم يعثوه سفيرا وان نافرهم منافرا او فاخرهم مفاخر رضوا به وبعثوه منافرا ومفاخرأ

(صفته رضى الله عنه)

وكان عمر طويلا وكان لطوله كأنه راكب ، جسيما ، اصلع ، شديد الحمرة ، كثير السبلة ^(١) في اطرافها صهوبة ^(٢) وفي عارضيه خفة ، اعسر ^(٣) وكان يسرع في مشينه قيل ان سبب تغير لونه هو انه في عام الرمادة وهي سنة المجاعة ترك اكل اللحم والسمن وأدمن اكل الزيت وقد كان احمر فشجب لونه

ومما روى عن فروسينه رضى الله عنه انه كان يأخذ اذنه اليسرى بيده اليمنى ويجمع جراميزه باليسرى (اى يرفع ما ينشر من ثيابه) ويثب على فرسه فكأما خلق على ظهره . وكان يصفر لحينه ويرجل راسه بالحناء ويلبس الثياب المرقوعة وكان رجلا مهيباً

(إسلامه)

اسلم عمر في السنة السادسة من النبوة وهو ابن ست وعشرين

(١) السبلة مقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر (٢) حمرة أو شقرة

(٣) الأعرس الذى يعمل بشماله

عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال : اسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة وثلاثون رجلا وامرأة ثم ان عمر اسلم فصاروا أربعين فنزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى (حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال : «اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام» -يعنى أبا جهل- ذكر أسامة بن زيد عن أبيه عن جده أسلم قال قال لنا عمر بن الخطاب : أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء إسلامي ؟ قلنا نعم . قال :

كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبينما أنا يوماً في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة إذ لقيني رجل من قريش فقال أين تذهب يا ابن الخطاب ؟ أنت تزعم انك هكذا وقد دخل عليك هذا الأمر في بيتك . قلت وما ذلك ؟ قال أختك قد صابت . فرجعت مغضباً وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصيبان من طعامه وقد كان ضم إلى زوج أختي رجلين . فجئت حتى قرعت الباب فقيل من هذا ؟ قلت ابن الخطاب وكان القوم جلوساً يقرءون القرآن في صحيفة معهم . فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا وتركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم . فقامت المرأة ففتحت لي . فقلت يا عدوة نفسها قد بلغني أنك صبوت (يريد

أسلمت) فأرفع شيئاً في يدي فأضربها به فسال الدم . فلما رأت المرأة الدم بككت ثم قالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلاً فافعل فقد أسلمت : فدخلت وأنا مغضب فجلست على السرير فنظرت فإذا بكتاب في ناحية البيت ، فقلت ما هذا الكتاب ؟ أعطنيهِ : فقالت لا أعطيك . لست من أهله . أنت لا تغتسل من الجبابة ولا تطهر وهذا لا يمسه إلا المطهرون (١) . فلم أزل بها حتى أعطتنيهِ فاذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي . ثم رجعت إلى نفسي فاذا فيها (مسح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (٢)) فكلما مررت باسم من أسماء الله عز وجل ، ذعرت ثم ترجع إلى نفسي حتى بلغت (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) حتى بلغت إلى قوله (إن كنتم مؤمنين) فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فخرج القوم يتبادرون بالسكبير استنشاراً بما سمعوه مني وحمدوا الله عز وجل . ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال اللهم أعز الإسلام بأحد الرجلين إما عمرو بن هشام (٣) وإما عمر بن الخطاب وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله لك فأبشر . فلما عرفوا مني الصدق قلت لهم أخبروني بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا

(١) لا يمسه إلا المطهرون آية في سورة الواقعة وهي مكة

(٢) سورة الحديد (٣) عمرو بن هشام هو أبو جهل

هو في بيت أسفل الصفا وصفوه . فخرجت حتى قرعت الباب . قيل
من هذا ؟ قلت ابن الخطاب . فما اجتراً أحد منهم أن يفتح الباب .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتحوا فانه إن يرد الله به خيراً
يهده . ففتحوا لي وأخذ رجلاً بعضدي حتى دنوت من النبي صلى
الله عليه وسلم . فقال ارسلوه . فأرسلوني فجلست بين يديه . فأخذ
بمجمع قميصي فجبذني إليه ثم قال أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده .
قلت أشهد ان لا إله إلا الله وانك رسول الله . فكبر المسلمون
تكبيراً سمعت بطرق مكة . وقد كان استخفي فكنت لا أشاء ان
أرى من قد أسلم يضرب إلا رأينه . فلما رأيت ذلك قلت لا أحب
إلا أن يصيبني ما يصيب المسلمين . فذهبت إلى خالي وكان شريفاً
فيهم فقرعت الباب عليه . فقال من هذا ؟ فقلت ابن الخطاب . فخرج
إلى فقلت له أشعرت اني قد صبوت ؟ قال فعلت ؟ فقلت نعم . قال
لا تفعل . فقلت بلى قد فعلت . قال لا تفعل وأجاف الباب دوني
(رده) وتركني . قلت ما هذا بشيء . فخرجت حتى جئت رجلاً من
عظماء قريش فقرعت عليه الباب . فقال من هذا ؟ فقلت عمر بن
الخطاب . فخرج إلى فقلت له أشعرت اني قد صبوت ؟ قال فعلت ؟
قلت نعم . قال لا تفعل . ثم قام فدخل وأجاف الباب . فلما رأيت
ذلك انصرفت . فقال لي رجل تحب أن يعلم اسلامك ؟ قلت نعم .
قال فاذا جلس الناس في الحجر واجتمعوا أتيت فلانا ، رجلاً لم
يكن يكتم السر . فاصغ اليه وقل له فيما بينك وبينه أني قد صبوت

فانه سوف يظهر عليك ويعلنه . فاجتمع الناس في الحجر ، فجلت الرجل فدنوت منه فأصغيت اليه فيما بيني وبينه . فقلت أعلمت انى صبت ؟ فقال الا ان عمر بن الخطاب قد صبا . فما زال الناس يضربوننى واضربهم . فقال خالى ما هذا ؟ فقيل ابن الخطاب . فقام على الحجر فإشار بكمه فقال الا انى قد اجرت ابن اختى فانكشف الناس عنى . وكنت لا أشاء ان ارى احداً من المسلمين يضرب إلا رأيتة وانا لا اضرب . فقلت ما هذا بشىء حتى يصيبنى مثل ما يصيب المسلمين . فامهلت حتى إذا جلس الناس في الحجر وصلت إلى خالى فقلت اسمع . فقال ما اسمع ؟ قلت جوارك عليك رد . فقال لا تفعل يا ابن الخطاب . قلت بل هو ذاك . فقال ماشئت . فمازلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام (١)

وعن ابن اسحاق ان الذى كلبه فى شأن اسلامه اخت عمر وزوجها هو النحام وهو نعيم بن عبدالله بن اسيد وهو أخو بنى عدى بن كعب قد اسلم قبل ذلك وفى هذه الرواية ان عمر كان متقلداً سيفه . كذلك ذكر ابن اسحاق ان الذى اجار عمر هو « العاص بن وائل السهمى » وإنما قال عمر انه خاله لأن حنمة ام عمر هى بنت هاشم بن المغيرة وامها الشفاء بنت عبد قيس بن عدى بن سعد بن سهم السهمية فلماذا جعله خاله وأهل الام كلهم أخوال . ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص هذا خالى لانه زهرى وأم رسول الله .

صلى الله عليه وسلم زهرية . كذلك القول في خاله الآخر الذى أغلق .
الباب في وجهه انه أبو جهل . فعلى قول من يجعل أم عمر أخت أبي
جهل فهو خال حقيقة وعلى قول من يجعلها ابنة عم أبي جهل يكون
مثل هذا

وفي طبقات ابن سعد رواية أخرى عن اسلام عمر عن أنس .
ابن مالك وفيها يذكر أن الذى توارى عند دخول عمر بيت اخته
هو خباب وفيها أنه ، لما ضربها قالت له وهى غضبي « يا عمر إن كان
الحق في غير دينك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول
الله » وأنه اغتسل قبل أن يقرأ الصفحة التى كانت معهم لوقراً (طه) .
حتى انتهى إلى قوله (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة
لذكرى) وسورة طه مكية وأما سورة الحديد فهى مدنية وقد كان
اسلام عمر بمكة لا بالمدينة كما لا يخفى فترجح أنه تلا سورة (طه)
أما رواية أنس بن مالك عن اسلام عمر فهى كما يأتى :

« خرج عمر متقلداً السيف فلقبه رجل من بنى زهرة . قال أين
تعمد يا عمر ؟ فقال أريد أن أقتل محمداً . قال وكيف تأمن في بنى
هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمداً ؟ فقال عمر ما أراك إلا قد
صبوت وتركت دينك الذى أنت عليه . قال أفلا أدلك على العجب
يا عمر ؟ إن خنتك^(١) وأختك قد صبوا وتركا دينك الذى أنت عليه
فمشى عمر ذامراً^(٢) حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له

(١) صهرك وهو سعيد بن زيد (٢) متهدداً

خباب . فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت فدخل عليها فقال ما هذه الهينة ^(١) التي سمعتها عنكم ؟ وكانوا يقرءون (طه) فقالوا ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا . قال فلملكما قد صبوتما؟ فقال له ختته أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك . فوثب عمر على ختته فوطئه ووطئاً شديداً . فجابت اخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده نفحة فدمى وجهها . فقالت وهي غضبي . يا عمر إن كان الحق في غير دينك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فلما يئس عمر قال . اعطوني هذا الكتاب الذي عنكم فأقرأه . وكان عمر يقرأ الكتب . فقالت أخته إنك رجل نجس ولا يمسه إلا المطهرون . فقم واغسل أو توضأ . فقام عمر وتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى إلى قوله (أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) فقال عمر دلوني على محمد . فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال أبشر يا عمر فاني أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس . اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر وبن هشام . ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار التي في أصل الصفا . فانطلق عمر حتى أتى الدار . وعلى باب الدار حمزة وطلحة وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر . قال حمزة فهذا عمر فان يرد الله بعمر خيراً يسلم ويتبع النبي صلى الله عليه

وسلم وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا . والنبي عليه السلام داخل يوحى إليه . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف . فقال أما أنت منتها يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ؟ اللهم هذا عمر بن الخطاب . اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب . فقال عمر أشهد أنك رسول الله فأسلم وقال اخرج يا رسول الله «

كان عمر بن الخطاب شديداً على المسلمين قبل إسلامه متعصبا لدينه وكان يعذب لبيبة جارية نبي مؤمل على إسلامها أشد العذاب بلا رحمة ولا شفقة ولا يتركها إلا إذا مل وكل فاشتراها أبو بكر الصديق فأعتقها وقد تعدى على ختنه وأخته لإسلامهما وكان يريد أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب إليه وأسلم ! لكن ما الذى حمله على الإسلام؟ هل أسلم خوفاً من أحد؟ هل أسلم بالقوة؟ هل أسلم لغرض شخصي؟ كلا . بل أسلم بعد أن قرأ القرآن الكريم فوقع في قلبه وأثر في نفسه وعلم أنه ليس كلام البشر بل كلام الله سبحانه وتعالى . إنه خضع لبلاغة القرآن وحكمه وروعته وهو ذلك العربي الصميم الذى ربي بين الشعراء والفصحاء وسمع شعرهم ووزن كلامهم وعرف الغث من السمين . لقد رق قلبه للقرآن على شدته وقسوته وتعصبه ولم يسعه إلا الاعتراف بأنه كلام الله سبحانه وتعالى . فان الرجل الشهم الشجاع إذا اقتنع بشيء أعلن في الحال اعتقاده من غير تردد ومن غير أن يعاند ويكابر لأن المكابرة من م - ٣ فاروق

لثوم الطباع وخبث السريرة وهذا ينافي الشهامة والاخلاص فذهب إلى رسول الله مسرعا وأعلن إسلامه على رهوس الأشهاد لأنه رأى الحق في غير دينه وسطعت له أنوار الحقيقة وتقبل الله سبحانه وتعالى دعوة رسول الله بإسلامه فكان إسلامه فتحا كما قال ابن مسعود كذلك أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي وقد كان شاعرا ليبياً فاذا قدم مكة مشى إليه رجال من قريش وطلبوا إليه أن لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع منه لكن أبى الله إلا أن يسمعه قوله صلى الله عليه وسلم فسمع منه وهو يصلي عند الكعبة كلاما حسنا ثم اتبعه ودخل عليه فتلا رسول الله القرآن عليه . فقال « فوالله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه » فأسلم وكان سببا في إسلام قومه . فمؤلا أسلموا لأنهم حكموا عقولهم وفتنوا لخلاوة القرآن وإعجازه وعرفوا أنه ليس في استطاعة إنسان أن يأتي بمثل هذا الكلام : أسلموا وهم يعلمون أنهم سيلاقون ماعب شديدة ولو ما وتعنيفا واستياء عاما من قومهم لكنهم لم يبالوا بشيء من ذلك لأن الشجاع لا يخاف في الحق لومة لائم ولا عتب عاتب (ظهور الاسلام)

عن صهيب بن سنان قال : لما أسلم عمر ظهر الاسلام ودعا إليه علانية وجلسنا حول البيت حلقا وطفنا بالبيت واتصفنا بمن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتي به . وقال عبد الله بن مسعود : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر . وقال محمد بن عبيد في حديثه لقد رأيتنا

وما نستطيع أن نصلى بالبيت حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتلهم حتى
تركونا نصلى

(تسميته بالفاروق)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله جعل الحق على لسان
عمر وقلبه وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل . وعن
أبي عمر ذكوان قال . « قلت لعائشة من سمي عمر الفاروق ؟ قالت النبي
عليه السلام » إن لتسمية عمر بالفاروق علاقة بظهور الإسلام فإن
المسلمين قبل إسلامه كانوا يستخفون في دار الأرقم وهي في أصل
الصفاء ويؤدون شعائرهم الدينية في منازلهم . فلما أسلم قال لرسول
الله السنا على الحق إن متنا أو حيننا ؟ قال بلى والذي نفسي بيده إنكم
لعلى الحق إن متم وإن حييتم . قال فقيم الاخفاء والذي بعثك بالحق
لتخرجن . قال فأخرجناه في صفين حمرة في أحدهما وأنا في الآخر
حتى دخلنا المسجد فنظرت إلى قريش وإلى حمزه فأصابتهم كآبة لم
يصبهم مثلها فسماني رسول الله الفاروق وفرق بين الحق والباطل
كان رسول الله يسمي أصحابه بخير صفاتهم التي امتازوا بها
فسمي أبو بكر صديقا وعتيقا وسمي عمر الفاروق وسمي خالد
ابن الوليد سيف الله

(هجرته إلى المدينة)

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه جريئا مقداما صريحا لا
يحب الاختفاء ولا يبالي بالأعداء . فأنت ترى انه لما أسلم بادر

إلى الظهور وقال لرسول الله فقيم الاختفاء و اخبر أقاربه المشركين
باسلامه فجعلوا يفلقون الباب في وجهه واذاع إسلامه لرجل قيل
له انه لا يكتم السر فصاح ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ . فصار
الناس يضربونه و بضربهم ورد جوار خاله ليدافع عن نفسه بنفسه
ولكى يصيبه ما يصيب المسلمين من الايذاء . فهو لا يحب الاختفاء
ولا الاحتماء بأحد . كذلك كانت هجرته وقد روى عن ابن العباس
قال لى على بن ابى طالب ما علمت أن احداً من المهاجرين هاجر إلا
مخفياً إلا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه و تنكب
قوسه و انتضى في يده اسهما و اختصر عزته و مضى قبل الكعبة و الملا
من قريش بفنائها و طاف بالبيت سبعة متمكناً ثم أتى المقام فصلى
متمكناً ثم وقف على الحلق و احدة و احدة . وقال لهم شاهت الوجوه
لا يرغم الله إلا هذه المعاطس . من اراد أن تشكله امه و يؤتم ولده
و يرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادى قال على فما تبعه احد إلا
قوم من المستضعفين عليهم و أرشدهم

هذه هى الرواية المأثورة عن على بن ابى طالب . و قد روى عمر
ابن الخطاب نفسه ما كان من هجرته قال : فكنت قد اتعدت انا
وعياش بن ابريعة و هشام بن العاص بن وائل التناضب من أضاءة
بنى غفار^(١) و كنا انما نخرج سرا فقلنا ايكم ما تخلف عن الموعد فلينطلق
(١) الأضياء الماء المستنقع من سيل او غيره و غفار قبيلة من كنانة .

موضع قريب من مكة فوق سرف قرب التناضب

من أصبح عند الاضائة فخرجت انا وعياش بن ابي ربيعة واحتبس هشام بن العاص ففتن فيمن فتن وقدمت انا وعياش فلما كسا بالعقيق عدلنا الى العصابة التي اتينا قُبا فزلنا على رفاعه بن عبد المنذر فقدم عياش بن ابي ربيعة اخواه لأمه أبو جهل والحارث ابنا هشام بن المغيرة وأمهم أسماء ابنة مخزبة من بنى تميم والنبي صلى الله عليه وسلم بعد بمكة لم يخرج فأسرعا السير فنزلا معنا بقباء فقالا لعياش إن أمك قد نذرت ألا يظلمها ظل ولا يمس رأسها دهن حتى تراك . فقلت لعياش وآن أن يرداك إلا عن دينك فاحذر على دينك . قال عياش فان لي بمكة مالا لعل آخذه فيكون لنا قوة وأبر قسم أمي معهما . فلما كانوا بضجنان (١) نزل عن راحلته فنزلا معه فأوثقاه رباطاً حتى دخل به مكة فقالا كذا يا أهل مكة فافعلوا بسفهاكم ثم حبسوه اه

شهد عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وخيبر والفتح وحنيناً وغيرها من المشاهد وهو ممن ثبت مع رسول الله في غزوة أحد وأمره رسول الله في بيعة الرضوان أن ينادى الناس إلى البيعة . ولم يكن عمر رضى الله عنه راضياً بصلح الحديبية فانه لما بعثت قريش سهيل بن عمرو لمفاوضة رسول الله في الصلح وطالت المراجعة بينه وبين اللى عليه السلام والأمر الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر اليس بر رسول الله قال

(١) ضجنان بالتحريك جبل على بريد من مكة وهناك الغميم في

أسفله مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ

بلى . قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى . قال اوليسوا بالمشركين ؟ قال بلى . قال
فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال ابوبكر إلزم غرزه (اى ركابه) فانى
أشهد انه رسول الله . قال عمرو انا اشهد انه رسول الله ثم آتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم . فقال يا رسول الله . أأنت برسول الله ؟
قال بلى . قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى . قال أو ليسوا بالمشركين ؟ قال
بلى . قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال أنا عبد الله ورسوله لن
أخالف أمره ولن يضيعنى . فكان عمر يقول « ما زلت أتصدق وأصوم
وأصلى وأعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به
حتى رجوت أن يكون خيراً » وقد ذكرنا ما زيا هذا الصلح فى كتابنا
« محمد رسول الله » ص ٣٢٣ فلتراجع
وأرسله رسول الله فى شعبان سنة سبع سرية ومعه ثلاثون
رجلا إلى قبيلة بنى هوازن بجهة تربة بقرب مكة فلما علموا بمجيئه
هربوا فانصرف راجعا إلى المدينة وأعطاه رسول الله اللواء بخير .
ولما أراد أبوسفیان الانصراف بعد غزوة أحد أشرف على الجبل ثم
نادى بأعلى صوته : إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر أعل هبل أى
أظهر دينك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب قم
فأجبه . فقال الله أعلى وأجل لا سواه . قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار
فلما أجاب عمر أبا سفيان ، قال أبوسفیان هلم إلى يا عمر . فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ائمه فانظر ما يقول . فجاءه فقال له أبو سفيان
أنشدك بالله يا عمر أقتلنا محمدا ؟ قال لا وإنه ليسمع كلامنا الآن .

فقال أبو سفيان أنت أصدق عندي من ابن قنثة وأبر . لقول ابن قنثة لهم قد قتلت محمدا

واستأذن عمر النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فقال :
يا أخى أشركنا فى صالح دعائك ولا تنسنا

(زواج ابنته حفصة برسول الله)

كانت حفصة بنت عمر تحت خنيس بن عبد الله بن حذافة السهمي وكان رسول الله أرسله إلى كسرى ولما مات خنيس وتأيمت حفصة ذكرها عمر لأبي بكر وعرضها عليه فلم يرد عليه أبو بكر كلمة فغضب عمر من ذلك فعرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله فقال عثمان ما أريد أن أتزوج اليوم فانطلق عمر إلى رسول الله فشكا إليه عثمان فقال رسول الله يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هو خير من حفصة ثم خطبها إلى عمر فتزوجها رسول الله بعد غزوة أحد سنة ثلاث وكان سنهما عشرين سنة وتزوج عثمان أم كلثوم . وبذلك حل الاشكال بشكل لطيف يرضى الطرفين

(استخلاف عمر رضى الله عنه)

استقبل عمر الخلافة صبيحة موت أبي بكر فخطب الناس وصرح لهم بخطته ومبدئه وأخلاقه فما قال :

« أما بعد فقد ابتليت بكم وابتليت بى وخلفت فيكم بعد صاحبي فمن كان يحضرتنا بأشرناه بأنفسنا . ومهما غاب عنا ولينا أهل القوة

والأمانة فمن يحسن نزده حسنا ومن يسيء نعاقيه ويغفر الله لنا ولكم»
فانظر وتدبر في قوله . فمن يحسن نزده حسنا . فهذا هو الانصاف
والتشجيع . أما الآن فالمحسن يغمط حقه ويغفل ذكره ولا يكافأ
على إحسانه . لذلك فترت الهمم وفسدت الأخلاق
وقال « اللهم إني شديد قلبي وإني ضعيف فقوتي وإني بخيل فسخني»
(عفته)

ومما يشهد بعفته قوله : « إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة
مال اليتيم . إن استغنيت استعفتت وإن افقرت أكلت بالمعروف
فإن أيسرت قضيت »

وكان لا تحدثه نفسه أن يأخذ شيئا من بيت مال المسلمين إلا
إذا أذنوا له مهسا كان هذا الشيء طفيفا لا يستحق الاذن فمن ذلك
أنه خرج يوما حتى أتى المبر وقد كان اشكى شكوى له فنعت له
العسل وفي بيت المال عكة (زق صغير) فقال « إن أذتم لي فيها
أخذتها وإلا فانها على حرام فأذنوا له فيها » فما قيمة هذه العكة ؟
إنها لا تساوي شيئا ومع ذلك يستأذن المسلمين في أخذها . فهل
يعتبر بذلك الحكم ؟

ولما رأت ابنته حفصة ما عليه من النقشف وشدة العيش كلمته
في ذلك إشفاقا عليه عسى أن يحسن طعامه ولباسه فقالت له : يا أبت
إنه قد أوسع الله الرزق وفتح عليك الأرض وأكثر من الخير فلو
طعمت طعاما ألين من طعامك ولبست لباسا ألين من لباسك . فقال

سأخاصمك إلى نفسك . أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من شدة العيش . فما زال يذكرها (لأنها كانت زوجة رسول الله) حتى أبكاها . ثم قال إني قد قلت لك إني والله لئن استطعت لأشاركنهما في عيشهما الشديد لعلى ألقى معهما عيشهما الرخى (يعنى رسول الله وأبا بكر)

وفى رواية أخرى أن عمر بن الخطاب أبى الا شدة وحصراً على نفسه فجاء الله بالسعة . فجاء المسلمون فدخلوا على حفصة فقالوا أى عمر الا شدة على نفسه وحصراً وقد سطر الله فى الرزق فليبسط فى هذا النىء فيما شاء منه وهو فى حل من جماعة المسلمين . فكانما قاربتهم فى هواهم . فلما انصرفوا من عندها دخل عايبها عمر فأخبرته بالذى قال القوم . فقال لها عمر : « يا حفصة بنت عمر نصحت قومك وغششت أباك . انما حق أهلى فى نفسى ومالى . فأما فى دينى وأماتى فلا »

لدرء أن يسنغرب شدة تقشف عمر وهو أمير المؤمنين فى زمن فتح فيه المسلمون أغنى بقاع الدنيا . العراق والشام وأغناهم الله من الغنائم التى غنموها وكانت ترسل إلى الخليفة الا خماس فيوزعها على الناس ولا يوسع على نفسه ويظل يعانى شدة العيش !!

إن الانسان ليسنغرب ذلك لأننا فى زمن لانعرف فيه هذا التقشف ولم نشاهده حتى فى رجال الدين ، حفظة القرآن والحديث

وسيرة الرسول وخلفائه والوعاظ والمرشدين والمعلمين . ألا إنهم
يأكلون الآن أطيب المآكل ويلبسون أفخر الثياب، ويسكنون الدور
الواسعة والقصور الشاهقة ويملكون الضياع ولا يعرفون من التقشف
إلا اسمه ويطمعون في المزيد . فهل هؤلاء متبعون سنة رسول الله ؟
أو هل هم مقفون أثر الخلفاء من بعده ؟

سأل عمر بن الخطاب الأحنف وكان قد وفد إليه مع جند البصرة
عن ثمن ثوب له فذكر الأحنف ثمنا يسيرا ثمانية أو نحوها ونقص
بما كان أخذه به وكان قد أخذه باثني عشر فقال : « هلا بدون هذا ؟
ووضعت فضله موضعاتني به مسلما ! »

لقد أشفق المسلمون من حالة عمر وتوسلوا إلى حفصة ابنته أن
ترجوه ليطعم طعاما ألين ويلبس لباسا ألين . وقالوا لها فليسط في
هذا الفىء فيما شاء منه وهو في حل من جماعة المسلمين . لكنه أبى
إلا التمسك بسنة رسول الله ليكون قدوة حسنة للولاة والحكام
والناس عموما في دينهم ودنياهم ومثالا للعفة والراحة والاخلاص
وهاك مثلا ظريفا لعفه رضى الله عنه . فقد كان يتجر وهو خليفة
فجهز عيرا إلى الشام فبعث إلى رجل من أصحاب النبي عليه السلام
يستقرضه أربعة آلاف درهم فقال الرجل لرسول عمر . قل له يأخذها
من بيت المال ثم ليردها . فلما جاءه الرسول فأخبره بما قال . شق ذلك
عليه ، فلقية عمر فقال « أنت القائل ليأخذها من بيت المال فان مت
قبل أن تجيء . قلم أخذها أمير المؤمنين . دعوها له وأخذ بها يوم

القيامة . لا ولكن أردت أن آخذها من رجل حريص شحيح مثلك
فان مت أخذها من مالى
فانظر أيها القارىء . وتأمل كيف تكون المحافظة على السمعة
والشرف فى الحياة وبعد الممات . وكيف يخشى الانسان عقاب الله تعالى
وروى عن عامر بن ربيعة قال . صحبت عمر بن الخطاب من
المدينة إلى مكة فى الحج ثم رجعنا فما ضرب فسطاطاً ولا كان له
بناء يستظل به إنما كان يلقى نطعاً^(١) أو كساء على شجرة فيسئظل تحته
ووفد على عمر رضى الله عنه الربيع بن زياد الحارثى فأعجبته
هيئته ونحوه . فشكا عمر طعاماً غليظاً أكله فقال الربيع يا أمير
لمؤمنين إن أحق الناس بطعام لين ومركب لين وملبس لين لأنك
فرغ عمر جريدة معه فضرب بها رأسه وقال أما والله ما أراك أردت
بها الله وما أردت بها إلا مقاربتى . هل تدري ما مثلى ومثل هؤلاء
قال وما مثلك ومثلهم ؟ قال مثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل
منهم . فقالوا له أنفق علينا . فهل يحل له أن يستأثر منها بشيء ؟ قال لا
يا أمير المؤمنين . قال فكذلك مثلى ومثلهم . هذا هو شعور عمر
بالمسئولية . شعوره بالواجب عليه نحو الرعية . ثم إنه لا يخدع بقول
أحد ولا يتحول عن خلقه الذى اطمأن عليه ويفهم التزلف وأساليب
التقرب إلى الحكام والأمراء . ألا تراه أجاب الربيع فى الحال بقوله
« والله ما أراك أردت بها الله وما أردت بها إلا مقاربتى » فعمر

(١) بساطاً من الأديم

كالجبل لا يتزعزع ولا يتحول عن الحق
ثم قال عمر للربيع: «إني لم أستعمل عليكم عمالي ليضربوا
أبشاركم وليشتموا أعراضكم ويأخذوا أموالكم ولكني أستعملهم
ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم. فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له
عليّ ليرفعها إليّ حتى أقصه منه. فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين
إن أدب أمير رجلا من رعيته أتقصه منه؟ فقال عمر ومالي لا أقصه
منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه»
حقيقة كان رسول الله يقص من نفسه فمن ذلك أنه في موقعة بدر
خرج من العريش لعديل الصفوف فعدلهم نقدح في يده (سهم لا
نصل فيه ولا ريش) فمر عليه السلام بسواد بن غزية حليف النجار
وهو خارج من الصف فطعمه صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح وقال
«اسنوياسواد» فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق
والعدل فأقذني من نفسك (أي مكني من القود أي القصاص) فكشف
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال: «استقد» فاعتنق سواد
النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بطنه. فقال ما حملك على هذا ياسواد؟
فقال يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك
أن يمس جلدي جلدك. فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير
وكتب عمر إلى أمراء الأجناد: لا تضربوا المسلمين فنزلوهم
ولا تحرموهم فتكفروهم ولا تجمروهم ففتنوهم ولا تنزلوهم
الغياض فتضيعوهم

(تسميته بأمر المؤمنين)

لما توفى رسول الله واستخلف أبو بكر الصديق كان يقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما توفى أبو بكر واستخلف عمر بن الخطاب قيل لعمر خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال المسلمون فمن جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة خليفة رسول الله عليه السلام فيطول هذا ولكن أجمعوا على اسم تدعون به الخليفة . يُدْعَى به من بعده الخلفاء . فقال بعض أصحاب رسول الله نحن المؤمنون وعمر أميرنا . فدعى عمر أمير المؤمنين فهو أول من سمي بذلك وإذا أردنا زيادة التدقيق والتحقيق قلنا إنه أول خليفة سمي « أمير المؤمنين » لأن هذه التسمية ليست بجديدة فإن عبد الله ابن جحش الأسدي هو أول من سمي « أمير المؤمنين » في السرية التي بعثه فيها رسول الله إلى نخلة

(طرف من أعماله)

هو أول من كتب التاريخ الهجري في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة فكتبه من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة

وأول من جمع القرآن في الصحف

وأول من جمع الناس لصلاة التروايح فجعلهم على أبي بن كعب

وأجمع المسلمون في زمنه وبعده على استحبابها ورووا عن علي رضي الله عنه أنه مر على المساجد في رمضان وفيها القناديل تزهق فقال « نور الله على عمر قبره كما نور علينا مساجدنا » وجعل للناس بالمدينة قارئين قارئاً يصلى بالرجال وقارئاً يصلى بالنساء

وهو أول من ضرب في الخمر ثمانين واشند على أهل الريب والتهم وغرب ربيعة بن أمية بن خلف إلى خيبر وكان صاحب شراب فدخل أرض الروم وارتد

وأول من عس في عمله بالمدينة وحمل الدرّة وأدب بها وأول من فتح الفسوح وسيأتى ذكر ذلك مفصلاً في هذا الكتاب

وهو أول من سى عن بيع أمهات الأولاد . . وكان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر فأمرها فقطعت مخافة أن تعد وروى أنه قال عن الحجر الأسود « لولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ولقد أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع »

وهو أول من مصر الأمصار . الكوفة والبصرة والجزيرة والشام ومصر والموصل أنزلها العرب وخط الكوفة والبصرة وأول من استقضى القضاة في الأمصار وأول من دون الدواوين وأول من حمل الطعام في السفن من مصر حتى ورد ساحل البحر الأحمر ومنه إلى المدينة . واتخذ دار الدقيق فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه يعين به المنتقطع به والضيف ينزل بعمر

وأخرج اليهود من جزيرة العرب إلى الشام وأخرج أهل نجران
وأنزلهم ناحية الكوفة

وكان عمر يحج بالناس مدة خلافته فحج بهم عشر سنين ولاء
وحج بأزواج النبي عليه السلام في آخر حجة حجها بالناس سنة ٢٣
هجرية واعتمر في خلافته ثلاث مرات

وأول من ألقى الحصا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان الناس إدارفعوا رؤوسهم من السجود نهضوا أيديهم فأمر
عمر بالحصا فجاء به من العقيق فبسط في مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم

(زيادته في المسجد النبوي)

اشغل أبو بكر بمحاربة أهل الردة والفتح وكانت خلافته
قصيرة الأجل فلم يزد في المسجد النبوي شيئاً فلما ولي عمر قال إني
أريد أن أزيد في المسجد ولو لا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ينبغي أن يزداد في المسجد ما زدته فيه شيئاً وكانت زيادته
فيه سنة ١٧ هـ وزاد في هذه السنة في المسجد الحرام فجعل عمر
أساطين المسجد النبوي من لبن ونزع الخشب ومدته في القبلة وكان
حد جدار عمر من القبلة على أول أساطين القبلة التي إليها المقصورة
واشترى عمر ما حول المسجد من الدور إلا دار العباس بن عبد المطلب
وحجر أمهات المؤمنين وقال للعباس يا أبا الفضل إن المسجد قد
ضاق بالمسلمين وقد انبعت ما حوله من المنازل نوسع به على المسلمين

في مسجدهم إلا دارك وحجر أمهات المؤمنين . فأما حجر أمهات
المؤمنين فلا سبيل إليها وأما دارك فبمعناها بما شئت من بيت مال
المسلمين أوسع بها مسجدهم . فقال العباس ما كنت . لا أفعل . فقال
له عمر اختر مني إحدى ثلاث إما أن تبيعنيها بما شئت من بيت المال
وإما أن أخطك حيث شئت من المدينة وأبنيها لك من بيت مال
المسلمين وإما أن تصدق بها على المسلمين فوسع في مسجدهم .
فقال لا . ولا واحدة منها . فقال عمر اجعل بيني وبينك من شئت .
فقال أبي بن كعب . فانطلقا إلى أبي فقصا عليه القصة . فقال أبي إن
شئتما حدثتكما بحديث . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« إن الله أوحى إلى داود أن ابن لي بيتا أذكر فيه فخط له هذه الحطة
خطة بيت المقدس فإذا تربيعها بزاوية بيت رجل من بني إسرائيل
فسأله داود أن يبيعه إياها فأبى فحدث داود نفسه أن يأخذه منه
فأوحى الله إليه أن يادأود امرتك أن تبني لي بيتا أذكر فيه فأردت
أن تدخل في بيتي الغضب وليس من شأني الغضب وإن عقوبتك أن
لا تبنيه . قال يارب فمن ولدي . قال فمن ولدك . فاخذ عمر بمجامع
أبي بن كعب فقال جئت بك بشيء . فجئتني بما هو أشد منه لتخرجن مما
قلت . فجاء يقوده حتى دخل المسجد فأوقفه على حلقة من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر حديث بيت المقدس حين أمر
الله داود أن يبنيه إلا ذكره . فقال أبو ذكر سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم . وقال آخر أنا سمعته يعني من رسول الله صلى

الله عليه وسلم . فأرسل أياً . فأقبل أبي علي عمر فقال يا عمر أتتهمني
على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر يا أبا المنذر
ما اتهمتك عليه ولكن أردت أن يكون الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ظاهراً . وقال عمر للعباس اذهب فلا أعرض
لك في دارك . فقال العباس أما إذ قلت ذلك فاني قد تصدقت بها على
المسلمين . أوسع عاينهم في مسجدهم . فأما وأنت تخصمني فلا
فخط له عمر داره بالزوراء و بناها من بيت مال المسلمين

واتخذ عمر مكاناً إلى جانب المسجد يقال له البطيحاء ثم قال :
من أراد أن يلغظ أو ينشد شعراً أو يرفع صوتاً فليخرج إلى هذه
الرحبة وكانت البطيحاء في جهة شرقي المسجد مما يلي مؤخره . وعن
عمر بن قتادة ان عمر رضى الله عنه سمع ناساً من التجار يذكرون
تجارتهم والدنيا في المسجد فقال إنما بنيت هذه المساجد لذكر الله
فاذا ذكرتم تجاراتكم ودنياكم فاخرجوا إلى البقيع . وكان عمر ينهى عن
رفع الأصوات في المسجد ويعاقب من رفع صوته بالضرب

(الزيادة في المسجد الحرام)

لما زاد ظهور الاسلام وتكاثر المسلمون في زمن عمر بن
الخطاب رأى أن يزيد في المسجد الحرام . فأول زيادة زيدت فيه
زيادته . وقد كان المسجد الحرام ليس عليه جدران تحيط به وإنما
كانت دور قریش محدقة به من كل جانب غير أن بين الدور أبواباً
يدخل منها الناس إلى المسجد الحرام . فلما كان زمن عمر بن الخطاب
م - • الفاروق

رضى الله عنه وضاق المسجد بالناس ولزم توسيعه اشترى دوراً حول المسجد وهدمها وأدخلها في المسجد وقد بقيت دور احتيج إلى إدخالها أيضاً في المسجد فأبى أصحابها بيعها . فقال لهم عمر اتم نزولكم بفناء الكعبة وبنيتم به دوراً ولا تملكون فناء الكعبة وما نزلت الكعبة في سوحكم وفنائكم . فقومت الدور ووضع ثمنها في جوف الكعبة ثم هدمت وأدخلت في المسجد ثم طلب أصحابها الثمن فسلم اليهم ذلك وأمر ببناء جدار قصير أحاط بالمسجد وجعل فيه أبواباً كما كانت بين الدور قبل أن تهدم . جعلها في محازاة الأبواب السابقة وذكر الطبري وابن الأثير أن زيادة عمر كانت سنة ١٧ هـ وقال قطب الدين النهروالي إنها كانت عقب السيل العظيم في سنة ١٧ من الهجرة وتخريبه معالم الحرم الشريف ويقال لذلك السيل « سيل أم نهشل » لأن أم نهشل بنت عبيدة بن سعيد بن العاص ذهب بها السيل فماتت فيه واستخرجت بأسفل مكة وكان سيلاً هائلاً فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو بالمدينة فأهاله ذلك وركب فزعا مروعا إلى مكة فدخلها بعمره في شهر رمضان . فلما وصل إلى مكة وقف على حجر المقام وهو مُلصق بالبيت الشريف فتحوّل من ذلك . ثم قال أنشد الله عبداً عنده علم من هذا المقام . فقال المطلب بن أبي وداعة السهمي رضى الله عنه أنا يا أمير المؤمنين عندي علم بذلك فقد كنت أخشى عليه مثل هذا الأمر فأخذت قدره من موضعه إلى باب الحجر ومن موضعه إلى

زمزم بمقاطوهى عندى فى البيت . فقال له عمر اجلس عندى وارسل اليها من يأتى بها . فجلس عنده وأرسل إليها فأتى بها . فقيس بها ووضع حجر المقام فى هذا المحل يعنى الذى هو فيه الآن . وأحكم ذلك واستمر إلى الآن وفيها عمل عمر الردم الذى بأعلى مكة صونا للمسجد بناه بالضفاير والصخر العظام وكبسه بالتراب فلم يعله سيل بعد ذلك (لينه وشده)

اجتمع علىّ وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد . وكان أجراهم على عمر عبد الرحمن بن عوف . فقالوا . لو كلمت أمير المؤمنين للناس فانه يأتى الرجل طالب الحاجة فتمنعه هيبتك أن يكلمك فى حاجة حتى يرجع ولم يقض حاجته . فدخل عليه فكلمه . فقال : يا أمير المؤمنين لن للناس فانه يقدم القادم عليك فتمنعه هيبتك أن يكلمك فى حاجته حتى يرجع ولم يكلمك . قال يا عبد الرحمن أنشدك الله . أعلىّ وعثمان وطلحة والزبير وسعد أمروك بهذا قال نعم . قال يا عبد الرحمن والله لقدلنت للناس حتى خشيت الله فى اللين ثم اشتدت حتى خشيت الله فى الشدة . فأين المخرج ؟ فقام عبد الرحمن يسكى يجر رداءه يقول بيده : « أف لهم بعدك . أف لهم بعدك »

وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أشد أمتى فى أمر الله عمر »

وقال الأحنف كنت مع عمر بن الخطاب فلقيه رجل فقال
يا أمير المؤمنين انطلق معي فاعدني على فلان فانه قد ظلمني . فرفع
الدرة فخفق بها رأسه فقال تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم
حتى إذا شغل في أمر من أمور المسلمين أتيتموه أعدني . أعدني .
فانصرف الرجل وهو يتذمر . قال عليّ الرجل . فألقى اليه المخفقة
وقال امثل فقال لا والله ولكن أدعها لله ولك . قال ليس هكذا .
إما أن تدعها لله إرادة ما عنده أو تدعها لي فأعلم ذلك . قال أدعها لله
فانصرف ثم جاء عمر يمشي حتى دخل منزله ونحن معه فصلى ركعتين
وجلس فقال . « يا ابن الخطاب . كنت وضيعا فرفعك الله . وكنت
ضالا فهداك الله . وكنت ذليلا فأعزك الله ثم حملك على رقاب الناس
فجاءك رجل يستعديك^(١) فضربته . ما تقول لربك غدا إذا أتيته ؟ »
فجعل يعاتب نفسه في ذلك معاتبة حتى ظننا أنه خير أهل الأرض

(عمر يرفض هدية لامرأته)

أهدى أبو موسى الأشعري لامرأة عمر عاتكة طُنْفُسَةً قدرها
ذراع وشبر فدخل عليها عمر فرآها فقال أتى لك هذه ؟ فقالت
أهداها لي أبو موسى الأشعري فأخذها عمر فضرب بها رأسها حتى
نغض رأسها ثم قال عليّ بابي موسى الأشعري وأتعبوه . فاتى به قد
أتعب وهو يقول لا تعجل عليّ يا أمير المؤمنين . فقال عمر ما يحملك

(١) يطلب منك النصره

على أن تهدي لنسائي؟ ثم أخذها عمر فضرب بها فوق رأسه وقال
خذها فلا حاجة لنا فيها

(تأثر عمر بذكر الله والقرآن)

كان عمر إذا غضب وذكر الله عنده أو قرأ عنده إنسان آية من
القرآن سكن غضبه ووقف عما يريد وقد جاء بلال يريد أن يستأذن
على عمر فقال أسلم خادمه إنه نائم . فقال يا أسلم كيف تجدون
عمر؟ فقال خير الناس إلا أنه إذا غضب فهو أمر عظيم . فقال بلال لو
كنت عنده إذا غضب قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه . وصاح
عمر على رجل يوماً وعلاه بالدرة فقال له أذكرك بالله . فطرح الدرّة
وقال ذكرتي عظيماً

(دعاؤه)

عن حفصة أنها سمعت أباها يقول : «اللهم ارزقني قتلاً في سبيلك
ووفاء في بلد نبيك» وكان يقول في دعائه في عام الرمادة وهو عام
القحط «اللهم لا تهلكنا السنين وارفع عنا البلاء» ويقول «اللهم لا
تجعل هلاك أمة محمد على يدي» وقال في أواخر أيامه «اللهم كبرت سني
وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط»

(إن الشيطان ليخاف من عمر)

كان عمر رضى الله عنه يغلب عليه الجذ وكان شديداً والناس

يرهبونه حتى في زمن رسول الله فمن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردك الله سالما أن أضرب بين يديك بالدف . قال إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا . فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب . ثم دخل عثمان وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت إستها وقعدت عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشيطان ليخاف منك يا عمر . إني كنت جالسا وهي تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب . ثم دخل علي وهي تضرب . ثم دخل عثمان وهي تضرب . ثم دخلت أنت يا عمر فألقت الدف »

(فضل عمر)

قال عبد الله بن مسعود فضل الناس عمر بن الخطاب بأربع بذكر الأسرى يوم بدر . أمر بقتلهم فأنزل الله تعالى (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) وبذكر الحجاب . أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتجبن فقالت زينب إنك عذاب يا ابن الخطاب والوحى ينزل في بيوتنا فأنزل الله تعالى (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) وبدعوة النبي صلى الله عليه وسلم « أيد الاسلام بعمر » وبرأيه في أبي بكر

(ستره العورات ودفاعه عن الشرف)

جاء في المناقب عن الشعبي^(١) قال أتى عمر بن الخطاب رجل فقال إن ابنة كنت وأدتها في الجاهلية فاستخرجناها قبل أن تموت فأدرکت معنا الاسلام فأسلت ثم أصابها حد من حدود الله فأخذت الشفرة لتذبح نفسها وأدرکناها وقد قطعت بعض أوداجها فداويناها حتى برأت ثم أقبلت بعد توبة حسنة وهي تخطب إلى قوم فأخبرهم بالذي كان فقال عمر : أتعهد إلى ما ستره الله فتبدييه . والله لئن أخبرت بشأنها أحدا من الناس لأجعلنك نکالا لأهل الأمصار .
أنکحها نکاح العفيفة المسلمة

وفي المناقب عن الليث بن عبد الله بن صالح . قال أتى عمر بن الخطاب بفتى أمرد وجد قتيلاً ملقى على وجهه في الطريق فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبر ولم يعرف له قاتلاً . فشق ذلك على عمر وقال اللهم أظفرني بقاتله . حتى إذا كان رأس الحول أو قريباً من ذلك وجد صبي مولود ملقى موضع القليل فأتى به عمر فقال ظفرت بدم القليل إن شاء الله . فدفع الصبي إلى امرأة وقال لها قومي بشأنه وخذي منا نفقته وانظري من يأخذه منك فإذا وجدت امرأة تقبله وتضمه إلى صدرها فاعليني بمكانها . فلما شب الصبي جاءت جارية فقالت للمرأة إن سيدتي بعثتني إليك تبعثي الصبي

[١] راجع أيضاً كتاب أشهر مشاهير الاسلام . لرفیق بك العظم

لتراه وترده إليك. قالت نعم اذهبي به إليها وأنا معك . فذهبت بالصبي والمرأة معها حتى دخلت على سيدتها . فلما رآته أخذته وقبلته وضمته إليها فاذا هي بنت شيخ من الأنصار من أصحاب رسول الله فأخبرت عمر خبر المرأة . فاشتعل عمر على سيفه ثم أقبل إلى منزلها فوجد أباها متكئاً على باب داره . فقال يا أبا فلان . ما فعلت ابنتك فلانة ؟ قال يا أمير المؤمنين جزاها الله خيراً هي من أعرف الناس بحق الله تعالى وحق أبيها مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها . فقال عمر قد أحببت أن أدخل إليها فأزيدها رغبة في الخير وأحسها على ذلك . فقال جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين . امكث مكانك حتى أرجع إليك . فاستأذن لعمر فلما دخل عمر أمر كل من كان عندها فخرج عنها وبقيت هي وعمر في البيت ليس معها أحد فكشف عمر عن السيف وقال لتصدقيني وكان عمر لا يكذب . فقالت على رسلك يا أمير المؤمنين فوالله لأصدقن . إن عجوزا كانت تدخل علي فاتخذتها أما وكانت تقوم في أمرى بما تقوم به الوالدة وكنت لها بمنزلة البنت فأمضيت بذلك حيناً . ثم إنها قالت لي يا بنية إنه قد عرض لي سفر ولى بنت أتخوف عليها من أن تضيع وقد أحببت أن أضمها إليك حتى أرجع من سفرى . فعمدت إلى ابن لها شاب أمرد فبأته كهينة الجارية وأتني به لا أشك أنه جارية فكان يرى منى ما ترى الجارية من الجارية حتى اغتفلني يوماً وأنا نائمة فما شعرت حتى علاني وخالطني فددت يدي إلى شفرة كانت إلى جنبي فقتلته ثم أمرت به فألقى حيث

رأيت فاشتملت منه على هذا الصبي فلما وضعته ألقيته في موضع
أبيه . فهذا والله خبرهما على ما أعلمتك . فقال عمر صدقت بارك الله
فيك ثم أوصاها ووعظها ودعا لها وخرج وقال لآبيها بارك الله في
ابنتك فنعمة الابنة ابنتك وقد وعظتها وأمرتها . فقال الشيخ واصلك
الله يا أمير المؤمنين وجزاك خيراً عن رعيتك

(طواف عمر على الناس ليلاً)

طاف عمر ليلة فاذا هو بامرأة في جوف دار لها وحوها صبيان
يبيكون وإذا قدر على النار قد ملأتها ماء فدنا عمر بن الخطاب من
الباب فقال . يا أمة الله . ما بال هؤلاء الصبية يبيكون ؟ فقالت بكأؤهم
من الجوع . قال فما هذه القدر التي على النار ؟ فقالت قد جعلت
فيها ماء أعلمهم بها حتى يناموا . أو همهم أن فيها شيئاً من دقيق وسمن
فجلس عمر فبكى ثم جاء إلى دار الصدقة فأخذ غرارة وجعل فيها
شيئاً من دقيق وسمن وشحم وتمر وثياب ودراهم حتى ملأ الغرارة
ثم قال يا أسلم أحمل عليّ . فقال يا أمير المؤمنين أنا أحمله عنك . فقال
لا أم لك يا أسلم . أنا أحمله لأنى أنا المسئول عنهم في الآخرة ، فحمله
على عنقه حتى أتى به منزل المرأة وأخذ القدر فجعل فيها شيئاً من
دقيق وشيئاً من شحم وتمر وجعل يحركه بيده وينفخ تحت القدر
وكانت لحيته عظيمة والدخان يخرج من خلل لحيته حتى طبخ لهم ثم
جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا وربض بحذائهم كأنه سبع .

ولم يزل كذلك حتى لعبوا وضحكوا ، ثم قال يا أسلم ، أتدرى لم
ربضت بحذائهم ؟ قلت لا يا أمير المؤمنين ، قال رأيتمهم يبكون
فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون فلما ضحكوا طابت
نفسى .

هذه قصة مشهورة عن طواف عمر ليعلم حال الناس فكان دائماً
يشعر بالمسئولية فانه قال لأسلم «أنا المسئول عنهم فى الآخرة» وكان
هذا الشعور رائده فى كل أعماله وأقواله
وبينما هو يعسُّ ذات ليلة فاذا امرأة تقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج
فلما أصبح سأل عنه فاذا هو من بنى سليم فأرسل إليه فاذا هو
من أحسن الناس شعراً وأصبحهم وجها فأمره عمر أن يطمَّ شعره
ففعل فخرجت جبهته فازداد حسناً . فأمره أن يعتم فازداد حسناً .
فقال عمر لا والذي نفسى بيده لا تجامعنى بأرض أنا بها . فأمر له بما
يصلحه وسيره إلى البصرة

وخرج يعس ذات ليلة فاذا بنسوة يتحدثن فاذا هن يقلن أى
أهل المدينة أصبح ؟ فقالت امرأة منهن أبو ذئب . فلما أصبح سأل عنه
فاذا هو من بنى سليم . فلما نظر إليه عمر إذا هو أجمل الناس . فقال له
عمر أنت والله ذئبن مرتين أو ثلاثا . والذي نفسى بيده لا تجامعنى
بأرض أنا بها . قال فان كنت لا بد مسيرى فسيرنى حيث سيرت
ابن عمى - يعنى نصر بن حجاج - فأمر له بما يصلحه وسيره إلى البصرة

(تدوين الدواوين)

استشار عمر بن الخطاب المسلمين في تدوين الدواوين . فقال له
علي بن أبي طالب تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ولا تمسك
منه شيئا . وقال عثمان بن عفان : أرى مالا كثيرا يسع الناس وإن لم
يحصوا حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر .
فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : يا أمير المؤمنين قد جئت الشام
فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون ديوانا وجند
جنودا فأخذ بقوله فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير
ابن مطعم وكانوا من نساب قريش . فقال اكتبوا الناس على منازلهم
فكتبوا فبدأوا ببني هاشم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ثم عمر وقومه
على الخلافة . فلما نظر إليه عمر قال وددت والله أنه هكذا ولكن
ابدأوا بقراة النبي صلى الله عليه وسلم الأقرب فالأقرب حتى تضعوا
عمر حيث وضعه الله

وكان تدوين الدواوين في المحرم سنة عشرين . بدأ ببني هاشم في
الدعوة ثم الأقرب فالأقرب برسول الله . فكان القوم إذا استوا
في القرابة برسول الله ، قدم أهل السابقة حتى انتهى إلى الأنصار
فقالوا بمن نبدا ؟ فقال عمر ابدأوا برهط سعد بن معاذ الأشهلي ثم
الأقرب فالأقرب بسعد بن معاذ . وفرض لأهل الديوان ، ففضل
أهل السوابق والمشاهد في الفرائض فبدأ بمن شهد بدر من المهاجرين
والأنصار ففرض لكل رجل منهم ٥٠٠٠ درهم في كل سنة حليفهم

ومولا هم معهم بالسواء . وفرض لمن كان له اسلام كاسلام أهل بدر من مهاجرة الحبشة ومن شهد أحداً ٤٠٠٠ درهم لكل رجل منهم وفرض لأبناء البدرين ٢٠٠٠ إلا حسنا وحسينا فإنه ألحقهما بفريضة أبيهما لقربتهما برسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض لكل واحد منهما ٥٠٠٠ درهم وفرض للعباس بن عبد المطلب ٥٠٠٠ لقربته برسول الله : وقد أجمعوا أنه لم يفضل أحداً على أهل بدر إلا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فإنه فرض لكل امرأة منهن ١٢٠٠٠ درهم وفرض لمن هاجر قبل الفتح لكل رجل ٣٠٠٠ درهم وفرض لمسلمة الفتح لكل رجل منهم ٢٠٠٠ وفرض لغلمان أحداث من أبناء المهاجرين والأنصار كفرائض مسلمة الفتح (٢٠٠٠) وفرض لعمر بن أبي سلمة ٤٠٠٠ درهم لمكانه من النبي صلى الله عليه وسلم فهو ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه سلمة زوج النبي عليه السلام . وفرض لآسامة بن زيد ٤٠٠٠ . ثم فرض للناس على منازلهم وقراءتهم القرآن وجهادهم . ثم جعل من بقى من الناس بابا واحداً فألحق من جاءهم من المسلمين بالمدينة ٢٤ ديناراً لكل رجل وفرض للحررين معهم . وفرض لأهل اليمن وقيس بالشام والعراق لكل رجل من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ وفرض للنساء مهاجرات ففرض لصفية بنت عبد المطالب ٦٠٠٠ درهم ولآسامة ابنة عميس ١٠٠٠ درهم ولأم كلثوم بنت عقبة ١٠٠٠ درهم ولأم عبد الله بن مسعود ١٠٠٠ درهم وكان إذا أتى باللقيط فرض له ١٠٠ درهم وفرض له رزقاً يأخذه

وليه كل شهر ما يصلحه ثم ينقله من سنة إلى سنة وكان يوصى بهم خيراً ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال (١)
فأنت ترى أن عمر فكر في اللقطاء وتربيتهم وجعل لهم من بيت المال إعانة شهرية تزيد كلما نما الطفل وكان يوصى بهم خيراً . وقد كان العرب في الجاهلية يأدون البنات خشية الفقر أو العار . فانظر الفرق الشاسع بين وأد البنات بلا رحمة وشفقة وترتيب إعانة شهرية لللقطاء لأنهم أبناء الأمة ويستحقون كل شفقة . وفي ذلك الوقت لم يكن العالم قد خطأ أى خطوة في سبيل العناية باللقطاء بل كانوا يموتون في الطرقات من الجوع أو البرد ومن عاش منهم يعامل معاملة قاسية حتى أن أروبا لم تفكر في انشاء ملاجىء لهم على نظام يكفل المحافظة عليهم الا في بدء القرن الثاني عشر

(سبب التسمية بالديوان)

في طبقات ابن سعد رواية عن حويرث بن نقيد خلاصتها أن عمر رضى الله عنه أخذ بقول اللوليد بن هشام لما استشار أصحابه في تدوين الدواوين إذ قال له: « يا أمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا . فدوّن ديوانا وجند جنوداً » غير أن كلمة ديوان أصلها فارسي على الأرجح وذلك أن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال « ديوانه » أى (مجانين) فسمى موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الهاء عند كثرة

(١) طبقات ابن سعد

الاستعمال^(١) تخفيفاً فقيل ديوان ثم نقل هذا الاسم الى كتاب هذه الأعمال المتضمن للقوانين والحسابات. وقد اختلفوا في الذى أشار على عمر بتدوين الديوان فقيل إنه الوليد بن هشام كما في طبقات ابن سعد وقيل خالد بن الوليد وقيل بل هو الهرمزان الذى أشار به لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان وروى أن أبا هريرة قدم عليه بمال من البحرين فقال له عمر. ماذا جئت به؟ فقال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر فقال له أتدرى ما تقول؟ قال نعم مائة ألف خمس مرات. فقال عمر أطيب هو؟ فقال لا أدرى. فصعد عمر المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال. أيها الناس قد جاءنا مال كثير فان شئتم كلنا لكم كيلاً وإن شئتم عددنا لكم عدداً. فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدونون ديواناً لهم فدوّن أنت لنا ديواناً

وعلى كل حال لم يكن في العرب ديوان فأحدثه عمر لما رأى كثرة الأموال التى ترد عليه وأمر ثلاثة من كتاب قریش وهم عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم فكتبوا ديوان العساكر الإسلامية على ترتيب الانساب مبتدئاً من قرابة الرسول وما بعد الأقرب فالأقرب. هكذا كان ابتداء ديوان الجيش

(الصدقات والفقى والغنيمة)

كانت الصدقات ترد في زمن رسول الله وأبى بكر فتوزع على

(١) راجع الأحكام السلطانية طبع المطبعة المحمودية بالأزهر

الفقراء . ومصرف الصدقات منصوص عليه ليس للأنمة اجتهاد فيه
والنقى . والغنيمة مأخوذان من المشركين وهما يختلفان لأن مال النقى .
مأخوذ عفواً في غير قتال ولا بايجاف خيل ولا ركاب فهو كمال الهدنة
والجزية وقد نص القرآن الكريم في خمس النقى . قال تعالى: (ما أفاء
الله على رسوله من أهل القرى لله وللرسول ولذو القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل^(١)) فيقسم الخمس على خمسة أسهم متساوية .
سهم كان لرسول الله في حياته ينفق منه على نفسه وأزواجه ويصرفه
في مصالحه ومصالح المسلمين والسهم الثاني لذوى القربى والثالث
لليتامى من ذوى الحاجات . واليتم موت الأب مع الصغر ويستوى
فيه حكم الغلام والجارية فاذا بلغا زال اسم اليتيم عنهما . قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « لا يتم بعد الحلم » . والسهم الرابع للمساكين
فهو من لا يجد ما يكفيه من أهل النقى . لأن مساكين النقى يتميزون
عن مساكين الصدقات لاختلاف مصرفهما . والسهم الخامس لابن
السبيل وهم المسافرون من أهل النقى لا يجدون ما ينفقون . هذا
حكم الخمس في قسمه وأما أربعة أخماسه فلا يتعلق بموضوعنا
وأما الغنيمة فتشتمل على أربعة أقسام : أسرى ، وسبي ، وأرضين
وأموال . وقد كان رسول الله يقسم الأموال المنقولة على رأيه

(رأى أبى بكر فى توزيع العطاء)

كان أبوبكر رضى الله عنه يرى التسوية فى العطاء ولا يرى .

التفضيل بالسابقة في الدين وكذلك كان رأى عثمان بن عفان بعده
وبه أخذ أبو حنيفة وفقهاء العراق

(رأى عمر)

قال عمر لأبي بكر : أتسوى بين من هاجر الهجرة تين وصلّى إلى
القبليتين وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف ؟ فقال له أبو بكر
إنما عملوا لله وإنما أجورهم على الله وإنما الدنيا دار بلاغ الراكب
فقال له عمر . لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن
قاتل معه فلما وضع الديوان فضل بالسابقة . بقي أبو بكر مدة
خلافته يسوى بين الناس ولم يأخذ برأى عمر ولم يقتنع به فلما ولي
عمر الخلافة ووضع الديوان فضل بالسابقة كما مر ذكره . وقال لئن
كثرت المال لأفرضن لكل واحد منكم أربعة آلاف درهم ألفاً لفرسه
وألفاً لسلاحه وألفاً لسفره وألفاً لخلفها في أهله

(زينب زوج رسول الله توزع عطاءها)

لما خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جحش زوجة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى يخصها فلما دخل عليها قالت
غفر الله لعمر . غيرى من أخواتى كان أقوى على قسم هذا منى . فقالوا
هذا كله لك . قالت سبحان الله واستترت منه بثوب . قالت صبوه
واطرحوا عليه ثوباً ثم قالت لبرزة بنت رافع أدخل يدك فاقبضى
منه قبضة فاذهبي بها إلى بنى فلان من أهل رحما وأيتامها فقسمته

حتى بقيت بقية تحت الثوب فقالت لها برزة غفر الله لك يا أم المؤمنين
والله لقد كان لنا في هذا حق . فقالت فلكم ما تحت الثوب . قلت
فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهما ثم رفعت يدها إلى
السماء فقالت : « اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بعد عامى هذا » فماتت

(ما فرضه عمر للمولود)

ذكرنا أن عمر فرض للقيط ١٠٠ درهم وقد فرض أيضا للمولود
١٠٠ درهم فاذا ترعرع بلغ به ٢٠٠ درهم وكان لا يفرض لمولود
شيئا حتى يفطم إلى أن سمع امرأة ذات ليلة وهي تكره ولدها
على الفطام وهو يبكي فسألها عنه فقالت إن عمر لا يفرض لمولود
حتى يفطم فانا أكرهه على الفطام حتى يفرض له . فقال : يا ويل
عمر كم احتقبت من وزر وهو لا يعلم . ثم أمر مناديه فنادى ألا لا
تعجلوا أولادكم بالفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام وكتب
بذلك إلى الآفاق

روى عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥٣٩ حديثا اتفق
البخارى ومسلم منها على ٢٦ وانفرد البخارى بأربعة وثلاثين
ومسلم بواحد وعشرين

قام عمر فى خلافته أتم قيام وجاهد فى الله حق جهاده فجيش
الجيوش وفتح البلدان ومصر الأماص وأعز الاسلام ففتح الشام
والعراق ومصر والجزيرة وديار بكر وأرمينية وأذربيجان وإيران
وبلاد الجبال وبلاد فارس وخورستان وسيأتى تفصيل ذلك كله فى خلافته

(مقتله)

بينما كان عمر رضى الله عنه قائما يصلى صلاة الصبح طعنه أبو
لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة بسكين فى كتفه وخاصرته ست
ضربات وغسله ابنه عبد الله وحمل على سرير رسول الله فى مسجد
رسول الله وصلى عليه صهيب ونزل فى قبره ابنه عبد الله وعثمان بن
عفان وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف

وقد طعن رضى الله عنه يوم الأربعاء لآربع ليال بقين من ذى
الحجة سنة ٢٣هـ ودفن يوم الأحد هلال محرم سنة ٢٤هـ فكانت
خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وقيل ثمانية أيام وهو
ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح المشهور . ثبت ذلك فى الصحيح
عن معاوية بن أبى سفيان وقاله الجمهور وسنذكر تفاصيل وفاته فى
آخر كتابنا هذا ان شاء الله تعالى

(عمال عمر على الامصار)

كان عامل عمر رضى الله عنه فى السنة التى قتل فيها وهى سنة
٢٣هـ على مكة نافع بن عبد الحارث الخزاعى . وعلى الطائف سفيان
ابن عبد الله الثقفى . وعلى صنعاء يعلى بن منية . وعلى الجند عبد الله
ابن أبى ربيعة . وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة . وعلى البصرة أبى
موسى الأشعرى . وعلى مصر عمرو بن العاص . وعلى حمص عمير
ابن سعد . وعلى دمشق معاوية بن أبى سفيان . وعلى البحرين وما

والإمامان بن أبي العاص الثقفي
وقد أوصى أن تقر عماله سنة فأقرهم عثمان سنة

(قضاة)

ولى عمر رضى الله عنه على قضاء الكوفة شريح بن الحارث
الكندى وولى للقضاء بمصر قيس بن أبي العاص السهمى وهو
أول قاض قضى بها فى الاسلام وولى أبا الدرداء بالمدينة وولى أبا
موسى الأشعري قضاء البصرة

(وصية عمر لابنه عبد الله)

أوصى عمر بن الخطاب ابنه عبد الله عند الموت فقال :
« يا بنى عليك بخصال الإيمان . قال وما هن يا أبت ؟ قال : الصوم
فى شدة أيام الصيف . وقتل الأعداء بالسيف . والصبر على المصيبة
واساغ الوضوء فى اليوم الشاتى وتعجيل الصلاة فى يوم الغيم وترك
ردعة الخبال » فقال وما ردعة الخبال ؟ قال شرب الخمر

هذه وصية عمر لابنه وهى وصية عجيبة مملوءة قوة لا يقوم بها
إلا الرجال الأشداء . أوصاه بها لىكون رجلاً قوياً صابراً متديناً وفى
آخرها أوصاه بترك شرب الخمر لأنه كان سبباً فى نزول آية تحريم
الخمر وقد حد عمر ابنه عبد الرحمن واسمه أبو شحمة فى الخمر فمات



ونهى عمر أهله وأصحابه أن يبكوا عليه لقول رسول الله من يبك

عليه يعذب وقوله ان المعول عليه يعذب . وأوصى ان لا يغسلوه بمسك أو لا يغربوه مسكاً. وغسل بالماء ثلاثاً وكفن في ثلاثة أثواب . وأوصى الا يتبع بنار ولا تتبعه امرأة وكانت عادة الجاهلية أن تحمل النيران في تشييع الجنازة وتتبعها النوائح وقد نهى الاسلام عن ذلك

كرامات عمر رضى الله عنه

ظهرت كرامات كثيرة لعمر رضى الله عنه فقد روى أنه بعث جيشاً وأمر عليه رجلاً يدعى سارية بن الحصين . فبينما عمر يوم الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته وهو على المنبر « ياسارية الجبل الجبل » قال علي بن أبي طالب فكتبت تاريخ تلك الكلمة فقدم رسول مقدم الجيش ، فقال يا أمير المؤمنين غزونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان يصيح ياسارية الجبل . الجبل . فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة ببركة ذلك الصوت

ولما فتح المسلمون مصر ولم يزد النيل قالوا لعمر بن العاص انهم يلقون في النيل جارية فقال هذا لا يكون في الاسلام وكتب لعمر ابن الخطاب فكتب رسالة الى عمرو وأمره ان يلقها في النيل فلما ألقى فيها زاد النيل وسيأتي ذكر ذلك فيما بعد

ووقعت زلزلة في المدينة فضرب عمر الدرة على الأرض وقال اسكني باذن الله فسكنت وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك

وشبت النار في بعض دور المدينة فكتب عمر على خرقة (يا نار
اسكني باذن الله) فألقوها في النار فانطفأت في الحال^(١)

تأبين عمر بن الخطاب

رثت عمر ابنة أبي حشمة فقالت :

«واعمره. أقام الأود. وأبرأ العمد. أمات الفتن وأحيا السنن، خرج
نقى الثوب . بريئاً من العيب»

وقالت عاتكة ابنة زيد بن عمرو زوجة عمر :

فجعتني فيروز لادر دره بأبيض تال للكتاب منيب
رعوف على الأذى غليظ على العدى أخى ثقة فى النائبات مجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع الى الخيرات غير قطوب^(٢)
وقالت أيضاً :

عين جودى بعبرة ونحيب لاتملى على الامام النحيب
فجعتنى المنون بالفارس المعلم يوم الهياج والتليب
عصمة الناس والمعين على الدهر وغيث المتاب والمحروب
قل لأهل السراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

(١) تفسير الفخر الرازى ج ٤ ص ٢٩٩، ٣٠٠

(٢) ذكرت هذه الأبيات فى الطبرى لعاتكة وقد وجدناها فى ديوان حسان

ابن ثابت فى رثاء عمر مع اختلاف فى عجز البيت الأول فى الديوان

« بأبيض يتلو المحكمات منيب »

ورثاه حسان بن ثابت فقال :

ثلاثة برزوا بفضلهم نصرهم ربهم إذا نشروا
فليس من مؤمن له بصر ينكر تفضيلهم إذا ذكروا
عاشوا بلا فرقة ثلاثهم واجتمعوا في الممات إذ قبروا
وقال عبد الله بن سلام :

« نعم أخو الإسلام كنت يا عمر جوادا بالحق ، بخيلا بالباطل
ترضى حين الرضى ، وتغضب حين الغضب ، عفيف الطرف ،
طيب الظرف . لم تكن مداحا ولا مغتابا
وقال عمر : ما على الأرض أحد ألقى الله بصحيفته أحب إلى
من هذا المسجى بينكم

آراء المستشرقين في عمر

نورد هنا آراء بعض المستشرقين في عمر بن الخطاب فما قاله
الأستاذ موير في كتابه (الخلافة) ما ترجمته :

« كانت البساطة والقيام بالواجب من أهم مبادئ عمر . و أظهر
ما اتصفت به إداراته عدم التحيز . والتعبد . وكان يقدر المسئولية حق
قدرها » وقال « و كان شعوره بالعدل قويا ولم يحاب أحدا في اختيار
عماله . ومع أنه كان يحمل سوطه ويعاقب المذنب في الحال - حتى قيل
أن سوط عمر أشد من سيف غيره - إلا أنه كان رقيق القلب وكانت
له أعمال سجلت له شفقتة . من ذلك شفقتة على الأرامل والأيتام »

وقالت عنه دائرة المعارف البريطانية :
« كان عمر حاكما عاقلا ، بعيد النظر وقد أدى للاسلام خدمة
عظيمة »

وكتب الأستاذ واشنجتون ايرفنج في كتابه (محمد وخلفاؤه) :
« إن حياة عمر من أولها إلى آخرها تدل على أنه كان رجلا ذا
مواهب عقلية عظيمة وكان شديد التمسك بالاستقامة والعدالة وهو
الذي وضع أساس الأمبراطورية الاسلامية ونفذ رغبات النبي
وثبتها وأزرأبا بكر بنصائحہ اثناء خلافته القصيرة . ووضع قواعد
متينة للإدارة الحازمة في جميع البلاد التي فتحها المسلمون وإن اليد
القوية التي وضعها على اعظم قواده المحبوبين لدى الجيش في البلاد
النائية وقت انتصاراتهم لأظهر دليل على كفاءته الخارقة للحكم وكان
ببساطة أخلاقه واحتقاره للأبهة والترف مقتديا بالنبي وأبي بكر وقد
سار على أثرهما في كتبه للقواد »

بعض خطب عمر رضی اللہ عنہ

أيها الناس إني قد وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم
لكم واقواكم عليكم واشدكم استضلاعا بما ينوب من مهم اموركم
ما وليت ذلك منكم ولكني عمر مها محزنا انتظار موافقة الحساب
ياخذ حقوقكم كيف أخذها ووضعها ابن اضعبا وبالسير فيكم كيف

أسير فربي المستعان . فان عمر اصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده
وفي هذه الخطبة نرى عمر واثقا بقوته بتأييد الله تعالى له

إن الله عز وجل قد ولاني امركم وقد علمت انفع ما بحضرتكم لكم وإني اسأل الله تعالى ان يعينني عليه وان يحرسني عنده كما حرسني عند غيره وان يلممني العدل في قسمكم كالذي أمر به وإني امرؤ مسلم وعبد ضعيف إلا ما أعان الله عز وجل ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلق شيئا ان شاء الله . إنما العظمة لله عز وجل وليس للعباد منها شيء فلا يقولن أحد منكم إن عمر تغير منذ ولي . اعقل الحق من نفسى واتقدم وايبين لكم امرى فايما رجل كانت له حاجة او ظلم مظلمة أو عتب علينا في خلق فليؤذني فانما أنا رجل منكم فعليكم بتقوى الله في سركم وعلانيتكم وحرما تكم وأعراضكم واعطوا الحق من أنفسكم ولا يحمل بعضكم بعضا على أن تحاكموا إلى فانه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة (١) وأنا حبيب إلى صلاحكم عزيز على عتبتكم وأنتم أناس عامتكم حضر في بلاد الله واهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع إلا ما جاء الله به إليه وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة وانا مستول عن امانتى وما انا فيه مطلع على ما بحضرتى بنفسى ان شاء الله لا اكله إلى احد ولا استطيع ما بعد منه إلا

بالأمانة واهل النصيح منكم للعامة ولست اجعل امامتى إلى احد سواهم
إن شاء الله (١)

تبين هذه الخطبة اخلاق عمر رضى الله عنه وسياسته فى رعيته
فهو لا يعرف المحاباة ويعدل بقدر الطاقة . وللوصول إلى العدل
صرح بأنه يحقق بنفسه وانه مستعد لسماع كل شكوى ويصغى إلى
نصيحة الأمانة

ايها الناس ان بعض الطمع فقر . وإن بعض اليأس غنى وانكم
تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون واتم مؤجلون فى دار
غرور . كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحى ،
فن اسر شيئاً اخذ بسريرته ومن اعلم شيئاً اخذ بعلايته ، فأظهروا
لنا احسن اخلاقكم والله اعلم بالسرائر فانه من اظهر لنا شيئاً وزعم
ان سريرته حسنة لم نصدقه ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً
واعلموا ان بعض الشح شعبة من النفاق فانفقوا خيراً لأنفسكم
(ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ايها الناس اطيخوا
مشواكم واصلحوا اموركم واتقوا الله ربكم ولا تلبسوا نساكم
القباطى فانه ان لم يشف فانه يصف ، ايها الناس انى لوددت ان انجو
كفافة لالى ولا على وانى لارجو ان عمرت فيكم يسيراً او كثيراً ان

واعمل بالحق فيكم ان شاء الله وان لا يبقى احد من المسلمين وان كان في بيته إلا اتاه حقه ونصيبه من مال الله ولا يعمل اليه نفسه ولم ينصب اليه يوما واصلحوا أموالكم التي رزقكم الله . ولقليل في رفق خير من كثير في عنف والقتل حتف من الختوف يصيب البر والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه . وإذا أراد احدكم بعيرا فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه فان وجدته حديد الفؤاد فليشتره (١)

تكلم عمر رضى الله عنه في هذه الخطبة في عدة امور فقد اشار إلى ان الوحي قد انقطع بموت رسول الله فلا سبيل إلى معرفة الباطن والسرائر إلا بما يظهره الانسان ، وذب الشح ونهى عن تبرج النساء .

إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا عن غير مسألة منكم له ولا رغبة منكم فيه إليكم . تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئا لنفسه بوعبادته وكان قادرا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه فجعل لكم عامة خلقه ولم يجعلكم لشيء غيره وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وحملكم في البر والبحر ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ثم جعل لكم سمعا وبصرا ومن نعم الله عليكم نعم عم بها نبي آدم ومنها نعم اختص بها اهل

دينكم ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم
وطبقتكم وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا
لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم اتعبهم شكرها وفدحهم
حقها إلا بعون الله مع الايمان بالله ورسوله فانتم مستخلفون في
الأرض قاهرون لأهلها قد نصر الله دينكم فلم تصبح امة مخالفة
لدينكم إلا أمتان امة مستعبدة للاسلام واهله يحزون لكم يستضعفون
معائشهم وكداثهم ورشح جباههم عليهم المؤونة ولكم المنفعة وامة
تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة قد ملا الله قلوبهم رعبا
فليس لهم معقل يلجأون إليه ولا مهرب يتقون به قد دهمتهم جنود
الله عز وجل ونزلت بساحتهم مع رفاغة العيش واستفاضة المال
وتتابع البعوث وسد الثغور باذن الله مع العافية الجليلة العامة التي لم
تكن هذه الأمة على احسن منها مذ كان الاسلام والله المحمود مع
الفتوح العظام في كل بلد فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين
وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين مع هذه النعم التي لا يحصى عددها
ولا يقدر قدرها ولا يستطيع اداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه
فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي ابلانا هذا ان يرزقنا العمل بطاعته
والمسارعة إلى مرضاته واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم واستموا
نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثني وفرادى فان الله عز وجل قال
لموسى اخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكركم بأيام الله وقال
لمحمد صلى الله عليه وسلم واذكروا إذ انتم قليل مستضعفون في الأرض

فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها وتستريحون اليها مع المعرفة بالله ودينه وترجون بها الخير فيما بعد الموت لكان ذلك ولكنكم كنتم أشد الناس معيشه وأثبتهم بالله جهالة فلو كان هذا الذي استشلكم به لم يكن معه حظ في دنياكم غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي اليها المعاد والمنقلب وأتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرىء أن تشحوا على نصيبكم منه وأن تظروء على غيره قبله ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له وقسرتم أنفسكم على طاعته وجمعتم مع السرور بالنعم خوفا لها ولا تتقأها ووجلا منها ومن تحويلها فانه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها وإن الشكر أمن للغير ونماء للنعمة واستيجاب للزيادة . هذا لله على من أمركم ونهيكم واجب »

يذكر عمر رضى الله عنه المسلمين بما فتح الله عليهم من الفتوح العظيمة وإخضاعهم الأمم على قوتها وشدة بأسها وكثرة عددها وغناها ولذلك يحثهم على شكر الله الذي نصرهم على عدوهم وأغناهم بعد الفقر وأعزهم بعد الذل . ولولا عناية الله وقدرته ما استطاعوا غزو هذه الأمم وإخضاعها

أيها الرعية إن لنا عليكم حقاً : النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير . إنه ليس من حلم أحب إلى الله ولا أعم نفعاً من حلم إمام ورفقه . أيها الرعية إنه ليس من جهل أبغض إلى الله ولا أعم شراً من جهل إمام وخرقه . أيها الرعية إن من يأخذ بالعافية لمن بين ظهرانيه يؤتته الله العافية من فوقه

كتب عمر كتاباً في القضاء إلى شريح :
« أما بعد . إذا جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ولا يلفتك عنه الرجال . فإن جاءك أمر ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بها فإن جاءك أمر ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أي الأمرين شئت إن شئت أن تجتهد رأيك وتقدم فتقدم وإن شئت أن تأخر فتأخر ولا أرى التأخير إلا خيراً لك (١) »

وكتب كتاباً في القضاء أيضاً إلى أبي موسى الأشعري :
« أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلى
(١) كنز العمال وكتاب أشهر مشاهير الإسلام والكتاب الذي
يليه من البيان والتبيين

إليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس في مجلسك
ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يخاف ضعيف من
جورك والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر^(١) والصلح
جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا وأحل حراما . ولا يمنعك
قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن
ترجع عنه . فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التهادى في الباطل
الفهم الفهم عند ما يتلجلج في صدرك بما لم يبلغك في كتاب الله ولا
سنة النبي صلى الله عليه وسلم . اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور
عند ذلك ثم اعمد الى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى واجعل
المدعى حقا غائبا أو بينة أمدأ ينتهى اليه فان أحضر بيته أخذت له
بحقه والا وجهت عليه القضاء فان ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى
وأبلغ في العذر . المسلمون عدول . بعضهم على بعض الا مجلوداً
في حد أو مجر با عليه — شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو قرابة فان
الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات . ثم اياك القلق
والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي
يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر فانه من يخاص نيته فيما بينه
وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن
تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله والسلام»

(١) قيل أن أول من قال «البينة على من ادعى واليمين على من أنكر»

وأوصى ابا موسى الأشعري في كتاب له :

« أما بعد فان للناس نفرة عند سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني
واياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة فأقم
الحدود ولو ساعة من نهار وإذا عرض لك أمران أحدهما لله، والآخر
للدنيا فأثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا فان الدنيا تنفد
والآخرة تبقى وكن من خشية الله على وجل وأخف الفساق واجعلهم
يداً يداً ورجلاً رجلاً. وإذا كانت بين القبائل ثائرة وتداعوا بآل
فلان . فاعما تلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيثوا الى
أمر الله وتكون دعواهم الى الله والى الامام . وقد بلغ أمير المؤمنين
ان ضبة تدعو بآل ضبة وإني والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها خيرا
قط ولا منع بها من سوء . قط . فاذا جاءك كتابي هذا فانهمكم
عقوبة حتى يفرقوا ان لم يفقهوا والصق بغيلان بن خرشة من بينهم
وعد مرضى المسلمين واشهد جنازتهم وافتح بابك وياشر أمرهم
بنفسك فانما أنت امرؤ منهم غير ان الله جعلك أثقلهم حملا . وقد بلغ
أمير المؤمنين انه فشالك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك
ومركبك ليس للمسلمين مثلها فاياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة
البيهة التي مرت بواد خصب فلم يكن لها همة الا السمن وإنما
حتفها في السمن . واعلم أن للعامل مردا الى الله فاذا زاغ العامل .

زاعت رعيته وإن اشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام^(١) »
وأبو موسى الأشعري استعمله عمر على البصرة بعد المغيرة
ابن شعبه

حكم عمر وكلماته المأثورة

- ١ - أحبكم إلينا قبل أن نخبركم ، أحسنكم صمتا . فإذا تكلم فأنبئكم
منطقا فإذا اخترنا فأحسنكم فعلا .
- ٢ - أشكو إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوى
- ٣ - أعقل الناس ، اعذرهم للناس
- ٤ - اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فإنها طلاعة تنزع إلى شر
غاية . إن هذا الحق ثقيل مرى . وإن الباطل خفيف وبى .
وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة . ورب نظرة زرعت
شهوة . وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا
- ٥ - إن كان الشغل محمدا . فإن الفراغ مفسدة
- ٦ - إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة ، تن في الممات
- ٧ - إياكم والمعاذير فإن كثيرا منها الكذب
- ٨ - أيما عامل لي ظلم أحدا فبلغتني مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته
- ٩ - تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون
منه ليتواضع لكم من تعلمونه ولا تكونوا من جبابرة العلماء
فلا يقوم عليكم بجهلكم

- ١٠ - تعلموا المهنة فانه يوشك أحدكم أن يحتاج إلى مهته
١١ - ثلاث من النوافر، جار مقامة إن رأى حسنة دفنها وإن رأى
سيئة أذاعها . وامرأة إن دخلت اليها لسنتك . وإن غبت لم
تأمنها . وسلطان لم يحمذك وإن أسأت قتلك
١٢ - ثلاث مهلكات . شح مطاع . وهوى متبع . وإعجاب
المرء بنفسه

١٣ - حسب الرجل ماله، وكرمه دينه، ومروره ته خلقه

١٤ - خالطوا الناس بالأخلاق، وزايلوهم بالأعمال

١٥ - الدخول على الأغنياء فتنة للفقراء

١٦ - الرجال ثلاثة . رجل ترد اليه الأمور فيسددها برأيه ، ورجل
يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل
حائر بأمره لا ياتمر رشداً ولا يطيع مرشداً

١٧ - الرجال ثلاثة . والنساء ثلاثة . فامرأة عفيفة سلمة . هينة لينة

ودود . ولود . تعين أهلها على الدهر ولا تعين على أهلها وقلما

تجدها ، وأخرى وعاء للولد لا تزبد على ذلك شيئاً . وأخرى

غل ^(١) قمل يجعلها الله في عنق من يشاء . والرجال . رجل عاقل

إذا أقبلت الأمور واشتبهت تأمل فيها أمره ونزل عند رأيه

وآخر ينزل به الأمر فلا يعرفه فيأتي ذوى الرأي فينزل عند

رأيهم . وآخر حائر باير لا ياتمر رشداً ولا يطيع أمرا

(١) العل بالضم طوق من حديد يحمل في العنق والجمع أغلال

١٨ - لاتصغرن هممكم فاني لم أر أقعد عن المكرمات
من صغر الهمم

١٩ - لاتتهكوا وجه الأرض فان شحمتها في وجهها

٢٠ - لاشيء أسلب للنعمة من كفرانها وإن الشكر أمن للغير
ونماء للنعمة واستيجاب للزيادة

٢١ - لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني
وقد علم ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة . وأن الله تعالى إنما
يرزق الناس بعضهم من بعض وتلا قوله تعالى : (فاذا قضيت
الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا
الله كثيراً لعلكم تفلحون)

٢٢ - لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً

٢٣ - لقاء الاخوان ، جلاء الأحزان

٢٤ - لو أن الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما ركبت

٢٥ - لومات جمل ضياعاً على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه

٢٦ - ما الخمر صرفاً باذهب لعقول الرجال من الطمع

٢٧ - المحسن على المسيء أمير

٢٨ - من دخل على الملوك ، خرج وهو ساخط على الله

٢٩ - من كتم سره كان الخيار بيده

٣٠ - من كثر ضحكك قلت هيبتك

٣١ - الناس طالبان ، فطالب يطلب الدنيا فإرضوها في نحره فانه

ربما أدرك الذى يطلبه منها فهلك بما أصاب منها . وطالب
يطلب الآخرة . فاذا رأيتم طالبا يطلب الآخرة فنافسوه فيها

٣٢ - يامعشر القراء التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس

٣٣ - نظر عمر بن الخطاب إلى رجل يحمل طفلا على عنقه . فقال

ما هذا منك ؟ قال ابني يا أمير المؤمنين . قال أما إنه إن عاش
فتنك . وإن مات حزنك

٣٤ - وسأل رضى الله عنه رجلا أراد ان يستعين به على عمل عن

اسمه واسم أبيه . فقال ظالم بن مسروق . فقال تظلم أنت
ويسرق أبوك . فلم يستعن به فى شىء

٣٥ - أقبل رجل إلى عمر بن الخطاب فقال له عمر ما اسمك ؟ فقال

شهاب ابن حرقة . قال بمن ؟ قال من أهل حرة النار قال وأين
مسكنك ؟ قال بذات لظى . قال اذهب . إن أهلك قد احترقوا

٣٦ - وكتب إلى أبي موسى الأشعري : مر ذوى القرابات أن
يتزاوروا ولا يتجاوروا

٣٧ - وقال دلوونى على رجل استعمله . قالوا . كيف تريده ؟ قال : إذا

كان فى القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم . وإذا كان أميرهم
كان كأنه رجل منهم . قالوا مانع له إلا الربيع بن زياد الحارثي
قال صدقم هو لها

٣٧ - لا تعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث . لا تتعلمه لثلاث به

ولا لتباهى به ولترانى به ولا تتركه حياء من طلبه ولا

زهادة فيه ولا رضا بالجهل به

٣٩ - ان الناس لم يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم
٤٠ - الرعية مؤدية الى الامام مادى الامام الى الله . فاذا رتع
الامام رتعوا

٤١ - أحب الناس إلى من رفع إلى عيوبى

٤٢ - لا تظن بكلمة خرجت من فى أخيك سوا وأنت تجد لها فى
الخير محملا

٤٣ - وكتب عمر إلى قضاة « إن النساء يعطين رغبة ورهبة فأبما
امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها »

٤٤ - وقام خطيباً فقال « أيها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت
مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاً كم بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم . ما صدق امرأة من نسائه أكثر من
اثنى عشر أوقية » فقامت اليه امرأة فقالت له يا أمير المؤمنين
لم تمنعنا حقاً جعله الله لنا والله يقول (وآتيتم احداهن قنطاراً)
فقال عمر كل أحد أعلم من عمر . ثم قال لأصحابه تسمعوننى
أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه على حتى ترد على امرأة
ليست من أعلم النساء



لا أريد أن أترك حكم عمر رضى الله عنه وكلماته الماثورة تمر

امام نظر القارىء من غير أن أعلق عليها وأرشد إلى ما جاء فيها من
عظة واعتبار ورأى سديد وحكمة بالغة يستفيد منها في حياته ودينه
نعم للقارىء محض الحرية في استنباط الحكمة منها على قدر تجاربه
في الحياة ومعلوماته التي اكتسبها بطريق البحث والدرس ، لكن
هذا لا يمنع المؤلف أن يبدي رأيه إذ قد يلاحظ مالا يلاحظه غيره
لكثرة الاطلاع وطول التفكير في الموضوع الذي هو بصدده على
أن الاستئناس برأى الغير نافع على كل حال . ولا يخفى أن الكلمات
التي اخترناها توقفنا على رأى عمر في بعض المسائل الدينية والديوية
وهو على ما نعلم من أعظم رجال الدنيا بشهادة رسول الله، الصحابة
ورجال التاريخ من عرب ، وعجم

نلاحظ ونفهم من كلمات عمر ووصاياه أنه كان رجلاً عملياً
يغض أن يكون الانسان خالياً من العمل ، عالة على غيره لأن
الفراغ مفسدة وقد أمر المنقطعين إلى العبادة أن يعملوا ويحصلوا
على أرزاقهم . قال [إن كان الشغل محمداً فالفراغ مفسدة] . وقال
[تعلموا المهنة فإنه يوشك أحدكم أن يحتاج إلى مهنته] وقال .
[لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني وقد علم
أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة . وأن الله تعالى إنما يرزق الناس
بعضهم من بعض] وقال يحث القراء على العمل [يامعشر القراء
التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس] فالإسلام دين عمل
ونشاط وسعى وليس دين كسل وقعود وتوان وغفلة . قال تعالى

(هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) سورة تبارك . وليس السعى لطلب الرزق ينافى الاعتقاد بالقضاء والقدر ويجب التماس الرزق من الوجوه التى أحلها الله واجتناب ما حرمه الله كالسرقة والربا والرشوة وبيع المحرمات وأكل أموال الناس بالباطل والظلم . وكان عمر يمقت الطمع لذلك قال [ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع] . إن التماس الرزق مطلوب لكن الطمع ممقوت منهى عنه لما يترتب عليه من الرذائل وقال [ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وأعجاب المرء بنفسه] أما إعجاب المرء بنفسه فمن المهلكات حقاً إذ يمنعه من استشارة غيره والاستفادة بالنصح وإطاعة من هم أكبر منه سنا وعقلا وأكثر تجربة فيستبد برأيه ومن استبد برأيه هلك . وقد كان رسول الله يستشير أصحابه وهو أفضل الخلق قال الشاعر :

له حق وليس عليه حق ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقا عليه لغيره وهو الرسول

وقد شاهدنا العجب متفشياً فى الشبان والغرور متسلطاً عليهم وذلك يجعلهم يندفعون فى تيارات قوية قاتلة فلا يبالون بما يعملون ولا يكثرثون لما يقترفون ولا يهتدون إلى هفواتهم وسقطاتهم ولا يرون مواطن الزلل والخطأ ولا يشعرون بضرورة تكميل النفس بالفضائل والعقل بالعلوم ولا يحبون أن يرشدهم مرشد أو ينقدم ناقد بصير لا يريد إلا الإصلاح

كان عمر رضى الله عنه مع عظم شأنه ورجاحة عقله واشتهار عدله وفضله وتمسكه بكتاب الله وسنة رسوله متواضعاً يحب أن يعرف عيوبه إن كانت له عيوب حتى يصلحها ولا يتهادى في الخطأ إذ قد يصيب أحداً بظلم وهو لا يدري لذلك كان يقول [أحب الناس إلى من رفع إلى عيوبى]. ولما اعترضت عليه امرأة اعترف بالخطأ في الحال وقال [كل أحد أعلم من عمر] ولام أصحابه على سكوتهم قائلاً [تسمعوننى أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه على حتى ترد على امرأة ليست من أعلم النساء] أما الآن فلسان حال الرجل منا يقول عكس ما قال عمر أبغض الناس إلى من رفع إلى عيوبى . إننا لم نر أحداً منزهاً عن العيوب والمرء قد لا يرى عيوبه بنفسه فإذا أرشد إليها عالجها وأصلحها ما دام راغباً في الخير والأصلاح غير معجب بنفسه على أن لا يكون الإرشاد بصيغة الشتم والسخرية لأن النفوس تأبى ذلك . قال تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)

كان عمر حاكماً ولكن لا ككل الحكام بل كان حاكماً يرى الحكم ثقيلاً ومسئوليته عظيمة فعليه أن ينظر في أمر رعيته وينصفهم ولا يظلمهم شيئاً ويتضح ذلك من قوله [أيما عامل لى ظلم أحداً فبلغتنى مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته] فانظر كيف أنه كان يعتبر نفسه ظلماً إذا لم يغير المظلمة وهذا درس لكل حاكم . والرعية كما قال عمر مؤدية إلى الامام ما ادى الامام إلى الله فاذا رتع الامام رتعوا . لأن

الناس إما يقتدون بحكامهم وروؤسائهم فان أساء الحاكم أساء
المحكومون وإن أحسن أحسنوا

خلافة عمر بن الخطاب

أول أعماله

ارسال الجيوش الى العراق

بقيادة أبي عبيد والمثنى

(١٣ - ١٤ هـ اغسطس - مارس سنة ٦٣٤ - ٦٣٥ م)

في صبيحة الليلة التي توفي فيها أبو بكر الصديق صعد عمر المنبر
وألقى على الناس خطبة في المسجد فقال :

« انى قائل كلمات فامنوا عليهن. إنما مثل العربى مثل جمل آنف^(١)
اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقود - وأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم
على الطريق »

كان أول أعمال عمر « الخليفة الجديد » بعد أن بايع الناس ، تنفيذ
وصية أبي بكر وهي المبادرة الى ارسال الجيوش الى العراق وكان
المثنى قد قدم على أبي بكر فى حال مرضه ليفاوضه فى شأن الهجوم
على بلاد فارس لما حدث من الاختلاف فيما بينهم إلا أن أبا بكر
لم يستطع إجابة طلبه لمرضه فأوصى عمر بن الخطاب أن ينتدب

(١) جمل آنف وهو الذى عقره الخطام فلا يمتنع على قائده فى شىء

للوجع فهو ذلول منقاد

الناس بعد توليه منصب الخلافة فندب عمر الناس مع المشي لمحاربة
الفرس فلم ينتدب له أحد لأن الفرس كانوا أثقل الوجوه على
المسلمين واكرهها اليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الأمم فلما
كان اليوم الرابع عاد فانتدب الناس فلما رأى المشي ثقافتهم وإحجامهم
تكلم فقال :

« أيها الناس لا يدعظمن عليكم هذا الوجه فانا قد تبجحنا ربح
فارس وغلبناهم على خير شق السواد [الشق الغربي الذي هو العراق
العربي] وشاطرناهم وندنا منهم واجترأنا عليهم ولنا إنشاء الله ما
بعدها »

وقال عمر رضى الله عنه :

« إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة (طلب الكلاء
أى المرعى) ولا يقوى عايه أهله إلا بذلك . أين الطراء المهاجرون
عن موعود الله . سيرواى الأرض التى وعدكم الله فى الكتاب أن
يورثكموها فانه قال « ليظهره على الدين كله » والله مظهر دينه ومعز
ناصره ومول أهله مواريث الأمم . أين عباد الله الصالحين ؟ »

فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفى وسعد بن عبيد
وسليط بن قيس وتتابع الناس فلما اجتمع ألف قيل لعمر أمر عليهم
رجلا من السابقين من المهاجرين أو الأنصار . قال لا والله لأفعل
إنما رفعهم الله تعالى بسبقهم ومسارعتهم إلى العدو فاذا فعل فعلهم

قوم لا أوامر إلا أولهم انتداباً فأمر أبا عبيد وأعطاه الراية . وهذا
أول جيش سيره عمر

موقعة النمارق ^(١)

بعد ذلك عاد المثنى إلى الحيرة قبل أبي عبيد وكان قد تغيب عنها
شهرًا كان في أثناءها البلاط الملكي الفارسي يعاني تقابلات شتى فاستولى
أمير وأعقبته أميرة وسط سفك الدماء والثورة وأخيراً استدعت
(بوران) وهي سيدة من الأسرة المالكة القائد المشهور « رستم »
على جناح السرعة من خراسان وتوجهه وجعلت إليه حماية البلاد
وسلمته قيادة الجند ثم أرسل رستم جيشين من المدائن أحدهما تحت
قيادة (جابان) ليعبر الفرات وليتقدم نحو الحيرة والآخر بقيادة
(نرسی) ليحتل كسكر على أقرب جهة وجمع المثنى الجموع وهم قليل
فغادروا الحيرة وتركوها للعدو وخرجوا إلى الصحراء . إلى
الطريق المؤدية إلى المدينة . وهناك انتظروا أبا عبيد الذي لم يحضر
إلا بعد شهر ومع القبائل الموالية الذين جمعهم في طريقه . وبعد أن
استراح بضعة أيام قاد الجيش وهاجم جابان (بالمارق) وأجلاه
إلى الفرار

(١) موضع قرب الكوفة

موقعة الجسر

شعبان سنة ١٣ هـ (اكتوبر سنة ٦٣٤ م)

ويقال لها قس الناطف ويقال المروحة^(١) عبر أبو عبيد الفرات وفاجأ القائد نرسی واستولى على معسكره وغنم شيئاً كثيراً من التمر الجيد المسمى بالنرسیان لا يأكله إلا الملك أو من اكرمه بشيء منها فوزعه على الجيش وأرسل الخمس لعمر وكتب اليه : « إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكارسة يحمونها وأحببنا أن تروها ولتذكروا أنعام الله وأفضاله » وأتت القبائل المجاورة وقدمت الجزية برهاناً على ولايتهم وأولموا لأبي عبيد وليمة فاخرة فأبى أن يحضرها إلا مع جيشه فجاء الجيش وأكلوا

تغيظ رستم من الهزيمة فأعد قوة أكبر من الأولى تحت قيادة القائد العظيم (بهمن) المعروف بذي الحاجب وإنما قيل لهذا الحاجب لأنه كان يعصب حاجبيه بعصابة يرفعها كبراً ومعه فيلة بالجلال فاقبل بهمن ومعه راية كسرى « درفش كايان » وكانت من جلود النمر عرض ثمانية أذرع في طول اثني عشر ذراعاً فنزل « بقس الناطف ». وأقبل أبو عبيد فنزل بالمروحة وعبر الفرات وعسكر جيشه في الشاطيء الغربي وعسكر بهمن في الشاطيء المقابل ولم تكن

(١) قس الناطف موضع قريب من الكوفة علي شاطيء الفرات الشرقي

والمروحة بشاطيء الفرات الغربي

ساحة القتال تبعد عن بابل كثيراً. فبعث بهم من الى أبي عبيد: إما أن
تعبروا الينا وندعكم والعبور وإما أن تدعونا نعبركم اليكم. فقال الناس
لا تعبروا يا أبا عبيد . تنهاك عن العبور فقال « لا يكونوا أجراً على
الموت منا » فعبروا اليهم على « جسر » وضاعت الأرض بأهلها واقتتلوا
فلما رأت خيول العرب الفيلة رأت شيئاً منكرآ لم تكن رأت
مثله فلم تقدم عليها وإذا حملت الفرس على المسلمين بالفيلة
والجلاجل فرقت خيولهم وأوقعت الارتباك في صفوفهم ورموهم
بالنشاب واشتد الأمر بالمسلمين فترجل أبو عبيد والناس ثم مشوا
اليهم وصاحفهم بالسيف فنادى أبو عبيد احتوشوا الفيلة وقطعوا بطانها
(حزامها) وأقلبوا عنها أهلها « ووثب هو على الفيل الأبيض فقطع
بطانه ووقع الذين عليه وفعل القوم مثل ذلك بشجاعة فما تركوا
فيلا إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه وأهوى الفيل لأبي عبيد فضربه
بالسيف وخبطه الفيل بيده فوق فوطئه الفيل وقام عليه . فلما بصر به
الناس تحت الفيل خشعت أنفس بعضهم وقتل سبعة من ثقيف حمل
كل واحد منهم اللواء بعد الآخر ثم أخذ اللواء المثني فهرب منه الناس
فلما رأى عبدالله بن مرثد الثقفي مالتى أبو عبيد وخلفاؤه وما يصنع
الناس بادروهم الى الجسر وقطعه وقال :

« أيها الناس موتوا على ما مات عليه امرؤكم أو تظفروا » وحاز
المشركون المسلمين إلى الجسر فتوالت بعضهم إلى الفرات ففرق من
لم يصر ووصل بعضهم إلى الشاطئ. الآخر وحى المثني وفرسان من

المسلمين الناس وقال « أنا دونكم فاعبروا على هيئتكم ولا تدهشوا ولا تغرقوا أنفسكم » وقاتل عروة بن زيد الخيل قتالا شديداً وأبو محجن الثقفي وقاتل أبو زيد الطائي حمية للعربية وكان نصرانيا قدم الحيرة لبعض أمره . ونادى المثني « من عبر نجا » فعقد الجسر وعبر الناس . وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس وجرح المثني وأُخبر عمر عن سار في البلاد استحياء من الهزيمة فاشتد عليه ذلك وقال « اللهم ان كل مسلم في حل مني . أنا فيئة كل مسلم . يرحم الله أبا عبيد لو كان انحاز الى لكنت له فيئه . وكان أول من قدم المدينة بخبر الناس عبد الله بن زيد بن الحصين الحطمي وكان معاذ القاري . من الذين فروا إلى المدينة فكان اذا قرأ هذه الآية . ومن يولهم يومئذ بره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد بام بغضب من بالله ومأواه جهنم وبئس المصير » بكى فيقول عمر « لا تبك يا معاذ أنا فئتك وإنما انحزت إلى

وكان عدد جيش المسلمين ٩٠٠٠ مات منهم ٤٠٠٠ بين قتل وجريح وغريق وهرب ٢٠٠٠ وبقي مع المثني ٣٠٠٠ وقتل من الفرس نحو ٦٠٠٠

وبعد الواقعة كان بهم من على وشك عبور النهر لتابعة انتصاره غير انه بلغه خبر حدوث ثورة في المدائن عاصمة الفرس مؤداها أن الفرس ثاروا برستم ونقضوا الذي بينهم وبينه وصاروا فريقين فعاد مسرعاً وهكذا كانت اضطرابات الفرس الداخلية سبباً في جمع شمل المسلمين وانتصارهم

(أسباب هزيمة المسلمين)

سبب هزيمة المسلمين في هذه الموقعة هو عبور جيش المسلمين إلى جهة الفرس مع أنهم حذروا أبا عبيد لكنه ظن أن في العبور اليهم شجاعة. ويذكر القارىء أن خالد بن الوليد ثبت في مكانه وأبى العبور في موقعة الغراض ولم يعتبر ذلك جنأً . وبما زاد الطين بله أن عبد الله بن مرثد الثقفي قطع على المسلمين الجسر فحسروا وارتبكوا وغرق كثير منهم ولو لا شجاعة المثنى لبادوا عن آخرهم لكنه وباللأسف أصيب وكانت إصابته سيئاً في وفاته كما سيأتي وقد خسر المسلمون بفقد قائد أعظيماً وقد قتل في هذه المعركة أبو عبيد قائد الجيش تحت الفيل ولا يخفى أن قتل القائد العام له تأثير سيء في نفوس الجند ولا سيما في حروب العرب في تلك الأيام لوجوده في المقدمة فكانوا يعتبرون انخذه أو قتله انخدالاً للجيش

أليس الصغرى

ثم إن المثنى سار إلى أليس وعسكر هنالك وحافظ على فتوحه السابقة ولم يعلم جابان برجوع بهم من فوق أسيراً في أيدي المسلمين وقتل . وكانت حالة المسلمين غامضة غير أن من كان مثل المثنى لا يداخله اليأس فوجد جيشاً من القبائل التي حوله وتمكن من تثبيت مركزه

وفي الطبري خرج جابان ومردا نشاه حتى أخذنا بالطريق وهم
يون أنهم سيرفضون ولا يشعرون بما جاء ذا الحاجب (بهمن) من
انقسام أهل فارس فلما ارفض أهل فارس وخرج بهممن في آثارهم
وبلغ المثنى فعلة جابان ومردا نشاه استخلف على الناس عاصم بن
عمرو وخرج في جريدة يريد هما فظنا انه هارب فاعترضاه فأخذهما
أسيرين وخرج أهل اليس على اصحابهما فأتوه بهم اسراء وعقد لهم بها
ذمة وقدمها وقال اتما غررتما أميرنا وكذبتما واستفزتماه فضرب
اعناقها وضرب اعناق الأسرى ثم رجع إلى عسكره وهرب ابو
محجن من اليس ولم يرجع مع المثنى

موقعه البويب^(١) - يوم الاغشار

شهر رمضان سنة ١٣ هـ (نوفمبر سنة ٦٣٤)

استاء عمر بن الخطاب من انكسار المسلمين بالجرس وفرارهم
لكنه تلقى الخبر بهدوء ولم يؤنب الفارين ثم انه ندب الناس إلى
المثنى وكان فيمن ندب بجيلة وأمرهم إلى جرير بن عبد الله فلما
اجتمعوا أمرهم بالعراق إلا أنهم كانوا يرغبون المسير إلى الشام
لكثرة الخيرات والغنائم فوعد أن ينقلهم ربع الخمس فأجابوا سيرهم
إلى المثنى وبعث عصمة بن عبد الله الضبي فيمن تبعه إلى المثنى. كذلك
أرسل كل من أتى من أهل الردة ثم أن المثنى بعث الرسل فيمن يليه

(١) البويب بلفظ التصغير نهر كان بالعراق

من العرب فتوافوا اليه في جمع عظيم وكان فمين جاءه أنس بن هلال النمرى في جمع عظيم من النمر وهم نصارى وقالوا نقاتل مع قومنا وبلغ رستم والفيروزان ذلك وأتهم العيسون به وبما ينتظرون من الامداد واجتمعا على ان يعيشا مهران الهمداني نخرج في الخيول وامراه بالحيرة . فسمع المثنى ذلك وهو بين القادسية وخفان^(١) وعلم بواسطة جاسوسه ان الامور استتبت في المدائن وان جيشا كبيرا ارسل لمحاربه فاستبطن فرات بادقلى وكتب إلى جرير وعصمة وكل من اتاه ممدأ ان موعدهم « البويب » على الفرع الغربي من الفرات فوافوه هنالك ومهران بازائه من وراء الفرات . فأرسل مهران إلى المثنى اما ان تعبر الينا وإما ان نعبرك اليك فأبى المثنى العبور وكان عمر حذره من عبور النهر إلا بعد الاتتصار فقال اعبروا الينا فعبر مهران فنزل على شاطيء الفرات وكان ذلك في شهر رمضان فأمرهم بالافطار ليقووا على عدوهم فأفطروا

تقدم الفرس في ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ومشاتهم امام فيلهم ولهم زجل فقال المثنى « إن الذى تسمعون فشل فالزموا الصمت وطاف المثنى في صفوفه يعهد اليهم وهو على فرسه «الشموس» وإنما سمي بذلك لئنه وكان لا يركبه إلا إذا قاتل فرقف على الرايات يحرضهم ويهزمهم ويقول لكل «انى لأرجوان لا يؤتى الناس من قبلكم اليوم والله مايسرنى اليوم لنفسى شيء الا وهو

(١) خفان بالتشديد موضع قرب الكوفة . قيل هو فوق القادسية

يسرني لعامتكم» فيجوبونه بمثل ذلك لأنه كان محبوبا لديهم وقال إنى
مكبر ثلاثا فبيثوا ثم احموا فى الرابعة لكنه ما كاد يكبر حتى
أعجلتهم الفرس وخالطوهم وركدت خيلهم وحربهم مليا فرأى
المثنى خلا فى بنى عجل فجعل يمد لحيته لما يرى منهم وأرسل اليهم
يقول « الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لا تفضحوا المسلمين
اليوم» فقالوا نعم واعتدلوا فضحك فرحا . فلما طال القتال واشتد قال
المثنى لأنس بن هلال النمري « انك امرؤ عربى وإن لم تكن على
ديننا فاذا حملت على مهران فاحمل معى » فحمل المثنى على مهران فازاله
حتى دخل فى ميمنته ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار
والجنبات تقبل لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم لا المسمون
ولا المشركون وأصيب مسعود أخو المثنى وتضعض من معه فقال
« يامعشر بكر ارفعوا رايتكم رفعكم الله ولا يهولنكم مصرعى »
وكان المثنى قال لهم « اذا رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أتم فيه . الزموا
مصافكم واغنوا عن يليككم » واشتبك قلب المسلمين مع قلب
المشركين فى قتال عنيف . وقتل غلام نصرانى من تغلب (مهران)
واستوى على فرسه وأقنى المثنى قلب المشركين فلما رأى مجنبات
المسلمون ذلك قاتلوا مجنبات المشركين بشجاعة حتى هزموا الفرس
وسبقهم المثنى إلى الجسر وأخذ طريق الأعاجم وأخذتهم خيول
المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثثا فما كانت بين المسلمين والفرس
وقعة أبقي رمة منها . بقيت عظام القتلى زمنا طويلا وكانوا يقدرون

القتلى مائة ألف . وسمى ذلك اليوم الأعراس أحصى مائة رجل قتل كل رجل منهم عشرة فكانوا يفتخرون بذلك وغيرهم قتل تسعة فسموا أصحاب التسعة . وندم المثنى على أخذه بالجسر «وقال عجزت عجزة وقي الله شرها بمسابقتي إياهم إلى الجسر حتى أخرجتهم فلا تعودوا أيها الناس إلى مثلها فانها كانت زلة فلا ينبغي إخراج من لا يقوى على امتناع» . يريد أنه بحجزه الجسر سبب خسارة لرجاله ومات ناس من الجرحي منهم مسعود أخو المثنى وخالد بن هلال فصلى عليهم المثنى وقال «والله ليهون وجدى أن صبروا وشهدوا البويب ولم ينكلوا» وكانت غنائم المسلمين عظيمة فغنموا شيئاً كثيراً من الحبوب والدقيق والبقر والغنم فقسمها المثنى فيهم ونقل أهل البلاد وأعطى بحيلة ربع الخمس كما أمر أمير المؤمنين

بعد ذلك كتب القواد الذين قادوا الناس في الطلب إلى المثنى وكتب عاصم وعصمة وجرير «إن الله عز وجل قد سلم وكفى ووجه لنا ما رأيت وليس دون القوم شيء فتأذن لنا في الاقدام» فاذن لهم فاغاروا حتى بلغوا ساباط وتحصن أهل ساباط منهم واستباحوا القرى دونهم وتبعهم الناس ثم رجعوا إلى المثنى

سوق الخنافس - وسوق بغداد

غزوة الأنبار الآخرة - وغزوة أليس الآخرة

سم سار المثنى في السواد وترك بالحيرة بشير بن الخصاصية ونزل أليس قرية من قرى الأنبار وهذه الغزوة تدعى غزوة الأنبار الآخرة وغزوة أليس الآخرة. وجاء المثنى رجلان أحدهما انبارى والآخر حيرى يدله كل واحد منهما على سوق. فأما الانبارى فدله على سوق الخنافس. وأما الحيرى فدله على سوق بغداد فقال المثنى أيتها قبل صاحبتكما ، فقالا بينهما أيام . قال أيهما أعجل ، قال اسواق الخنافس ويجتمع بها ربيعة وقضاة يخفرونهم فاستعد لها المثنى حتى إذا ظن أنه موافقها يوم سوقها ركب نحوهم فاغار على الخنافس فاتهب السوق وما فيها . ثم رجع فأتى الأنبار فتحصن أهلها منه فلما عرفوه نزلوا إليه وأتوه بالاعلاف والزاد وأخذ منهم الأدلاء على سوق بغداد وسار ليلا إليها وصبحهم في أسواقهم فوضع السيف فيهم وأخذ ماشاء. وقال المثنى « لا تأخذوا إلا الذهب والفضة والخز من كل شيء » ثم عاد راجعاً حتى نزل بنهر السَّيْلَحَيْنِ بالأنبار ثم واصل زحفه حتى بلغ شمال تكريت وكتب إلى عمر بأخبار غزوته.

كلمة عن الشام

قبل أن نذكر غزو المسلمين للشام يجدر بنا أن نكتب كلمة عنها وعن بلادها وشهرتها وحاصلاتها وأقسامها وتاريخها حتى يكون القارئ على علم بالبلاد التي سيقراً فتوحها :

قال ياقوت : حد الشام من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية . وأما عرضها فمن جبلى طيء من نحو القبلة إلى بحر الروم ولها من أمهات المدن مَسِج^(١) وحلب وحماة وحمص ودمشق والبيت المقدس والمعرة وفي الساحل أنطاكية وطرابلس وعكا وصور وعسقلان وغير ذلك . وهي خمسة أجناد . جند قنسرين وجند دمشق وجند الأردن وجند فلسطين وجند حمص . ويعد في الشام أيضاً الثغور وهي المصيصة وطرسوس وإذنة وانطاكية وجميع العواصم من مرعش والحدث وبفراس والبلقاء وغير ذلك

وقال ابن الأثير أرض الشام إقليم عظيم الخيرات واسع البركات ذو بساتين وجنات ومنتزهات وفواكه مختلفات والفاكهة رخيصة

(١) مَسِج هي مدينة كبيرة واسعة كثيرة الخيرات واسعة الأرزاق في فضاء من الأرض كان عليها سور مبني بالحجارة محكم بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ ومنها البحرى وله بها أملاك وفي كتاب الفتوح أن أبا عبيدة بعد فتح حلب وأنطاكية قدم عياضاً إلى مَسِج ثم لحقه وقد صالح أهلها مثل صلح أنطاكية فأنفذ ذلك

واللحوم كثيرة إلا أنه كثير الأمطار والثلوج وهو يشتمل على ٣٠ قلعة ليس فيها قلعة ممتعة إلا قلعة الكرك . وإقليم الشام يشتمل على ككور^(١) مثل كورة فلسطين وعمواس ولد ونيا وقيسارية ونابلس وسبطة وعسقلان وغزة وجبريل وفي جنوبه قمص التيه وكورة الشوبك والأردن والسابرة وعانة وقاصرة وصور . وأرض دمشق ومن كورها الغوطة والبقاع وبعلبك ولبنان والذل وبيروت والبيثنة وجول وجولان وطاهر والحولة وطرابلس والبلقاء . وجيرين الغور وكفر طاب وعمان السراة . ومن مدن الشام المشهورة دمشق وفلسطين ونابلس وعسقلان وبيت المقدس وطبرية وحمص وحماة وبعلبك وحلب والعواصم والرصافة . وأما أرض السراة فهي من الشوبك إلى جهة الغرب ومنها إلى الحيمة

وقال القزويني الشام هي الأرض المقدسة التي جعلها الله تعالى منزل الأنبياء ومهبط الوحي ومحل الأولياء . هوؤها طيب وماؤها عذب وأهلها أحسن الناس خلقا وخلقها وزيارورة . ومن خواصها أن لا تخلو من الأولياء والابدال الذين يرحم الله تعالى ويعفو بدعاتهم لا يزيدون على سبعين ولا ينقصون ولا يسكنون إلا جبل اللكام . ومن خواصها الطاعات الثلاث الطعن والطاعة والطاعون اما الطعن فمشهور أن أجنادها شجعان وأما الطاعة فما يضرب به

(١) الكورة بالضم المدينة والصقع وقيل لكل مصر كورة وهي البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال والجمع ككور

المثل حتى قيل إنما تمشى الأمر معاوية لأنه كان في اطوع جند و كان
على في أعصى جند وهم أهل العراق . وأما الطاعون فكثير الحدوث
فيها (وقد انقضى أمره من مدة طويلة) . قال وبالشام من أنواع
الفواكه ما هو في غاية الحسن والطيب وتفاحها كانت يحمل إلى
العراق لأجل الخلفاء وكذلك الزبيب الركا في فانه في غاية الصفاء
قال المسعودي أول من ملك الشام من اليمن فالغ بن هور ثم
ملك بعده سومات وهو أيوب بن رزاح ثم غلبت الروم على ديارها
ففرقوا في البلاد وكانت قضاة من مالك بن حمير أول من نزل للشام
وانضافوا إلى ملوك الروم فملكوها بعد أن دخلوا في النصرانية على
من حوى الشام من العرب . وكان أول من ملك من تنوخ النعمان
ابن عمرو بن مالك ثم عمرو بن النعمان ثم الحواري بن النعمان ولم
يملك من تنوخ غير هؤلاء ثم وردت سليح الشام . فغلبت تنوخ
وتنصر من ملكته من الروم على العرب الذين بالشام . وتفرقت
قبائل العرب لما كان بمأرب من أمر السد وأتت غسان إلى الشام
فغلبت على من بها من العرب فملكها الروم على العرب : فكان أول
من ملك منهم الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ
القيس بن ثعلبة بن ماس بن غسان وآخرهم جبلة بن الايهم . ثم
فتحها المسلمون

(هوا. الشام)

إن إقليم الشام مختلف التربة كثير الجبال والسهول ولذلك

يختلف الهواء فيه بين الحرارة والبرودة والاعتدال فترى جبال لبنان وانطيلبنان - الجبل الشرقي - يكلها الثلج فترطب هواء جوارها وتحسنه بحيث يصبح جيداً يستشفى به . وتتفجر المياه العذبة من العيون اللبنانية باردة مثلوجة . ويقارب لبنان جبل طوروس فانه يبعث ببرودة ثلجة لشمالى سوريا . كل هذا بخلاف القطر الجنوبي حيث لاتصل برودة لبنان ولا ينزل الثلج الا نادراً وعلى قلة لاتكاد تذكر ، أما الثغور البحرية فان الاعتدال ضارب أطنا به فى أكثرها لأن هواء البحر نهاراً وهواء البر ليلاً يربطان حرارتها . ومع ذلك فان كثيرين من سكانها يبارحونها فى شهر الصيف إلى لبنان تمتعاً بمائه العذب وهوائه الصحيح

(حاصلات الشام)

من الأشجار الصنوبر والبلوط والحور والازدرخت والميس والزيون والنخيل والجميز والكرم والجوز والتوت واللوز والصفصاف والأرز والسرو والشربين والصفراء والآس ومن الفواكه التين والتفاح والمشمش والكمثرى والخوخ والاترج والدراقن والليمون بأنواعها والمان والصبير ومن الحبوب الحنطة والشعير والعدس والماش والكرسة والحمص والفل والذرة والسهم الخ ومن نتاجها أيضاً الخروع والسوس والجلنار والعناب والزعرور وقصب السكر وشجر الحناء والورد والياسمين والفل

والقرنفل والترجس الخ

(الأنهار والبحيرات)

«نهر حلب» يخرج من الجبال الواقعة بجوار عين تاب ويجرى جنوبا حتى حلب ويقال له نهر قويق

«نهر العاصي» وهو يصدر من نبع اللبوة شمالى بعلبك ويجرى شمالا نحو انطاكية ثم ينحرف إلى الجنوب الغربي ويمر بين اللكام والاقرع ويصب في البحر عند السويدية ويخرج من جبل اللكام ثلاثة أنهر هي . عفرين . ويغرا والنهر الأسود وتصب في بحيرة انطاكية . ومن جبال النصيرية يخرج النهر الكبير ويصب بقرب اللاذقية ويليه جنوبا نهر الصنوبر ثم نهر الملك والأنهر المعروفة بالحسين والكبير وعكار والبارد وكلها تخرج من جبال النصيرية وتصب في بحر الروم . ومن لبنان يخرج نهر أبي علي من سفح جبل تحت الأرز عند بشرة ويجرى إلى الجنوب الغربي ويصب عند طرابلس بعد أن يضاف إليه نهران يتمال لهما رشعين وجوعيت ويلى هذا نهر ابراهيم ومخرجه بقرب العاقورة ويصب إلى الجنوب من جليل ويليه جنوبا «نهر الكلب» مخرجه من مغارة جعيتا ويصب في البحر إلى جنوبي جونة كسروان

«ونهر بيروت» من نهرين أحدهما من قرب ترشيش وكفر

سلوان والآخر من فالوغا ويصب قرب بيروت

«ونهر الدامور» مجتمع من نهر الغابون الخارج من قرب

محمدون ومن نهر الصفا من جوارعين زحلتا وفي ماء نبع القاعة وعين
دارة وكل هذه المياه تجتمع عند جسر القاضى وتذهب غربا إلى بحر
الروم قرب معلقة الدامور

« ونهر الاولى » مخرجه من الباروك ويصب في البحر قرب صيدا
« ونهر الليطاني » مخرجه بقرب بعلبك ويصب بجوار صور
ويسمى هنالك نهر القاسمية ويليه « النهر المقطع » مخرجه من شرقى
سهل بن عامر ويصب قرب حيفا وبعده النهر الأعوج يخرج من
جوار لد ويصب قرب يافا

« ونهر بردى » مخرجه قرب الزبدانى ويضاف اليه ماء عين فيجة
ويصب في بحيرة المرج ويليه « النهر الأعوج » غير المذكور آنفا
« أما نهر الأردن » فمجتمع عدة مياه منها النهر الحاصباني وبانياس
وتل القاضى وكلها تصب في الحولة وتجري منها إلى بحيرة طبرية ومن
هذه يخرج نهر الأردن ويجرى متعرجا إلى بحيرة لوط ويضاف اليه
« اليرموك » والزرقاء قبل الوصول إليها

أما البحيرات فهي المنسوبة لانطا كنية وأفاميا وحمص والمرج
وبركة ران والحولة وطبرية ولوط ويقال لهذا البحر الميت وفيها
يغور الماء ولا يخرج منها ولذلك مر طعمه وثقل بحيث يعوم ما يغرق
فيه (١)

بحيرة طبرية تحت سطح البحر على ١٣١٦ قدماً وفيها أسماك

(١) دائرة المعارف العربية للبيستاني

كثيرة . أما بحيرة لوط فلا يعيش فيها حيوان فكان نهر الاردن الذي يجري من بحيرة طبرية وينتهي ببخيرة لوط هو في أوله حياة وفي آخره موت وهذا لانظير له في العالم^(١)

تاريخ العرب بالشام

قبل الاسلام

يرجع تاريخ العرب بالشام إلى زمن بعيد يقدر بأكثر من ٢٥٠٠ سنة ويقال أن العرب دخلوا فلسطين قبل الاسلام بقرون ولما حاصر الاسكندر غزة كانت حاميتها عربياً وكان العرب وقتئذ يحتلون لبنان وكان الحارث حاكم دمشق عربياً لما دخلها بولس الرسول وملوك النبطيين عرب من بقايا العمالقة وهم قوم من عاد. وقيل أول من دخل الشام من العرب سليح وهو من غسان فدانت بالنصرانية ومالك عليها ملك رجلا منهم يقال له النعمان بن عمرو بن مالك. وبنو غسان أصلهم من اليمن والازد بنى كهلان وحكم ملوك غسان حوران والبلقاء والغوطة وحمص ودمشق وفي الشمال نزل التنوخيون قبل الاسلام بقرون ودخلوا في دين النصرانية والسبب في هجرة العرب إلى الشام الجذب والطاعون فقد أصاب الناس في زمان داود طاعون جارف فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس فدعا الله في كشف الطاعون عنهم فاستجاب له ورفع

(١) خطط الشام للاستاذ كرد علي جزء أول ص ٥٥

الطاعون فاتخذوا ذلك الموضع مسجدا وتوفي قبل أن يتم بناءه
وأوصى إلى ابنه سليمان بآتمامه . وبعد أن توفي داود أتم سليمان بناء
المسجد ، بناه بالرخام وزخرفه بالذهب ورضعه بالجواهر

وهاجر اليمنيون بسبب سيل العرم على أهل مأرب . وأهل
حماة قوم من اليمن وكذا أهل حمص وشيزر واللاذقية وجبلة
همدان وانطرطوس

وكانت دمشق منازل ملوك غسان والأغلب على أهلها أهل
اليمن وفي أطراف بعلبك قوم من اليمن وصيدا بها قوم من
قريش ومن اليمن

وكانت اللغة العربية يتكلم بها قبل الفتح الاسلامي بزمن طويل
لما ثبت من انتشار الغسانيين والتتوخيين والسبأيين عدا اللغات
السامية واللاتينية واليونانية . ولم تلبث اللغة العربية سبعين عاما
للفتح الاسلامي حتى انتشرت في الشام

غزو الشام

سنة ١٣ - ١٤ هـ (٦٣٤ - ٦٣٥ م)

فتح دمشق

إن البلاد التي نزل بها المسلمون جهة شرق نهر الأردن ليست
كغيرها من البلاد التي عرفوها من قبل ففي الجنوب مراعى البلقاء
وفي شمالها مراعى جولان وبينهما تلال وأودية وحقول القمح

والشعير واشجار البلوط والزيتون والجميز وغابات الآس . فهي
بلا ريب أرض جميلة . إنها أرض الأنهار والعيون التي تتفجر في
الأودية . والتلال المكسوة بالخرصة والازهار وتغرد فيها الاطيوار
والبلاد أهلة بالسكان الذين نصفهم عرب ونصفهم سوريون

أما دمشق فهي من أقدم مدن العالم وكانت عاصمة الشام من
قديم الزمان وهي على سهل تسقيه الجداول التي تنبع من الجبال
المجاورة وتحوطها المراعي والغابات الجميلة وعدا ذلك هي مركز
للتجارة بين الشرق والغرب وبها سور قديم يبلغ ارتفاعه ٢٠
قدماً وعرضه ١٥ قدماً وعلى أبوابه بروج معدة للدفاع

قال ياقوت : دمشق هي البلدة المشهورة قسبة الشام وهي « جنة
الأرض » بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة
ونزاهة رفعة وكثرة مياه ووجود مآرب . قيل سميت بذلك لأنهم
دمشقوا في بنائها أي أسرعوا . وناقاة دمشق سريعة وناقاة دمشق
اللحم خفيفه . وقال أهل السير سميت دمشق بدمشقان بن قاني بن
لامك بن ارفخشذ بن سام بن نوح . فهذا قول بن الكلبي وقال
في موضع آخر ولد يقطان بن عابر سالف وهم السلف

قال الأصمعي : جنان الدنيا ثلاث غوطة دمشق ونهر بلخ ونهر
الابلة . وفي الاخبار أن ابراهيم ولد في غوطه دمشق في قرية يقال لها
برزة في جبل قاسيون ويقال أنها كانت مأوى الأنبياء ومصلاها
والمغارة التي في جبل النيرب يقال أنها كانت مأوى عيسى ومسجد

إبراهيم أحدهما في الأشعريين والآخر في برزة ويقال أن هوداً بنى الحائط القبلي من الجامع وبها قبور الصحابة ودورهم المشهورة بهم ما ليس في غيرها من البلدان إلى الآن ومن خصائص دمشق كثرة الأنهار وهي في أرض مستوية تحيط بها من جميع جهاتها الجبال الشاهقة وبها مغاور كثيرة وكهوف وآثار الأنبياء والصالحين مما لا يوجد في غيرها وبها فواكه كثيرة



لما انتصر المسلمون باليرموك استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب بن أبي الحميري وخرج أبو عبيدة حتى نزل بالصفرة فأتاه الخبر بأن الروم اجتمعوا بفحل من بلاد الأردن وأن المدد قد أتى أهل دمشق من حمص فلم يدر هل يبدأ بالفحل أو بدمشق فكتب إلى عمر وأقام بالصفرة ينتظر الجواب فلما جاء عمر فتح اليرموك أقر الأمراء على ما كان استعملهم عليه أبو بكر إلا ما كان من عمرو بن العاص وخالد بن الوليد فإنه ضم خالد إلى أبي عبيدة وأمر عمر أجمعونة الناس حتى يصير الحرب إلى فلسطين ثم يتولى حربها وكتب إلى أبي عبيدة :
« أما بعد فابدؤا بدمشق فانهدوا لها فانها حصن الشام وبيت مملكتهم واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بازائهم في نحوهم وأهل فلسطين وأهل حمص فان فتحها الله قبل دمشق فذاك الذي نحب وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فليزل بدمشق من

يمسك بها ودعوها وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل
فان فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حمص ودع شرحبيل
وعمرأ وأخلفهما بالأردن وفلسطين وأمير كل بلد وجند على الناس
حتى يخرجوا من إمارته »

سرح أبو عبيدة إلى فحل عشرة قواد وهم :

- (١) أبو الأعور السلي (٢) عبد عمرو بن يزيد بن عامر الجرشي
 - (٣) عامر بن حثمة (٤) عمرو بن كليب (٥) عمارة بن الصعق بن
 - كعب (٦) صيفي بن علبة بن شامل (٧) عمرو بن الحبيب بن عمرو
 - (٨) لبدة بن عامر بن خثعمة (٩) بشر بن عصمة (١٠) عمارة
- ابن مخش

وولى عمارة بن مخش قائداً عليهم وعلى كل رجل خمسة قواد
وكانت الرؤساء من الصحابة حتى لا يجدوا من يحتمل ذلك منهم
سار الجيش من الصفر حتى نزلوا قريباً من فحل فلما رأت الروم
أن الجنود تريدن بثقوا المياه حول فحل فوحت الأرض واغتم
المسلمون من ذلك فحبسوا على المسلمين بها ٨٠٠٠٠ فارس وكان
أول محصور بالشام أهل فحل ثم أهل دمشق

وبعث أبو عبيدة ذا الكلاع حتى كان بين دمشق وحمص
رداء وبعث علقمة بن حكيم ومسروقاً فكانا بين دمشق وفلسطين
ففضل وفضل بأبي عبيدة من المرج وقدام خالد بن الوليد وعلى مجنبيه
عمرو وأبو عبيدة وعلى الخيل عياض وعلى الرجل (المشاة) شرحبيل

حصار دمشق

١٦ محرم سنة ١٤ هـ - ١٣ مارس سنة ٦٣٥ م

قدم جيش المسلمين على دمشق وعليها نسطاس بن نسطوس
فحصروا أهل دمشق ونزلوا حوالها فكان أبو عبيدة على ناحية
وعمر و على ناحية ويزيد على ناحية . وهرقل يومئذ بحمص ومدينة
حصص بينه وبينهم فحاصروا أهل دمشق نحو من سبعين ليلة حصارا
شديدا^(١) بالزحوف والترامي والمجانيق وهم معصمون بالمدينة يرجون
الغياث وهرقل منهم قريب وقد استمدوه وذو الكلاع بين المسلمين
وبين حصص على رأس ليلة من دمشق كأنه يريد حصص وجاءت خيول
هرقل مغيثة لأهل دمشق فأشجتها الخيول التي مع ذي الكلاع
وشغاتها عن الناس فاحتهموا ونزلوا بازائه وأهل دمشق على حالهم
فلما أيقن أهل دمشق أن الأمداد لا تصل إليهم فشلوا ووهنوا
وازداد المسلمون طمعا فيهم وقد كانوا يرون أنها كالغارات قبل
ذلك إذا هجم البرد قفل الناس . فسقط النجم والقوم مقيمون
فعند ذلك انقطع رجاؤهم وندموا على دخول دمشق

وولد للبطريق الذي على أهل دمشق مولود فأكل القوم وشربوا
وغفلوا عن موافقهم ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان
من خالد فانه كان لا ينام ولا ينيم ولا يخفى عليه من أمورهم شيء -

(١) قال ابن إسحاق حاصروها ستة أشهر

عيونه ذاكية وهو معنى بما يليه قد اتخذ حبالا كهيئة الاسلام فلما
أمسى من ذلك اليوم نهد ومن معه من جنده الذين قدم بهم عليهم
وتقدمهم هو والقعقاع بن عمر ومذعور بن عدى وأمثاله من أصحابه
في أول يومه وقالوا إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا وانهدوا
للباب فلما انتهى إلى الباب الذي يليه هو وأصحابه المنقدمون رموا
بالحبال الشرف وعلى ظهورهم القرب التي قطعوا بها خندقهم . فلما
ثبت لهم حبلان تسلق فيهما القعقاع ومذعور ثم لم يدعأ أحبولة
إلا أثبتاها وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق
أكثره ماء وأشدّه مدخلا وتوافوا لذلك فلم يبق ممن دخل معه أحد
إلا رقى أو دنا من الباب حتى إذا استووا على السور حدر عامة
أصحابه وانحدر معهم وخاف من يحمى ذلك المكان لمن يرتقى وأمرهم
بالتكبير فكبر الذين على رأس السور فنهد المسلمون إلى الباب
ومال إلى الحبال بشر كثير فوثبوا فيها وانهى خالد إلى أول من
يليه فأنامهم وانحدر إلى الباب فقتل البوابين وثار أهل المدينة وفزع
سائر الناس فأخذوا موافقهم ولا يدرون ما الشأن وتشاغل أهل
كل ناحية بما يليهم وقطع خالد بن الوليد ومن معه أغلاق الباب
بالسيوف وفتحوا للمسلمين فأقبلوا عليهم من داخل حتى ما بقى مما يلي
باب خالد مقاتل إلا أثيم

ولما شد خالد على من يليه وبلغ منهم الذي أراد عنوة اجتمع
من أفلت إلى أهل الأبواب التي تلى غيره . وقد كان المسلمون دعوم

إلى المشاطرة فأبوا وأبعدوا فلم يفجأهم إلا وهم يبوحون لهم بالصلح فأجابوهم وقبلوا منهم وفتحوا لهم الأبواب وقالوا ادخلوا وامنعونا من أهل ذلك الباب . فدخل أهل كل باب بصلح مما يليهم ودخل خالد مما يليه عنوة . فالتقى خالد والقواد في وسطها هذا استعراضاً وانتهاباً ، وهذا صلحاً وتسكيناً . فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح فصار صلحاً .

هذا ما جاء في الطبرى بناء على رواية سيف وهو لا يشفي الغليل عن فتح دمشق بعد حصار طويل دام سبعين يوماً (أو ستة شهور كما قال ابن اسحاق) . أما ابن الأثير فقد لخص هذه الرواية التي ليس فيها إلا تسلق الحصن بالحبال وفتح الأبواب ثم طلب الصلح وذكر البلاذرى في سبب فتح دمشق غير ما تقدم من رواية الطبرى أن فتحها كان بمالئة الأسقف الذى كان أعطاه خالد عهداً وأماناً على دمشق حين مروره عليها في أول مجيئه إلى الشام وذلك بأن أرسل إليه الأسقف بعض أصحابه وأعلمه بأن القوم في عيد لهم وإن الباب الشرقى ردم وليس عليه أحد من الحرس وأن خالداً لما دخل المدينة كان أبو عبيدة دخلها من باب آخر عنوة فالتقى في دخولها بكنيسة المقسلاط وهو موضع النحاسين بدمشق . ورواية البلاذرى هذه ليست على أساس صحيح فلم تفتح دمشق بالدسيسة والمملاة ولم يدخل أبو عبيدة عنوة بل دخلها صلحاً

أما جييون مؤلف كتاب سقوط الدولة الرومانية فإنه كتب عن

فتح دمشق تفصيلات وافية وليس فيها مالا إلا الأسقف وهذه التفصيلات مطابقة لما كتبه الواقدي في كتاب فتوح الشام وإليك ملخصها :

تساور أهل دمشق في الصلح . فلما اختلفوا أشار إليهم بطريق من الروم بالتحدث إلى توما بهذا الشأن « توماس » وكان من أشرف الروم وفي فتوح الشام أنه صهر الملك « هرقل » . فأبى توما إلا الحرب ومما قاله لهم إنكم أكثر منهم ومدينتنا حصينة ولكم مثل هذا العدد والسلاح . وأما القوم فهم حفاة عراة . ووعدهم بصرف العرب عنهم وقتل أميرهم فوعدوه أن يقاتلوا حتى يهلكوا وانصرفوا إلى الحصن

وكان ضرار بن الأزور معه ٢٠٠٠ فارس يطوف بهم حول العسكر وحول المدينة وكلما أتى بابا من الأبواب وقف عنده وحرص أهله على القتال

وأقبل توما من الباب الذي يدعى باسمه (باب توما) وكان عابداً راهباً شجاعاً نخرج ذلك اليوم من قصره والصليب الأعظم على رأسه وعلا به فوق البرج وأوقف البطارقة حوله وحملوا الإنجيل ونصبوه بالقرب من الصليب ودعا الله أن ينصرهم على القوم الظالمين هذا ما رواه شرحبيل بن حسنة الذي كان يقاتل على باب توما . وقاتل توما قتالاً شديداً وهشم الناس بالحجارة ورمى الشباب رمياً متداركاً فجرح رجال وكان بمن جرح إبان بن سعيد بن العاص أصابته نشابة فمات

(زوجة إبان تحارب مع المسلمين)

كانت زوجة إبان بنت عمه وكانت قريبة العهد من العرس ولم يكن الخضاب ذهب من يدها ولا العطر من رأسها وكانت من المترجلات من أهل الشجاعة والبراعة . فلما سمعت بموت بعليها أته تتعثر في أذيالها إلى أن وقعت عليه فلما نظرتة صبرت واحتسبت ولم يسمع منها غير قولها :

« هشت بما أعطيت ومضيت إلى جوار ربك الذي جمع بيننا ثم فرق ولا جهدن حتى ألحق بك . فاني المتشوقة إليك . حرام على أن يمسنى بعدك أحد وإني قد حبست نفسي في سبيل الله عسى أن ألحق بك وأرجو أن يكون ذلك عاجلا »

ثم حفر له ودفن مكانه فقبره معروف وصلى عليه خالد بن الوليد . فلما غيب في التراب لم تقف على قبره دون أن أتت إلى سلاحه ولحقت الجيش من غير أن تعلم خالدا بذلك . وقالت على أى باب قتل بعلي فقبل لها على باب توما . فسارت إلى أصحاب شرحبيل بن حسنة فاختلفت بهم وقاتلت مع الناس قتالا لم ير مثله وكانت أرمى الناس بالنبل وكان قد جعل لها قوس وكنانة فرمت حامل الصليب على باب توما فأصابته في ذراعه وسقط الصليب من يده فأخذه المسلمون وكان مرصعا بالجواهر فعظم ذلك على توما فحزم وسطه وأخذ سيفه ودعا الجند بأن يتبعوه وانحدر مسرعا

وأمر بفتح الباب وانحدروا في أثره وخرجوا كالجراد المنتشرورموا المسلمين بالنشاب والحجارة فقهقر المسلمون إلى أن أمنوا ضرب النشاب وحثهم شرحبيل على القتال والجهاد في سبيل الله ولما سمع أهل دمشق بخروج توما وسقوط الصليب من يد حامله جعلوا يهرعون إلى أن تزايد أمرهم وهجم توما على شرحبيل لأخذ الصليب منه وبينما هو مقبل عليه رمته زوجة إبان بنبلة فأصابت عينه اليمنى فقهقر إلى ورائه صارخا وهمت أن ترميه بأخرى فتبادرت إليها الرجال وتبادر إليها قوم من المسلمين يحامون عنها فلما أمنت من شر الأعداء أخذت بالنبل ثم إنها رمت علجا من الروم فأصابت صدره فسقط هاويا إلى الأرض ثم حمل الناس على الروم إلى أن أوصلوهم إلى الباب فحماهم قوم من أعلى الباب بالحجارة والنشاب فترجع الناس إلى مواضعهم وقد قتلوا من الروم مقتلة عظيمة

(ملحوظة): اذن خرج الروم من هذا الباب. باب توما وحاربوا المسلمين وجهاً لوجه وكان على هذه الجهة شرحبيل بن حسنة ولم نجد في الطبرى ولا ابن الأثير ذكراً لهذه الموقعة مع أن المسلمين قتلوا من الروم مقتلة عظيمة وحملوهم على الارتدادوا أخذوا أسلابهم وأموالهم وصلبيهم

دخل توما إلى المدينة وأغلقوا الأبواب وحاولوا قلع النبل من عين توما فلم تطلع. فنشروها وبقى النصل في عينه ثم صار إلى أعلى السور وهو معصوب العين وصار يحرض الناس لكي يزيل عن قلوبهم الرعب

وبعث شرحبيل بن حسنة إلى خالد بن الوليد يخبره بما صنع مع القوم وطلب منه رجالا فقال خالد للرسول « عند إلى شرحبيل وقل له كن حافظا ما أمرتك به فكل فرقة مشغولة عنك ولم تؤت من قبلهم وأنا بالقرب منك وهذا ضرار بن الأزور يطوف حول المدينة وكل وقت عندك» فرجع الرسول فاخبره بذلك فصبر وقاتل بقية يومه ووصل الخبر إلى أبي عبيدة بما نزل بشرحبيل بن حسنة من توما وبما غنم فر بذلك

(هجوم الروم ليلا)

ولما كان الصباح بعث توما إلى أكابر دمشق وأبطالهم فحضهم على القتال وقال أنه عزم على الهجوم ليلا لمفاجأة المسلمين وفرق القوم على الباب الشرقي فرقة وعلى باب الجابية فرقة وعلى كل باب جماعة ودعا بفرقة أخرى إلى باب الفراديس إلى عمرو بن العاص وخرج توما من بابه آخذا الأبطال معه ورتب على الباب ناقوسا وقال لهم « إذا سمعتم الناقوس فهي العلامة التي بيننا فافتحوا الأبواب واخرجوا مسرعين إلى أعدائكم ولا تجد رجالا نياما الا وتضعون السيف فيهم فان فعلتم ذلك فرقم جمعهم في هذه الليلة ودعا برجل وقال له خذ ناقوسا واعل به على الباب فاذا رأيتنا قد فتحنا الباب فاضرب الناقوس ضربة خفيفة يسمعها قومنا وسار بقطعة من جيشه عليهم الدروع وبأيديهم السيوف وتوما في أوائلهم ويده صفيحة

هندية وألقى على رأسه بيضة كسروية (خوذة) كان هرقل قد أهداها له وكانت لا تعمل فيها السيوف القواطع حتى وصل إلى الباب ثم أمر بضرب الناقوس ضربة خفيفة ففتح الباب وتبادر الرجال إلى المسلمين وهم في غفلة مما دبر القوم لهم إلا أنهم في يقظة فلما سمعوا الصوت أيقظ بعضهم بعضا وتواثبت الرجال من أماكنهم كالأسد الضارية فتقاتل القوم في جنح الظلام وسمع خالد بن الوليد فقام ذاهل العقل مما سمع من الزعقات فصاح « واغوثاه وأسلاماه كيد قومي ورب السكعبة . اللهم انظر لهم بعينك التي لاتنام وانصرهم يا أرحم الراحمين »

سار خالد ومن معه وهم ٤٠٠ فارس من أصحابه وهو بغير درع قد لبس ثوب كتان من عمل الشام مكشوف الرأس فسار معهم إلى ان وصلوا الباب الشرقي واذا بالفرقة التي هناك قد هاجمت أصحاب رافع بن عميرة الطائي فحمل خالد بن الوليد على الروم ونادى برفيع صوته « ابشروا يا معاشر المسلمين أنا كم الغوث من رب العالمين أنا الفارس الصنديد . أنا خالد بن الوليد » وحمل في أوساط الناس بمن معه فجندل أبطالا وقتل رجالا وهو مع ذلك مشتعل القاب على أبي عبيدة والمسلمين الذين على الأبواب وهو يسمع أصواتهم وزعقاتهم وكان الروم من أعلى الاسوار يرمون بالسهم وخشى خالد على شرحبيل بن حسنة مما وصل إليه من توما لأنه ملازم الباب ولقى شرحبيل من توما امراً عظيماً لم يلقه أحد مثله ولما

سمع شرحبيل صوت توما قصد جهته فعطف عليه توما عطفة الأسد وما زالوا في قتال إلى أن تولى من الليل شطره وكانت زوجة إبان مع شرحبيل في تلك الليلة ورمت بنبالها فكانت لاتقع نبلة من نبالها إلا في رجل منهم إلى أن قتلت من الروم مقتلة عظيمة بالنبال ولاح لها رجل من الروم فرمته بنبلة فبقيت النبلة معلقة في نحره فصرخ بالروم فهاجموها واخذوها أسيرة ومات الذي رمته وانكسر سيف شرحبيل وهو يضرب توما لأنه تلقاها بدرقته . وهجمت كوكبة على الروم فانقضت زوجة إبان من الأثر ورجع توما هاربا إلى المدينة

أما أبو عبيدة فإنه قاتل الروم من جهته قتالا شديداً وقتل ضرار ابن الأزور في هذه الليلة نحو ١٥٠ رجلا وقتل من الروم في هذه الليلة ألوف وكان الروم قد نصحوا توما بالصلح فجاءوه وقالوا له قد قتل منا أكثر الناس وهذا أمير لا يطاق يعني خالد بن الوليد فصالحهم وأصلح لك ولنا فكتب توما إلى هرقل كتابا وبعث به قبل الصباح وفي الصباح بعث خالد لكل أمير أن يزحف من من مكانه فركب أبو عبيدة ووقع القتال وأشدت الأمر على أهل دمشق

(المفاوضة في الصلح)

بعث أهل دمشق إلى خالد أن أمهلنا فإن خالد إلا القتال ولم يزل كذلك إلى أن ضاق بهم الحصار وهم ينتظرون أمر الملك وذهب مائة رجل من كبارهم وعلماهم حتى وصلوا إلى خيمة

أبي عبيدة فرحب بهم
واجلسوهم وتكلموا في أمر الصلح وقالوا إننا نريد منكم أن تتركوا
كنائسنا ولا تنقضوا علينا منها كنيسة فقال لهم أبو عبيدة « جميع
الكنائس لا يؤمر بهدمها »

و كان في دمشق كنائس واحدة تسمى كنيسة مريم وكنيسة
حنا وكنيسة سوق الليل وكنيسة انذار فكتب لهم أبو عبيدة
كتاب الصلح والأمان

(دخول أبو عبيدة دمشق) شهر رجب سنة ١٤ هـ

ولما تسلموا الكتاب من أبي عبيدة قالوا له قم معنا إلى البلد فقام
معهم وركب معه جماعه من الصحابة جملتهم ٣٥ صحابيا^(١) و ٦٥ من
أخلاق الناس فلما ركبوا وتقدموا نحو الباب قال أبو عبيدة « أريد
منكم رهائن حتى ندخل معكم » فأتوه برهائن
ولما دخل أبو عبيدة دمشق بأصحابه صارت القسوس والرهبان
بين يديه على مسرح الشعر وقد رفعوا الانجيل والمباخر ودخل
أبو عبيدة من باب الجساية ولم يعلم خالد بن الوليد بذلك لأنه شد
عليهم بالقتال

أما خالد فانه دخل من الباب الشرقي بعد أن قاتل وسار إلى أن
وصل إلى كنيسة مريم والتقى الجمعان عند الكنيسة : جيش خالد

(١) ذكر الواقدي في «فتوح الشام» أسماء الصحابة الذين دخلوا دمشق

مع أبي عبيدة الجزء الأول ص - ٤٤ المطبعة اليمنية بمصر سنة ١٣٠٩

وجيش أبي عبيدة وما من أحد من أصحاب أبي عبيدة جرد سيفه فلما نظر خالد إليهم ورأى أن لا أحد منهم جرد سيفه بهت وجعل ينظر إليهم متعجبا فنظر إليه أبو عبيدة وعرف في وجهه الإنكار . فقال : « يا أبا سليمان قد فتح الله على يدي المدينة صلحا وكفى الله المؤمنين القتال » فقال خالد « وما الصلح ؟ لا أصلح الله بالهم وأنى لهم الصلح . وقد فتحتها بالسيف . وقد خضبت سيوف المسلمين من دماهم وأخذت الأولاد عبيدا ونهبت الأموال » فقال أبو عبيدة « أيها الأمير اعلم أنى مادخلتها إلا بالصلح » وأخيرا رضى خالد بصلح أبي عبيدة وجمع توما وهرييس (كان هرييس هو المأمور على نصف البلد وياه توما حين رجع الأمر اليه) قومهما للخروج من المدينة وكان الملك له خزانة ديباج في دمشق فيها زهاء من ثلاثمائة حمل ديباج وحلل مذهبة فغرم على إخراجها وأمر توما فضربت له خيمة من القز ظاهر دمشق

وأقبلت الروم تخرج الامتعة والأموال والأحمال حتى أخرجوا شيئا عظيما فعز ذلك على خالد ورفع يديه إلى السماء وقال : (اللهم اجعله لنا ملكا وملكنا إياه واجعل هذه الامتعة قوت للمسلمين آمين إنك سميع الدعاء) وأعطاهم أبو عبيدة الأمان ثلاثة أيام وقد خرج مع القوم خلق كثير من أهل دمشق بأولادهم وكرهوا أن يكون في جوار المسلمين . وجاء في الواقدي أن خالد تبع الروم وقتل توما :

وحتى تفاصيل ذلك - غير أن الواقدي يزعم أن أبا عبيدة تسلم كتاب عمر بعزل خالد بن الوليد وتوليته على المسلمين وهو بدمشق فقرأه سرا ولم يخبر أحداً بموت أبي بكر الصديق ولم يخبر خالداً حتى رجع من السرية وهي السرية التي ذهب فيها متتبعا أثر من خرج من دمشق - مع أن خالد بلغه خبر عزله وهو باليرموك كما تقدم ذكره في هذه الموقعة

وكان فتح دمشق بعد وفاة أبي بكر الصديق

وكان عدد جيش المسلمين الذين حاصروا دمشق كما يأتي :

٩٠٠٠ فارس مع عمرو بن العاص

١٥٠٠ قدم بهم خالد من العراق

٣٧٠٠٠ جيش أبي عبيدة

٤٧٥٠٠ المجموع

كان صلح دمشق الدينار والعقار . الدينار عن كل رأس فاقسموا الأسلاب فكان أسلاب خالد فيها كأصحاب سائر القوات وجرى على الديار ومن بقى في الصلح جريب من كل جريب أرض^(١) ووقف ما كان للدلوك ومن صوب معهم فينا وبعثوا بالبشارة إلى عمر . ولما فتحت دمشق لحق كثير من أهلها بهرقل وهو بأنطاكية فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون

(١) الجريب مكيال وهو أربعة أقدرة والجريب من الأرض مبذر

الجريب الذي هو المكيال

غزوة فحل

لما فتحت دمشق سار أبو عبيدة إلى فحل واستخلف عليها يزيد بن أبي سفيان وبعث خالداً على المقدمة وعلى الناس شرحبيل بن حسنة إذ كانت إليه ولاية الحرب في الأردن . وكان على المجنبتين أبو عبيدة وعمرو بن العاص وعلى الخيل ضرار بن الأزور وعلى المشاة عياض بن غنم وكان أهل فحل قصدوا بيسان وبينهم وبين المسلمين تلك المياه من الأوحال . وكانت العرب تسمى تلك الغزوة « ذات الردغة » « وبيسان^(١) » فهاجم الروم المسلمين تحت قيادة سقلار ابن مخراق فاقتتلوا قتالاً شديداً ليلاً ونهاراً وأظلم الليل فانهزموا وهم حيارى وأصيب قائدهم وظفر المسلمون وكان مقتلهم في الرداغ (الطين والوحل) فأصيب من الروم ٨٠٠٠٠ لم يفلت منهم إلا الشريد واقتسموا ما أفاء الله عليهم وانصرف أبو عبيدة وخالد إلى حمص ومضى بنى السكلاع الحميري الذي كان مرابطاً بين جنود المسلمين وحمص ليمنع المدد عن العدو

وكانت فحل في ذي القعدة سنة ١٣ هـ على ستة أشهر من

خلافة عمر

(١) بيسان مدينة بالأردن بالغور الشامي ويقال هي لسان الأرض وهي

بين حوارن وفلسطين وبها عين الفلوس

(كتاب أهل دمشق لأبي عبيدة)

كتب أهل دمشق لأبي عبيدة كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب لأبي عبيدة بن الجراح
من أقام بدمشق وأرضها وأرض الشام من الأعاجم . إنك حين
قدمت بلادنا سألتنا الأمان على أنفسنا وأهل ملتنا . وإنا اشترطنا
لك أن لا تحدث في مدينة دمشق ولا فيما حولها كنيسة ولا ديرا
ولا قلاية ولا صومعة راهب . ولا نجد ما خرب من كنائسنا ولا
شيئا منها مما كان في خطط المسلمين . ولا نمنع كنائسنا من المسلمين
أن ينزلوها في الليل والنهار وأن نوسع أبوابها للمارة وأبناء السبيل
ولا نؤوى فيها ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم على من غش
المسلمين وعلى أن لا نضرب بنواقيسنا إلا ضربا خفيا في جوف
كنائسنا ولا نظهر الصليب عليها ولا نرفع أصواتنا وقراءتنا في
كنائسنا ولا نخرج صليبا ولا كتابنا ولا نخرج باعوثا ولا شعانين
ولا نرفع أصواتنا بموتانا ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين
ولا نجاورهم بالخنازير ولا نبيع الخمر ولا نظهر شركا في نادي
المسلمين ولا نرغب مسلما في ديننا ولا ندعو إليه أحدا وعلى أن
لا نتخذ شيئا من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين ولا نمنع أحدا
من قرابتنا إن أرادوا الدخول في الإسلام وأن نلزم ديننا حيث كنا
ولا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق
شعر ولا في مراكبهم ولا تتكلم بكلامهم ولا تتسمى بأسمائهم وأن

مجز مقادم رهوسنا ونفرق نواصينا ونشد الزناير على أوساطنا وان
لا تنقش في خواتيمنا بالعربية ولا نركب السروج ولا نتخذ شيئا
من السلاح ولا نجعله في بيوتنا ولا نتقلد السيوف وأن نوقر
المسلمين في مجالسهم ومرشدهم الطريق إذا أرادوها ولا نطلع عليهم
في منازلهم ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نشارك أحداً من المسلمين
إلا أن يكون للمسلم أمر التجارة وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل
من أسط ما نجد ونطعمه فيها ثلاثة أيام وعلينا أن لا نشتم مسلماً
ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده . ضمنا ذلك على أنفسنا وذراريها
وأرواحنا ومساكننا وإن نحن غيرنا أو خالفنا عما اشترطنا لك وقبلنا
الأمان عليه فلازمة لنا . وقد حل لك منا ما حل من أهل المعاندة
والشقاق . على ذلك أعطينا الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا فأقرونا في
بلادكم التي ورثكم الله إياها . شهد الله على ما شرطنا لكم على أنفسنا
وكفى به شهيداً^(١)

وكتب عمر بن الخطاب على النصارى كتاباً بهذا المعنى وهذه
الأحكام عسكرية لا أوامر دينية كما قال الاستاذ كرد على

(١) راجع الجزء الأول من كتاب خطط الشام تأليف الأستاذ كرد

تولية يزيد جرد عرش فارس

موقعة القادسية (١)

سنة ١٤ هـ - ٦٣٥ م

تركنا المثنى بعد موقعة البويب العظيمة في العراق وقد حدثت في المدائن أمور هامة فان اشراف الفرس استاءوا من ضعف رستم والملكة وخشوا أن يؤدي ضعفهما إلى سقوط المملكة وهددوا رستم والفيروزان بالقتل فطلب رستم والفيروزان إلى الملكة بوران ابنة كسرى أن تكتب إلى نساء كسرى وسراريه ونساء آل كسرى وسراريهم بالحضور فلما حضرت سنان عن ذكر من أبناء كسرى لا اختياره ملكا عليهم فلم يوجد عند واحدة منهن أحد وقال بعضهن لم يبق إلا غلام يدعى (يزدجرد) من ولد شهريار بن كسرى وأمه من أهل بادوريا (٢) فارسلوا اليها وطلبوه منها وكان ممن نجا من سيف عمه شيري حين جمعهم وقتل الذكور وأرسلته أمه إلى أخواله . فلما سألوها عنه دلتهم عليه فولوه عليهم وكان عمره إذ

(١) القادسية بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا وبينها وبين العذيب أربعة أميال واختلف في سبب تسميتها فقيل سميت بالقادسية بقادس هراة وروى ابن عيينة قال مر ابراهيم بالقادسية فرأى زهرتها ووجد هناك عجوزاً أفغلت رأسه فقال قدست من أرض فسميت القادسية

(٢) بالجانب الغربي من بغداد

ذاك أحد وعشرين عاماً فاجتمع حوله الاشراف وقدموا له الطاعة وهو آخر ملوك العجم وذكر جيون أن عمره كان ١٥ عاماً ولا بد أنه كان أكبر من ذلك

ولما تسنم يزدجرد سرير الملك ولبس تاج السلطنة وحضرته الأمراء والأكابر والأعيان والأماثل قال: «أنا الولد الطاهر الذي ورثت هذا الملك كبراً عن كابر. وساجذب بأعضاء الأصاغر وأزيد في مراتب الأكابر. واتجنب فيكم العتو والطغيان ولا أوثر إلا العدل والاحسان فانه لا يبقى للوك سوى ذكر جميل هو للانسان عمر ثان وما أحسن حلية العدل والدين على نحور السلاطين ورأي فيكم أن أفرغ وسعى في قلع شافه الشر وأقصر جهدي على أحياء معالم الحق (١)» ثم أن يزدجرد جمع عساكره وجعلهم تحت قيادة رستم لمحاربة المسلمين فاحتلوا الجزيرة وحصنوا المدن إلى الحيرة فلما رأى المثنى قلة جيشه انسحب إلى ذي قار (٢) وراه الفرات ونزل الطف (٣) في عسكر واحد وقد كان من المستحيل على المسلمين الاحتفاظ بأرض الجزيرة لقرب المدائن منها لذلك كان من المهم أن يستولى عليها المسلمون مهما كلفهم ذلك فكتب المثنى إلى عمر يطلب منه المدد لأن العدو يهددهم

(١) راجع الجزء الثاني من كتاب الشاهنامه للفردوسي ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام ص ٢٦٤ (٢) ذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط (٣) الطف أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين

(التجنيد).

لما وصل كتاب المثنى إلى عمر اهتم بالأمر وقال: «والله لا ضربين ملوك العجم بملوك العرب». وكان أول ما عمل به عمر حين بلغه أن فارس قد ملكوا يزدجرد أن كتب إلى عمال العرب على الكور والقبائل وذلك في ذى الحجة سنة ١٣ مخرجه إلى الحج وحج سنواته كلها وهذه أسماء عماله:

- (١) عتاب بن أسيد على مكة
 - (٢) عثمان بن أبي العاص على الطائف
 - (٣) يعلى بن منية على اليمن
 - (٤) حذيفة بن محصن على عمان واليمامة
 - (٥) العلاء بن الحضرمي على البحرين
 - (٦) أبو عبيدة بن الجراح على الشام
 - (٧) المثنى بن حارثة على العراق
 - (٨) سعد بن أبي وقاص على صدقات هوازن
- وهذا ما كتبه عمر إلى عماله - «لاتدعوا أحدآله سلاح أوفرس أو نجدة أو رأى إلا إنتخبتموه ثم وجهتموه إلى العجل العجل». فمضت الرسل إلى من أرسلهم اليهم مخرجه إلى الحج ووفاه أو اتل هذا الضرب من القبائل التي طرقها على مكة والمدينة. فاما من كان من أهل المدينة على النصف ما بينه وبين العراق فوافاه بالمدينة مرجعه من الحج. وأما من كان أسفل من ذلك فانضموا إلى المثنى فأما

من وافى عمر فانهم أخبروه عن وراهم بالحث

تأهب عمر

للمسير إلى العراق بنفسه

لما اجتمع الناس إلى عمر خرج من المدينة حتى نزل على ماء يدعى صراراً^(١) فعسكر به ولا يدري الناس ما يريد أيسير أم يقيم وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن ابن عوف وكان عثمان يدعى في إمارة عمر رديفياً (والرديف بلسان العرب الذي بعد الرجل والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيسهم) وكانوا إذا لم يقدر هذان على علم شيء بما يريدون تلتوا بالعباس . فقال عثمان لعمر ما بلغك ما الذي تريد . فنادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس إليه فأخبرهم الخبر ثم نظر ما يقول الناس فكانت الآراء كما يلي :

(١) رأى العامة

كان رأى عامة الناس أن يسيروا إلى محاربة الفرس ويسير الخليفة معهم فوافقهم عمر على رأيهم . وقال لهم « استعدوا وأعدوا فاني سائر إلا أن يجيء رأي هو أمثل من ذلك » وهذا يبين أن عمر لم يكن يستبد برأيه وإنه كان يلتمس خير الآراء

(١) صرار ماء قرب المدينة محضر جاهلي على سمت العراق

(٢) رأى الخاصة

كان رأى وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلام العرب ومنهم على وطلحة والزبير وعبد الرحمن على خلاف رأى العامة وذلك أنهم أجمعوا على أن يبعث عمر رجلا من الصحابة بالجنود فان كان الذى يشتهى فهو الفتح والا أعاد رجلا وندب جندا آخر ففى ذلك غيظ العدو . وهذا هو رأى الصواب لأن الخليفة إذا قاد الجيش بنفسه فاما أن ينتصر وإما أن ينهزم أو يقتل فى ساحة الوغى وعندئذ تكون الهزيمة شديدة الوقع على المسلمين والخسارة جسيمة والعاقبة وخيمة وهذا ما رآه المسلمون عند ما خرج أبو بكر الصديق رحمه الله إلى ذى القصة ليحارب بنفسه فاتهم فالوا له وقتئذ ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك فانك إن تصبلم يكن للناس نظام ومقامك أشد على العدو فابعث رجلا فان أصيب أمرت آخر . وقد يعترض على ذلك بأن رسول الله كان يقود الجند بنفسه . لكن رسول الله كان ينزل عليه الوحي ويبشره بالنصر وكان الله يمدّه بالملائكة ومع ذلك فانه لما شاع أنه قتل فى موقعة أحد اضطرب الجيش وفر من فر إلى المدينة

(اختيار سعد بن أبى وقاص (١))

كان سعد بن أبى وقاص على صدقات هوازن نجد وكان عمر

(١) سعد بن مالك وهو سعد بن أبى وقاص أسلم بعد ستة وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة . روى عنه قال أسلمت قبل ان تفرض الصلاة وهو

كتب اليه بانتخاب ذوى الرأى والنجدة والسلاح كما كتب لغيره
بجاءه كتاب سعد وهو يستشير الناس فيمن يبعثه - يقول فيه لعمر
«قد انتخبت لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأى وصاحب حيلة
يحوط حريم قومه ويمنع ذمارهم اليهم انتهت أحسابهم ورأيهم
فشأنك بهم» فوافق كتابه مشورتهم فقالوا قد وجدته . قال فمن ؟ قالوا
الأسد عاريا . قال من ؟ قالوا سعد فانتهى إلى قوهم فأرسل اليه فقدم
عليه فأمره على حرب العراق

(وصية عمر لسعد بن أبي وقاص)

قال عمر رضى الله عنه يوصى سعدا :

«ياسعد . سعد بنى وهيب لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل لا يمحو السىء بالسىء ولكنه
يمحو السىء بالحسن . فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته .

أحد المبشرين بالجنة شهيد بدماء وأحد الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله
وأبلى يوم أحد بلاء عظيم وهو أول من أراق دما فى سبيل الله وأول
من رمى بسهم فى الاسلام . وعن جابر قال أقبل سعد فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «هذا خالي فليرنى أمرؤ خاله ، وإنما قال هذا لأن سعداً
زهري وأم رسول الله زهرية وهو ابن عمها يحتدمان فى عبد مناف وأهل
الأم أخوال وكان مجاب الدعوة وكان الناس يعلمون ذلك منه ويخافون
دعاه . ورمى سعد يوم أحد ألب سهم . وتوفى سعد سنة ٥٥٥ وكان
آدم قصيراً أظس وتوفى بالمعيق على سبعة أميال من المدينة وكان آخر
المهاجرين موتاً

فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء . الله ربههم وهم عباده .
يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذي
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم عليه مندبعت إلى أن فارقتنا فالزمه فانه
الأمر . هذه عظتي إياك . إن تركتها ورغبت عنها حبط عمالك وكنت
من الخاسرين »

ولما أراد أن يسرحه دعاه وقال له :

« إني قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتي فانك تقدم على
أمر شديد كربه لا يخلص منه إلا الحق . فعود نفسك ومن معك
الخير واستفتح به . واعلم أن لكل عادة عتادا فعتاد الخير الصبر .
فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابتك يجتمع لك خشية الله . واعلم
أن خشية الله تجتمع في أمرين ، في طاعته واجتناب معصيته . وإنما
طاعة من أطاعه يبغض الدنيا وحب الآخرة . وعصاه من عصاه بحب
الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء منها السر
ومنها العلانية . فأما العلانية فان يكون حامده وذامه في الحق سواء .
وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبته الناس
فلا تزهد في التحبب فان النيين قد سألوا محبتهم . وإن الله إذا أحب
عبدا حبه وإذا أبغض عبدا بغضه . فاعتبر منزلتك عند الله تعالى
بمنزلتك عند الناس بمن يشرع معك في أمرك »

كان سن سعد بن أبي وقاص حين سار إلى العراق أربعين سنة
وقد سار معه إلى العراق من المدينة مقاتل وكان عمر كلما

وفد عليه جيش سيره للانضمام إلى سعد ومن الذين انضموا إليه
طليحة الذي كان تنبأ ثم أسلم وعمرو بن معدى كرب والأشعث
وعلى ذلك وجد سعد نفسه قائد جيش كبير يبلغ نحو ٣٥٠٠٠ وهو
أعظم جيش وجه لقتال الفرس وإليك بيان الجيش مع ذكر القبائل :

(١) ٤٠٠٠ الجيش الذي خرج مع سعد من المدينة منهم:

٣٠٠٠ يمانى

١٠٠٠ من سائر الناس

(٢) ١١٠٠٠ الجيش الذي انضم إلى سعد بعد

خروجه من المدينة وهم كما يأتي :

٢٠٠٠ يمانى

٢٠٠٠ نجدى

٣٠٠٠ تميمى

١٠٠٠ ربيّ

٣٠٠٠ من بنى أسد ليكونوا

بين سعد والمثنى

(٣) ٢٠٠٠٠ جيوش المثنى منهم :

٦٠٠٠ من بكر وائل

٢٠٠٠ من سائر ربيعة

٤٠٠٠ اتخبوا بعد أن ترك

خالد المثنى

من بقي يوم الجسر	٤٠٠٠
من أهل اليمن من بحيلة	٢٠٠٠
من قضاة وطىء	٢٠٠٠

المجموع ٣٥٠٠٠

(ملحوظة) : كان أهل اليمن ينزعون إلى الشام وكانت مضر تنزع إلى العراق وكانت ربيعة أجراً على أهل فارس وكان المسلمون يسمونهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفرس وكانت العرب في جاهليتها تسمى فارس الأسد والروم الأسد

وفاة المثني

شهر صفر ١٤-٥ إبريل سنة ٦٣٥م

قبل أن يصل سعد إلى العراق مات المثني من الجرح الذي أصابه بموقعة الجسر

وقد كان المثني من أعظم أبطال الإسلام فهو الذي اهتم بفتح الفرس وحررض المسلمين على حربهم وهون عليهم أمرهم وكان يفاوض أبا بكر وعمر ويحثهما على إرسال المدد ويحند ما استطاع من القبائل العربية المجاورة حتى حاربت معه القبائل المسيحية دفاعاً عن العربية . وكان فارساً مقداماً مدرباً ذكياً حاضر البديهة خبيراً بخطط العراق ومواقع البلاد منتهزاً للفرص صبوراً ولم يداخله اليأس في موقعة من المواقع حتى بعد رحيل خالد بن الوليد إلى الشام

وأخذه نصف الجيش منه وبعد فرار المسلمين من حوله إلى المدينة
ولقد أظهر إخلاصا نادرا وتضحية عجيبة ونكرانا للذات . فلم
يخالف أمر رسول الله ولا أمر أبي بكر ولا عمر بل كان مطيعا
لهم منفذا لأوامرهم بدقة في جميع حروبه وتصرفاته ولم يطمع في
الغنائم . كذلك كان مطيعا لخالد بن الوليد فخارب معه جنبا إلى جنب
كأصدق صديق له من غير أن يبدو منه اعتراض عليه ولم تقدم في
حقه أى شكوى إلى الخليفة ولم تغره الدنيا فكان عفيفا كما كان شجاعا
كذلك لم يحسد أحدا ولم يعترض على تولية غيره من القواد كأبي
عبيد بل يشد أزرهم ويجمع لهم ويحث القبائل المجاورة على قتال
الفرس ولم يرتكب المظالم التي يرتكبها القواد عادة وكان خطيبا
فصيحا مؤثرا وإذا أخطأ مرة في خطبة من خطبته اعترف في الحال
بخطئه وحذر القوم من الوقوع في مثلها وكان فوق ذلك صالحا .
ولولا شجاعته وثباته لفتى المسلمون عن آخرهم في موقعة الجسر .
ولا شك مطلقا في أن المثني يعد من أعظم قواد الدنيا وإن العالم
الإسلامي يعترف بجهادده وحسن بلائه في سبيل الله وجهوده المتواصلة
في قتال العدو . فقد كانت حياته وقفًا على الجهاد . فرحم الله المثني
واسكنه فسيح جناته

وصية المثني إلى سعد بن أبي وقاص

كان المثني قد استخلف على الناس بشير بن الخصاصية وهو يومئذ بزروذ^(١) وكان المعنى بعد موت أخيه المثني قد سار إلى قابوس ابن قابوس بن المنذر بالقادسية لقتاله لأن الفرس كانوا قد بعثوا قابوس ليستنفر بني بكر ثم رجع المعنى إلى سعد بوصية المثني وكان قد أوصى بها وأمره أن يعجلها على سعد بزروذ فلم يفرغ لذلك إذ شغله قابوس فلقية بشراف وكانت وصية المثني لسعد أن لا يقاتل عدوه وعدوهم (يعني المسلمين من أهل فارس) إذا استجمع أمرهم وملائمهم في عقر دارهم وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأن يقاتلهم بعقر دارهم فان يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فيئة ثم يكونوا أعلم بسيلهم وأجراً على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم

فلما انتهى إلى سعد رأى المثني ووصيته ترحم عليه وأمر المعنى على عمله وأوصى بأهل بيته خيراً ، وخطب سلبى زوجة المثني وتزوجها

(١) زرود أى بلوع والزرود البلع ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحاب لأنها مال بين الشعالية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة

ترتيب جيوش المسلمين

لما نزل سعد بشراف كتب إلى عمر بمنزله ومنازل الناس فيما بين غضى إلى الجبانة فكتب إليه عمر:

« إذا جاءك كتابي هذا فعشر الناس وعرف عليهم وأمر على أجنادهم وعيهم ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا وقدرهم ثم وجههم إلى أصحابهم وواعدهم القادسية واضمم اليك المغيرة بن شعبة^(١) في خيله واكتب إلى بالذي يستقر إليه أمرهم »

فبعث سعد إلى المغيرة فانضم إليه وإلى رؤساء القبائل فاتوه فقدر الناس وعبأهم بشراف وأمر أمراء الأجناد وعرف العرفاء فعرف على كل عشرة رجلا وأمر على الرايات رجلا من أهل السابقة وأمر على الأعشار رجلا لهم وسائل في الإسلام وولى الحروب رجلا فجعل على المقدمة زهرة بن عبد الله واستعمل على الميمنة عبد الله بن المعتم وعلى الميسرة شرحبيل بن السمط وعلى الساقة عاصم بن عمرو والتميمي وعلى الطلائع سواد بن مالك التميمي وعلى المجردة سليمان بن ربيعة الباهلي وعلى الرجل (المشاة) حمّال بن مالك الأسدي وعلى الركبان عبد الله بن ذى السهمين الخثعمي

(١) المغيرة بن شعبة الصحابي أسلم عام الخندق وكان موصوفاً بالدهاء والحلم. شهد الحديبية مع رسول الله وله في صلاحها كلام معروف مع عروة ابن مسعود. توفي بالكوفة سنة ٥٠ هـ وهو أول من وضع ديوان البصرة م - ١٦ الفاروق

وجعل خليفته خالد بن عُرْفُطَةَ : فكان أمراء التبعيثة يلون الأمير
ويليهم أمراء الأعشار ثم أصحاب الرايات ويلى أصحاب الرايات
والقواد رهوس القبائل . وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن بن
ربيعة الباهلي واليه قسمة الفيء . وجعل داعيتهم ورائدهم سليمان
الفارسي

وكان معه ٩٩ فمن شهد موقعة بدر وثلاثمائة وبضعة عشر ممن
كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك و ٣٠٠ ممن
شهد الفتح و ٧٠٠ من أبناء الصحابة فكان مجموع عدد الصحابة
نحو ١٤٠٠

(مراسلات عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص)

ذكرنا وصية المثنى إلى سعد وكان سعد عازماً على تنفيذها
لما للمثنى من الخبرة والدراية فأتاه كتاب من عمر بن الخطاب بمثل
رأى المثنى وهذا نصه :

« أما بعد فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين
وتوكل على الله واسعن به على أمرك كله واعلم فيما لديك أنك تقدم
على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة وبأسهم شديد وعلى بلد منيع
وإن كان سهلاً كؤود والبحوره وفيوضه ودآدته إلا أن توافقوا غيضاً
من فيض . وإذا لقيتم أو أحداً منهم فابدأوهم الشد والضرب وإياكم
والمناظرة لجموعهم ولا يخذعنكم فانهم خدعة مكرة أمرهم غير أمركم
إلا أن تجادوهم وإذا انتهيت إلى القادسية . والقادسية باب فارس في

الجاهلية وهي اجمع تلك الأبواب لمادتهم ولما يريدونه من تلك
الآصل^(١) وهو منزل رغب خصب حصين دونه قناطر وأنهار
ممتعة فكون مسالحك^(٢) على أنقابها^(٣) ويكون الناس بين
الحجر والمدر^(٤) على حافات الحجر وحافات المدر والجراع^(٥)
بينهما ثم الزم مكانك فلا تبرحه فانهم إذا أحسوك أنقضت^(٦)
ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وخدمهم وخدمهم.
فان أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقناله ونويتم الأمانة رجوت أن
تنصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدا إلا أن يجتمعوا وليس
معهم قلوبهم وإن تكن الأخرى كان الحجر في أدباركم فانصرفتم
من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم ثم كنتم عليها
أجراً وبها أعلم وكانوا عنها أجبن وبها أجهل حتى يأتي الله بالفتح
عليهم ويرد لكم الكرة

وكتب إليه أيضا باليوم الذي يرحل فيه من شراف : « فاذا
كان يوم كذا وكذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب
الهجانات وعذيب القوادس^(٧) وشرق بالناس وغرب بهم »

(١) جمع اصل (٢) المسلحة قوم ذوو سلاح والمساحة أيضاً كالثغر
وفي الحديث كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب
(٣) أنقاب جمع نقب وهو الطريق وقيل الطريق الضيق في الجبل
(٤) المدر التراب المتأبد (٥) الجراع جمع الجرعة وهي الأرض
ذات الحزونة تشاكل الرمل وقيل هي الرملة السهلة المستوية
(٦) حركتهم (٧) العذيب تصغير عذب وهو الماء الطيب بينه

ثم قدم عليه جواب كتاب عمر :

«أما بعد فتعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة
ومن غفل فليحدثهما . والصبر الصبر . فان المعونه تأتي من الله على
قدر النية والأجر على قدر الحسبة . والحذر الحذر على من أنت عليه
وما أنت بسبيله واسألوا الله العافية وأكثروا من قول لا حول ولا
قوة إلا بالله واكتب إلى أين بلغك جمعهم ومن رأسهم الذي يلي
مصادمتكم فانه قد منغى من بعض ما أردت الكتاب به قلة على بما
هجمتم عليه والذي استقر عليه أمر عدوكم . فصف لنا منازل المسلمين
والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأنى أنظر إليها واجعلنى من
امركم على الجلية . وخف الله وارجه ولا تدل بشيء واعلم ان الله
قد وعدكم . وتوكل لهذا الأمر بما لا خلف له . فاحذر ان تصرفه
عنك ويستبدل بكم غيركم »

فكتب إليه سعد بصفة البلد: «ان القادسية بين الخندق والعتيق
وإن ما عن يسار القادسية بحر اخضر فى جوف لاح الى الحيرة
بين طريقين . فأما احدهما فعلى الظهر وأما الآخر فعلى شاطئ نهر
يدعى الحوض يطلع بمن سلكه على ما بين الخورتق والحيرة وان
ما عن يمين القادسية الى الولجة فيض من فيوض مياههم وان جميع
من صالح المسلمين من اهل السواد قبلى ألب^(١) لأهل فارس قد

وبين القادسية أربعة أميال وكتاب عمر يدل على أن هناك عذيبين

(١) الألب ، الجمع

خفوا لهم واستعدوا لنا . وان الذي اعدوا لمصادمتنا « رستم » في امثال له منهم . فهم يحاولون انغاضنا واقحامنا ونحن نحاول انغاضهم وابرأزهم وامر الله بعد ماض وقضاؤه مسلم الى ما قدر لنا وعلينا فنسأل الله خير القضاء وخير القدر في عافية»

فكتب اليه عمر :

« قد جاءني كتابك وفهمته فأقم بمكانك حتى ينقض الله لك عدوك واعلم أن لها ما بعدها . فان منحك الله اديارهم ، فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فانه خرابها إن شاء الله »
وجعل عمر يدعو لسعد خاصة ويدعون له معه وللمسلمين عامة

(ميدان القتال)

سار سعد متمهلا نحو العذيب محاذيا حدود الصحراء وهناك ترك النساء والأطفال بحماية فرقة من الفرسان وتقدم نحو القادسية في سهل متسع يرويه الفرات ويحده من الغرب خندق سابور (وقد كان هذا الخندق في تلك الأيام غديرا) ووراءه تمتد الصحراء وهذا السهل يخترقه طريق من بلاد العرب وهناك يعبر النهر بجسر من القوارب إلى الحيرة ومن ثم الطريق إلى المدائن . هذا هو وصف ميدان القتال الذي عما قريب بيت فيه أمر الفرس . وقد سار سعد على الشاطئ الغربي وجعل مركز القيادة القديس وهي قلعة صغيرة على الغدير بعد الجسر بقليل وهناك عسكر وانتظر بفروغ صبر حركات العدو

(يزدجرد يعجل بالقتال)

كان رستم يريد الانتظار كسعد لولا رغبة الملك في التعجيل بالقتال لأن العرب كانوا يعبرون النهر إلى الجزيرة ويوالون الاغارات ويهاجمون حصون الاشراف وقد انقضى الربيع وأتى فصل الصيف واستاق المسلمون النعم من المراعى تأديباً للقبائل الموالية للفرس ولتقديم الغذاء للجيش. فلما استغاث أهل البلاد لم يعد الملك يستمع لرأى رستم بالانظار وعول على التقدم في الحال. وفي هذه الأثناء وكان سعد يرأسل عمر بن الخطاب ويوافقه على كل شيء ويصف له القادسية

أقام سعد شهراً ينتظر حركات العدو فلما طال به الانتظار كتب

إلى عمر:

« لم يوجه القوم الينا أحداً ولم يسندوا حرباً إلى أحد علمناه ومتى ما يبلغنا ذلك نكتب به واستنصر الله فانا بمنحة دنيا عريضة دونها بأس شديد قد تقدم الينا في الدعاء اليهم فقال استدعون الى قوم أولى بأس شديد »

ثم لما علم سعد ان الملك ولى رستم حربه كتب بذلك الى عمر فكتب اليه عمر: « لا يكره بك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتوك به واستعن بالله وتوكل عليه وابعث عليه رجالا من اهل المنظرة والرأى والجلد يدعونه فان الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم وقلجاً عليهم واكتب الى في كل يوم »

وفد المسلمين إلى يزيد جرد يدعونه إلى الإسلام)

لما وصل جواب عمر إلى سعد يأمره بإرسال وفد إلى الملك
رسل سعد نفرا منهم النعمان بن مقرن وبُسر بن أبي رهم وحملة بن
دوية وحنظلة بن الربيع وفرات بن حيان وعدى بن سهيل وعطار
بن حاجب والمغيرة بن زُرارة بن النباش الأسدي والأشعث بن
يس والحارث بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو بن معدى كرب
المغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة إلى يزيد جرد دعاء فخرجوا من
مسكنهم فقدموا على يزيد جرد وتركوا رستم واستأذنوا على يزيد جرد
فقبسوا واحضروا وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع ويقول
لم واجتمع الناس ينظرون اليهم وتحتمهم خيول كلها صهال وعليهم
لبرود وبأيديهم السياط . فاذن لهم وأحضر الترجمان وقال له سلم
ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا أمن أجل اتنا تشاغلنا
عنكم اجترأتم علينا ؟ فقال النعمان بن مقرن لأصحابه « ان شئتم
نكلمت عنكم ^(١) ومن شاء آثرته » فقالوا بل تكلم فقال :

« ان الله رحمننا فأرسل إلينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن
لشرور ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة الا
وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة . ثم امر أن ينبذ إلى من خالفه
من العرب فبدأناهم فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاعبط،
وطائع اتاه فازداد فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من

(١) النعمان بن مقرن كان معه لواء مزينة يوم الفتح

العداوة والضيق ثم أمرنا ان نبدا بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الانصاف فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله . فان أيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء فان أيتم فالمناجزة . فان أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقنا عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وإن اتقيتمونا بالجزاء (الجزية) قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم »
فكلم يزيد جرد فقال :

« إني لا أعلم من الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم . قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونا أمركم . لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم فان كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم » فاسكت القوم

فقام المغيرة بن زرارة فقال :

« أيها الملك إن هؤلاء رهوس العرب ووجوههم وهم أشراف يستحيون من الأشراف وإنما يكرم الأشراف الأشراف . ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ويفخم الأشراف الأشراف وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك فجأوبني لا كون الذي أبلغك ويشهدون على ذلك إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالما . فأما

ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالا منا. وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع. كنا نأكل الخنافس والجعلان^(١) والعقارب والحيات فترى ذلك طعامنا. وأما المنازل فانما هي ظهر الأرض ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الأبل وأشعار الغنم. ديننا أن يقتل بعضنا بعضا ويغير بعضنا على بعض وإن كان أحدهنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا. فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك. فبعث الله إلينا رجلا معروفا نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده. فأرضه خير أرضنا. وحسبه خير أحسابنا وبيته أعظم بيوتنا وقبيلته خير قبيلتنا وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كنا فيها أصدقنا وأحلنا فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد أول من ترب كان له وكان الخليفة من بعده. فقال وقلنا وصدق وكذبنا وزاد ونقصنا فلم يقل شيئا إلا كان فقدف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه فصار فيما بيننا وبين رب العالمين. فما قال لنا فهو قول الله وما أمرنا فهو أمر الله. فقال لنا إن ربكم يقول إني أنا الله وحدي لا شريك لي. كنت إذ لم يكن شيء وكل شيء هالك إلا وجهي وأنا خلقت كل شيء وإني بصير كل شيء وإن رحمتي أدر كتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي أنجيكم بعد الموت من عذابي ولأحللكم داري دار السلام فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق. وقال من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم. ومن أبي فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه بما

(١) الجعلان جمع جعل وهو الحرباء.

تمنعون منه أنفسكم ومن أبي فقاتلوه فأنا الحكم بينكم فمن قتل
منكم أدخلته جنتي ومن بقى أعقبته النصر على من ناواه فاختر إن
شئت الجزية عن يد وأنت صاغر وإن شئت فالسيف أو تسلّم
فتنجى نفسك»

فقال : أتستقباني بمثل هذا ؟ فقال :

« ما استقبات الا من ظننى ولو ظمنى غيرك لم أستقبلك به » فقال
« لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم لاشيء لكم عندي » ثم استدعى بوقر من
تراب^(١) فقال « إحملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من
باب المدائن . ارجعوا إلى صاحبكم فاعلموه انى مرسل اليه رستم
حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية ثم أوردته بلادكم حتى
أشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم من سابور » فقام عاصم بن عمرو
ليأخذ التراب وقال أنا أشرفهم أنا سيد هؤلاء فحمله على عنقه وخرج
إلى راحلته فركبها وأخذ التراب وقال لسعد أبشر فوالله لقد اعطانا
الله اقاليد ملكهم

(مسير جيش رستم)

رمضان سنة ٥١٤ اكتوبر سنة ٦٣٥ م

لم يعد رستم ينتظر بعد ذلك فجمع جيشا يبلغ ١٢٠٠٠٠ ومعه
الفيلة ومع ذلك سار متمهلا ثم عبر الفرات بالقرب من بابل

(١) الوقر بالكسر حمل البغل أو الحمار ويستعمل في البعير

وتقدم نحو الحيرة إلى أن صار بمراى من جيش المسلمين وعسكر على الشاطيء المقابل واستعمل رستم على ميمته الهرمزان وعلى ميسرته مهران بن بهرام الرازى وعلى ساقته اليرزان ودعا رستم اهل الحيرة فقال «يا أعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا وكنتم عيوناً لهم علينا وقويتهم بالأموال» فاتقوه يا ابن بَقِيْلَة وقالوا له كن انت الذى تكلمه فتقدم فقال:

«اما انت وقولك انا فرحنا بمجيئهم فماذا فعلوا؟ وبأى ذلك من امورهم نفرح؟ انهم ليزعمون انا عبيد لهم وما هم على ديننا وانهم ليشهدون علينا انا من اهل النار واما قولك انا كنا عيوناً لهم فما الذى يحوجهم الى ان نكون عيوناً لهم وقد هرب اصحابكم منهم وخلوا لهم القرى فليس يمنعهم أحد من وجه أرادوه إن شاءوا أخذوا يميناً أو شمالاً واما قولك انا قويناهم بالأموال فانا صانعناهم بالأموال عن أنفسنا إذ لم تمنعونا مخافة ان نُسبى وأن نحرب وتقتل مقاتلتنا وقد عجز منهم من لقيهم منكم فكنا نحن أعجز ولعمري لا تتم أحب الينا منهم وأحسن عندنا بلاء فامنعونا منهم نكن لكم أعواناً فانما نحن بمنزلة علوج السواد عبيد من غلب» فقال رستم صدقكم الرجل

(سعد يمنع جيشه من القتال)

إضطر المسلمون أن يظلوا مدة طويلة في العراق بلا قتال بالرغم منهم تنفيذاً لأوامر سعد ما عدا بعض سرايا صغيرة أرسلها سعد

ورستم بالنجف والجالينوس (القائد الفارسي) بين النجف
والسليحين^(١) فطافت في السواد فبعث سواداً وحِيضة في مائة مائة
فأغاروا على النهرين وبلغ رستم الخبر فأرسل اليهم خيلاً وسمع سعد
أن جيله قد وغلّت فأرسل عاصم بن عمرو وجابراً الأسدي في آثارهم
فلقيهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليخلصوا ما بأيديهم فلما رآته
الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم وأرسل سعد عمرو بن معدى
كرب وطليحة الأسدي فاما طليحة فأمره بعسكر رستم وأما عمرو
فأمره بعسكر الجالينوس . فخرج طليحة وحده وخرج عمرو في عدة
فبعث قيس بن هبيرة في آثارهما فقال إن لقيت قتيلاً فانت
عليهم وأراد إذلال طليحة لمعصيته . وأما عمرو فقد أطاعه فخرج حتى
تلقى عمراً فسأله عن طليحة فقال لا علم لي به فلما انتهى إلى النجف
من قبل الجوف ، قال له قيس ما تريد ؟ قال أريد أن أغير على أدني
عسكرهم . قال في هؤلاء ؟ قال نعم . قال لا أدعك والله وذاك . أتعرض
المسلمين لما لا يطيقون . قال وما أنت وذاك ؟ قال إني أمرت عليك
ولو لم أكن أميراً لم أدعك وذاك وشهد له الأسود بن يزيد في نفر
إن سعداً قد استعمله عليك وعلى طليحة إذا اجتمعتم فقال عمرو
والله يا قيس إن زماناً تكون على فيه أميراً لزمان سوء لأن أرجع
عن دينكم هذا إلى ديني الذي كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت
أحب إلى من أن تتأمر على ثانية . وقال لئن عاد صاحبك الذي بعثك

(١) النجف بالكوفة والسليحين قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القادسية

لمثلها لنفارقته . قال ذاك اليك بعد مرتك هذه فرده فرجعا الى سعد
بالنجر وشكا كل واحد منها صاحبه . فقال سعد يا عمرو الخبير
والسلامة أحب اليّ من مصاب مائة بقتل الف . أتعمد الى حلبة
فارس فتصادمهم بمائة ان كنت لأراك أعلم بالحرب بما أرى . فقال
ان الأمر لكما
(جراة طليحة)

خرج طليحة حتى دخل عسكرهم في ليلة مقمرة فتوسم فيه
فهلك اطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه . ثم خرج حتى مر
بعسكر ذى الحاجب فهلك على رجل آخر بيته وحل فرسه . ثم
دخل على الجالينوس عسكره فهلك على آخر بيت وحل فرسه . ثم
خرج حتى أتى الخرارة (موضع قرب الكوفة) وخرج الذي كان
بالنجف والذي كان في عسكر ذى الحاجب فاتبعه الذي كان في عسكر
الجالينوس فكان أولهم لحاقابه الجالينوس ثم الحاجبي ثم النجفي فأصاب
الأولين واسر الآخر واتي به سعداً فاخبره واسلم فسماه سعد مسلماً
ولزم طليحة فكان معه في تلك المغازي كلها

(رستم يحاول منع القتال)

كان رستم شجاعاً وفارساً مقداماً وكان منجماً فرأى طالع الفرش
منحوساً وعلم ان نعيمهم عاد بوساً فكتب كتاباً الى اخيه مشحوناً
بالأسف والحزن وهذا نصه نقلًا عن كتاب الشاهنامه ترجمة الدكتور

عبد الوهاب عزام جزء ٢ ص ٢٦٥ - ٢٦٦

«إني نظرت في أسرار الكواكب واستشفت أستار العواقب
فرأيت بيت ملك الساسانية خاليا ، ورسم سلطانهم عافيا ، واتفقت
الشمس والقمر والزهرة في طالع العرب فلن يروا سوى الخير
والعلاء وأما من جانبنا فقد صار الميزان خاليا فلسنا نرى غير العناء
والشقاء ولقد امعنت النظر وبين أيدينا امر عظيم وخطب جسيم
والأولى أن أوثر السكوت وأموض الأمر إلى مالك الملك
والمملدوت» وقال في كتابه «وان الرسل تختلف بيننا وبينهم وهم
يلتمسون أن نقاسمهم الأرض فيكون لهم ما وراء الفرات ويكون
لنا ما دونه على أن نفتح لهم الطريق إلى السوق حتى يدخلوا إليها
ويتسوقوا. هذا قولهم وباليته وافقه فعلهم ثم أنه يجرى كل يوم وقعة
يهلك فيها خلق من الايرانيين والذين معي منهم قوم مغترون
بشجاعتهم ورجوليتهم ووفورة عددهم وعددهم . ومستصغرون أمر
العدو القادر ، ولا يدرون سر الفلك الدائر. فاذا وقفت على كتابي
هذا فاجمع أموالك وخزائنك وخيلك ورجلك وانهض إلى آذربيجان
واعتصم بتلك البلاد. واشرح لأمي حالي وسلها الدعاء فاني واصحابي في
عناء وتعب وهم وأسف وأنا أعلم أني لأسلم بالآخرة من هذه الوقعة
ثم عليك بحفظ الملك فانه لم يبق من هذه الشجرة أحد سواه^(١)»
هذا خطاب رستم إلى أخيه قبل ان يشتبك الجيشان في الحرب
وهو يؤيد ما جاء في المصادر العربية التي نعول عليها مثل الطبري

(١) يريد بالملك يزدجرد فانه آخر ملوك المعجم

وابن الأثير من أنه فاوض المسلمين وخاطبهم مراراً محاولاً منع وقوع الحرب ومن هذا الخطاب الفارسي المصدر يتبين أنه كان يتوقع انتصار العرب وهزيمة الفرس . كان هذا رأى رستم قائدهم الأعظم مع أنه كان تحت قيادته ١٢٠٠٠٠ مقاتل مجهزين بالفيلة والخيول والسيوف والنبال والخوذ ومعهم المؤن الوفرة والأموال الطائلة وليس لدى المسلمين غير ٣٥٠٠٠ رجل تحت قيادة سعد بن أبي وقاص ولم تكن مؤنهم متوفرة ولذا اضطروا أن يغيروا على القبائل هناك للاستيلاء على الماشية لتموين الجيش ومع ذلك كان رستم يتوقع هزيمة وينصح لأخيه بالالتجاء إلى آذربيجان ولذلك حاول إقناع المسلمين بالكف عن القتال فذكر لهم سوء حالهم وقلة عددهم وعددهم وأظهر لهم حسن حال الفرس وما هم فيه من عز وسلطان فلم يفلح لسبيين :

أولاً . لأن يزيد جرد كان يعجل بالقتال لأن الفرس اختاروه ملكاً لأن أشرف الفرس خشوا من سقوط المملكة في أيدي العرب فولوه لقتالهم . أضف إلى ذلك استغاثة القبائل الموالية للفرس ومن جراء غارات المسلمين وكانت العاصمة مهددة ورغبة الأشراف شديدة في القتال لصد المسلمين والانتقام منهم وكانوا مقتدرين بشجاعتهم وكثرة عددهم ويرون أنهم أرقى من العرب فكانوا يعيرونهم بسوء الحال وشظف العيش وجذب البلاد ورثاة الثياب الخ ثانياً . لأن المسلمين لم يكونوا يبغون الفتح لأجل الفتح بل كانوا

يحاربون في سبيل الله . وكانوا يعتقدون أن من قُتل منهم دخل الجنة
فعرضوا على رستم واحداً من ثلاثة أمور إما الاسلام أو الجزية
أو القتال ورفضوا ما دون ذلك من العطايا والمنح والوعود

وإنا هنا نذكر ما كان بين رستم والمسلمين من المفاوضات في شأن
الصلح فقد ذكروا أنه لما نزل رستم على العتيق وبات وأصبح غاديا
تأمل القوم حتى أتى على شيء يشرف منه على جيش المسلمين فلما
وقف على القنطرة راسل زهرة فخرج اليه حتى واقفه فاراده على أن
يصالحهم ويجعل له جُعلا على ان ينصرفوا عنه وجعل يقول : « أتم
جيراننا وقد كانت طائفة منكم في سلطاننا فكنا نحسن جوارهم
ونكف الأذى عنهم ونوليهم المرافق الكثيرة ونحفظهم في أهل
باديتهم فترعيبهم مراعيننا ونميرهم من بلادنا ولا نمنعهم من التجارة
في شيء من أرضنا وقد كان لهم في ذلك معاش » يعرض لهم بالصلح
وإنما يخبر بصنيعهم والصلح يريد ولا يصرح

فقال له زهرة : « صدقت : قد كان ما تذكر وليس أمرنا أمر
أولئك . ولا طلبتنا طلبتهم . إننا لم نأتكم لطلب الدنيا . إنما طلبتنا
وهمتنا الآخرة . كنا كما ذكرت يدين لكم من ورد عليكم منا ويضرع
اليكم يطلب ما في أيديكم . ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولا
فدعانا إلى ربه فأجبناه . فقال لنيبه صلى الله عليه وسلم إني قد سلطت
هذه الطائفة على من لم يدين بديني . فانا منتقم بهم منهم واجعل لهم
الغلبة ماداموا مقرين به وهو دين الحق . لا يرغب عنه أحد إلا ذل

ولا يعتصم به أحد إلا عز

فقال له رستم : « وما هو ؟ »

قال : « أما عموده الذى لا يصالح منه شيء إلا به ، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول . والاقرار بما جاء من عند الله تعالى . »
قال : « ما أحسن هذا . وأى شيء أيضا ؟ »

قال : « وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى »

قال : « حسن . وأى شيء أيضا ؟ » قال : « والناس بنو آدم

وحواء إخوة لأب وأم » قال : « ما أحسن هذا » ثم قال له رستم :

« رأيت لو أنى رضيت بهذا الأمر واجبتكم إليه ومعى قومي

كيف يكون أمركم . أترجعون ؟ قال : اى والله ثم لا تقرب بلادكم

أبدأ إلا فى تجارة أو حاجة » قال : « صدقتنى والله أما إن اهل فارس منذ

ولى ارد شير لم يبدعوا أحدا يخرج من عمله من السفلة كانوا يقولون إذا

خرجوا من اعمالهم تعدوا طورهم وعادوا أشرافهم » فقال له زهرة :

« نحن خير الناس للناس فلا نستطيع ان نكون كما تقولون نطيع

الله فى السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا »

فانصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فحموا من

ذلك وأنفوا

وارسل سعداليه ربيعي بن عامر فاستعدوا للقائه وبسطوا البسط

ووضع لرستم سرير من الذهب وألبس زينته من الانماط (١)

(١) الأنماط جمع نمط ثوب من صوف ذولون من الألوان ولا يكاد

م - ١٨ الفاروق.

يقال للأبيض نمط

والوسائد المنسوجة بالذهب وأقبل ربعي يسير على فرس له ومعه سيف ومعه قوسه ونبله ولرأسه أربع ضفائر وهو رث الثياب . فقالوا له دع سلاحك . فأذن له رستم فأقبل يتوكأ على رمحته وزوجه نصل يقارب الخطو ويزج النمارق والبسط فما ترك لهم نمرقة ولا بساطا إلا أفسده وتركه متهتكاً مخرقاً . فلما دنا من رستم تعلق به الحرس وجلس على الأرض وركز رمحته بالبسط . فقالوا ما حملك على هذا ؟ قال إننا نستحب القعود على زينتك هذه . فكلمه . فقال ما جاء بكم ؟ قال الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . فأرسلنا بدينه إلى خلقه لدعوتهم إليه . فمن قبل منا ذلك ، قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا . ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نقضى إلى موعود الله »

قال « وما موعود الله ؟ » قال : « الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى »

قال رستم : « قد سمعت مقالتيكم . فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟ » قال « نعم لم أحب إليكم أيوماً أو يومين ؟ » قال : « لا بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا » وأراد مقاربتهم ومدافعتهم فقال « إن مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل به أمتنا أن لا نمكن الأعداء من آذاننا ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثاً فانظر في

أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل . اختر الاسلام
وندعك وأرضك أو الجزاء (الجزية) ونكف عنك وإن كنت
عن نصرنا غنيا ترسناك منه وإن كنت إليه محتاجا منعناك أو المنابذة
في اليوم الرابع ولسنا نبدأك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا
أنا كفيل بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى » قال : « أسيدهم
أنت ؟ » قال : « لا ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض يجير
أدناهم على أعلام^(١) »

فخلص رستم برؤساء أهل فارس . فقال ما ترون ؟ هل رأيتم
كلما قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل ؟ قالوا معاذ الله
لك إلى أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك . أما ترى إلى ثيابه ؟
فقال ويحكم لا تنظروا إلى الثياب ولكن انظروا إلى الرأي
والكلام والسيرة . إن العرب تستخف باللباس والمأكل ويصنونون
الأحساب . ليسوا مثلكم في اللباس ولا يرون فيه ماترون

ولما انتهى الأجل بعثوا أن ابعث إلينا ذلك الرجل فبعث إليهم
سعد حذيفة بن محصن فتكلم بمثل ما كلبه زهرة . ثم عادوا وطلبوا
رجلا فأرسل سعد المغيرة بن شعبة فعرض عليه رستم أن يعطى أمير
المسلمين كسوة وبغلا وألف درهم ولكل رجل وقر تمر وثوبين
على أن ينصرفوا عن الفرس فأبى المغيرة وانصرف وحاول رستم
أن يقنع رؤساء الفرس بالكف عن الحرب فازدادوا لجاجة . وكان

(١) راجع تاريخ الطبرى

ترجمان رستم من أهل الحيرة يدعى عبود

(الفرس يعبرون النهر)

لما انقضى الأجل ، قال رستم أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم ؟ فقالوا بل اعبروا إلينا فخرجوا من عنده ليلاً وأرسل سعد إلى الناس أن يقفوا موافقهم وأرسل إليهم شأنكم والعبور فأرادوا القنطرة فأرسل إليهم . لا ولا كرامة . أما شيء قد غلبناكم عليه فلن نرده عليكم تكلفوا معبراً غير القناطر . فباتوا يسدون العتيق بحيال قادس حتى الصباح بالقاء الأخشاب والتراب والبراذع حتى جعلوه طريقاً لهم فعبروا بأثقالهم حتى نزلوا على ضفة العتيق . ثم لبس رستم درعين ومغفراً واخذ سلاحه وأمر بفرسه فأسرج فأتى به فوثب فاذا هو عليه لم يمسه ولم يضع رجله في الركاب ثم قال « غداً ندقهم دقاً » فقال له رجل إن شاء الله . فقال وإن لم يشأ

(الاستعداد للحرب)

لما عبر أهل فارس أخذوا مصافهم وجلس رستم على سريره وضرب عليه طيارة وعبر في القلب ١٨ فيلاً عليها الصناديق والرجال وفي المجنبتين ثمانية وسبعة عليها الصناديق والرجال . وأقام الجالينوس بينه وبين ميمنته والبيرزان بينه وبين ميسرته وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين وكان يزدجرد وضع رجلاً على باب إيوانه إذ سرح رستم وأمره بلزومه وإخباره حيث يسمعه من الدار وآخر خارج الدار وكذلك على كل دعوة رجلاً .

فلما نزل رستم قال الذي بساباط قد نزل فقاله له الآخر حتى قاله الذي على باب الايوان وجعل على كل مرحلتين على كل دعوة رجلا فكلما نزل وارتحل او حدث امر قاله فقاله الذي يليه حتى يقوله الذي يلي باب الايوان . فنظم ما بين العتيق والمدائن رجالا وترك البرد وكان ذلك هو الشأن

واخذ المسلمون مصافهم وجعل زهرة وعاصم بين عبد الله وشرحيل ووكل صاحب الطلائع بالطراد وخلط بين الناس في القلب والجنبات ونادى مناديه « ألا إن الحسد لا يحل إلا على الجهاد في امر الله . يا ايها الناس فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد »

(مرض سعد)

كان بسعد دما مل وعرق النسي^(١) فلا يستطيع أن يركب ولا يجلس فاشرف على الناس من القصر (الحصن) وفي صدره وسادة أكب عليها واخذ يرمى بالرقاع فيها امره ونهيه الى خالد بن عرْفُطَة وهو اسفل منه وكان الصف الى جنب القصر وكان خالد كالخليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهدا مشرفا فعاب، عليه قوم لأنهم لم يعتادوا رؤية القائد بمكان أمين فنزل الى الناس واعتذر اليهم وأراهم ما به من القروح في فخذه واليتيه فعذره الناس ولم يشكوا في شجاعته . ثم اخذ نفرا ممن شغب عليه فحبسهم وقيدهم في القصر

(١) النسي مثل الحصى عرق في الفخذ وعرق النسي مرض معروف

يعتري الفخذ

(خطبة سعد)

قال سعد بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« إن الله هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف .
قال الله جل ثناؤه (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر إن الأرض
يرثها عبادى الصالحون) إن هذا ميراثكم وموعد ربكم وقد أباحها
لكم منذ ثلاث حجج فاتم تطعمون منها وتأكلون منها وتقتلون
أهلها وتجبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام
منكم وقد جاءكم منهم هذا الجمع وأتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار
كل قبيلة وعز من وراءكم . فان تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة
جمع الله لكم الدنيا والآخرة . ولا يقرب ذلك أحدا إلى أجله وأن
تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم »

(خطبة عاصم بن عمرو)

وقام عاصم بن عمرو في المجردة فقال :

« إن هذه بلاد قد أحل الله لكم أهلها وأتم تنالون منهم منذ ثلاث
سنين ما لا ينالون منكم وأتم الأعلون والله معكم إن صبرتم وصدقتموهم
الضرب والطعن فلکم أموالهم ونسأؤهم وأنباؤهم وبلادهم ، وإن
خرتم وفشلتم والله لكم من ذلك جار وحافظ لم يبق هذا الجمع منكم
باقية مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك . الله . الله . اذكروا الأيام
وما منحكم الله فيها أولا ترون أن الأرض وراءكم بسابس قفار
ليس فيها خمر ولاوزر يعقل اليه ولا يمتنع به . اجعلوا همكم الآخرة »

وكتب سعد إلى الرايات : « أنى قد استخلفت عليكم خالد بن عرفطة وليس يمنعنى أن أكون مكانه إلا وجمعى ، فانى مكب على وجهى وشخصى لكم باد فاسمعوا له وأطيعوا فانه إنما يأمركم بأمرى ويعمل برأى ، فقريء ذلك على الناس فزادهم خيرا وانتهوا إلى رأيه وقبلوا منه وتحاثوا على السمع والطاعة واجمعوا على عذر سعد والرضا بما صنع . وامر سعد الناس بقراءة سورة الجهاد وهى الأنفال فلما قرئت هشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها . فلما فرغ القراء منها قال سعد « الزموا موافقكم حتى تصلوا الظهر فاذا صليتم فانى مكبر تكبيرة . فكبروا واستعدوا فاذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله »

يوم ارمات

ول يوم من موقعة القادسية

لما كبر سعد التكبيرة الثالثة برز أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج اليهم من الفرس أمثالهم فاعتوروا الطعن والضرب وخرج غالب بن عبد الله الأسدى وهو يقول :

قد علمت واردة المسائح ذات اللبان والبنان الواضح
إنى سمم البطل المشايخ وفارج الأمر المهم الفسادح

فخرج اليه هرmez وكان من ملوك الباب وكان متوجها فأسره
غالب أسراً فجاء به سعداً فأدخل وانصرف غالب إلى المطاردة وخرج
عاصم بن عمرو وهو يقول :

قد علمت بيضاء صفراء اللب مثل اللجين إذ تغشاه الذهب

أني امرؤ لآمن يعينه السبب مثلي على مثلك يغريه العتب

فطارد رجلاً من أهل فارس فهرب منه واتبعه حتى إذا خالط
صفهم التقى بفارس معه بغلة فترك الفارس البغل واعتصم بأصحابه
فحموه واستاق عاصم البغل والرحل حتى أفضى به إلى الصف فإذا
هو خباز الملك فأتى به سعداً ورجع إلى موقفه ثم قتل عمرو بن معدى
كرب رجلاً من الأعاجم . كسر عنقه ووضع سيفه على حلقه فذبحه
ثم ألقاه . ثم قال هكذا فاصنعوا بهم . فقالوا يا أبا ثور من يستطيع
أن يصنع كما تصنع وقيل أنه أخذ سواريه ومنطقته

(الفيلة)

ثم حملت الفيلة على جيش المسلمين ففرقت الكتائب وكانت
الفرس قد قصدت بني بجيلة بسبعة عشر فيلاً^(١) فنفرت خيل بجيلة
وكادت بجيلة تهلك لنفار خيلها عنها وعمن معها فأرسل سعد إلى بني
أسد أن دافعوا عن بجيلة وعمن معها من الناس فخرج طليحة بن
خويلد وحمال بن مالك وغالب بن عبدالله الربيل بن عمرو في كتائبهم

(١) اختلف في عدد الفيلة التي وجهها الفرس إلى بجيلة فقيل ثلاثة

عشر وقيل ستة عشر وقيل سبعة عشر

فباشروا الفيلة حتى عدلها ركبائها وان على كل فيل عشرين رجلا
فكانت عبارة عن حصون متحركة فقال طليحة حين قام في قومه :
« يا عشيرتاه إن المنوء باسمه الموثوق به وان هذا لو علم أن
أحداً أحق باغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ابتدئوهم الشدة وأقدموا عليهم
إقدام اللبث الحربة فانما سُميت أسداً لتفعلوا فعله . شدوا ولا
تصدوا . وكروا ولا تفروا . لله در ربيعة . أي فرى يفرون وای
قرن يغنون . هل يوصل إلى موافقهم فأغنوا عن موافقكم اعانكم الله
شدوا عليهم باسم الله »

فما زالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حبسوا الفيلة عنهم فأخرت
وخرج إلى طليحة عظيم منهم فبارزه فما لبثه طليحة ان قتله
وقام الأشعث بن قيس في كندة فقال :

« يا معشر كندة لله در بنى اسد ای فرى يفرون وأى هذ يهدون
عن موافقهم منذ اليوم اغنى كل قوم ما يليهم واتم تنظرون من
يكفيكم البأس . اشهد ما احسنتم إسوة قومكم العرب منذ اليوم وإنهم
ليقتلون ويقاتلون واتم جثاة على الركب تنظرون »

فوثب اليه عشرة منهم فقالوا : « عثر الله جدك . انك لتؤيسنا
جاهدا ونحن احسن الناس موقفاً . فمن اين خذلنا قومنا العرب
وأسانا إسوتهم . فهانحن معك » . فهد ونهدوا فأزالوا الذين بازأهم
فلما رأى اهل فارس ما تلقى الفيلة من كتيبة اسد رموهم بحدم
وحملوا عليهم وفيهم ذو الحاجب والجالينوس والمسلمون ينتظرون
م - ١٩ الفاروق

التكبيرية الرابعة من سعد فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك القبيلة وقد ثبتوا لهم

لم يكن سعد قد كبر التكبيرية الرابعة بعد فلما كبر اجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك القبيلة فزحف المسلمون ودارت رحى الحرب على أسد وحملت القبيلة على الميمنة والميسرة على الخيول فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو فقال يامعشر بنى تميم أستم أصحاب الابل والخيول اما عندي لهذه القبيلة من حيلة؟ قالوا بلى والله . ثم نادى في رجال من قومه رماة وآخريين لهم ثقافة فقال لهم يامعشر الرماة ذبوا ركان القبيلة عنهم بالنبل وقال يامعشر أهل الثقافة اسندبروا القبيلة فقطعوا وُضنها (أى أحزمتها) وخرج يحميهم والرحى ندور على أسد وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد . وأقبل أصحاب عاصم على القبيلة فأخذوا بأذنانها وذباذب توأبيتها فقطعوا أحزمتها وارتفع عواؤهم فما بقي لهم يومئذ فيل إلا أعرى وقل أصحابها وتقابل الناس ونفس عن أسد وردوا فارساً عنهم إلى موافقهم فاقتتلوا حتى غربت الشمس وذهبت هدأة من الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء . وأصيب من أسد . . . وكانوا ردها للناس وكان عاصم حامية للناس وهذا اليوم الأول وهو « يوم أرماث »

(سلى زوجة سعد توبخه)

كان سعد قد تزوج امرأة المثني سلى بنت حفصة بشراف فنزل بها القادسية فلما كان يوم أرماث وحارب الناس لم يكن سعد يطيق

الجلوس لمرضه كما تقدم فلما رأت سلمى زوجته ما يصنع أهل فارس قالت «وامثنياه ولا مثنى للخيل اليوم» فاغتاظ سعد ولطم وجهها وقال « أين المثنى من هذه السكتيبة التي تدور عليها الرحى ! » يعني أسداً وعاصماً وخيله . فقالت « أغيرة وجبناً ! »

قال « والله لا يعذرنى اليوم أحد إذا أنت لم تعذرني وأنت ترين ما بي والناس أحق ألا يعذروني » فنعلقها الناس فلما ظهر الناس لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه وكان غير جبان ولا ملوم لكن الناس دأبهم هكذا لا يعذرون المريض والضعيف والفقير والشيخ الفاني مع أن سعداً كانت له مواقف مشهورة في حياة رسول الله فهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأول من أراق دماً في سبيل الله وكان يقال له فارس الاسلام وأبلى يوم أحد بلاء شديداً وكان رسول الله يقول له يوم أحد (ارم فداك أبى وأمى) وماقالها لأحد غيره ورمى يوم أحد ألف سهم

يوم أغواث

وهو اليوم الثاني

ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبية وقد وكل سعد رجالاً بنقل الشهداء إلى العذيب وأما الجرحى فسلموهم إلى النساء ليقيمن عليهم ودفن الشهداء هنالك على مشرق وهو واد بين العذيب وعين الشمس . ثم طلعت نواصي الخيل من الشام وكان فتح دمشق

قبل القادسية بشهر وكان عمر بن الخطاب أرسل إلى أبي عبيدة بن الجراح
بإرسال أهل العراق إلى العراق فسيرهم أبو عبيدة وهم ستة آلاف ،
خمسة آلاف من ربيعة ومضروا ألف من افناء اليمن من أهل الحجاز
وأمر عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو
التميمي فتعجل القعقاع فقدم على الناس صبيحة هذا اليوم وهو يوم
« أغواث » وقد عهد إلى أصحابه وهم ألف إن ينقسموا إلى عشرة
أقسام كل مائة قسم وكل قسم في أثر الآخر . ثم أقبل على جيش سعد
وبشرهم بالجنود فقال « يا أيها الناس إني قد جئتكم في قوم والله إن لو كانوا
بمكانكم ثم أحسواكم حسدوكم حظوتها وحاولوا أن يطيروا بهادونكم »
ومجى الجيش بهذه الصفة وهذا النظام كان له وقع عظيم في نفوس
الفرس والمسلمين جميعا . ثم إن القعقاع حرض الجيش على القتال
وقال اصنعوا كما اصنع فتقدم ثم نادى من يبارز؟ فقالوا فيه بقول أبي
بكر « لا يهزم جيش فيهم مثل هذا » وسكنوا إليه فخرج إليه ذو
الحاجب « بهمن » فقال له القعقاع « من أنت ؟ » قال « أنا بهمن
جاذويه » فادى « يالثارات أبي عبيد وسليط وأصحاب يوم الجسر »
وتضاربا فقتله القعقاع وجعلت خيله ترد قطعاً وما زالت ترد إلى
الليل وتنشط الناس وكأن لم يكن بالأمس مصيبة وفرحوا بقتل
بهمن وانكسرت الأعاجم ونادى القعقاع أيضا من يبارز؟ فخرج
إليه رجلان أحدهما البيروزان والآخر البندوان فانضم إلى القعقاع
الحارث بن ظبيان فبارز القعقاع البيروزان فقتله وقتل الحارث

البنديوان ونادى القعقاع يامعاشر المسلمين باشروهم بالسيوف فانما يحصد الناس بها فتواصى الناس وتشايعوا اليهم واقتلوا حتى المساء فلم ير اهل فارس في هذا اليوم ما يعجبهم واكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل لان توايدها كانت قد تكسرت بالامس فاستأنفوا اصلاحها حين اصبحوا فلم ترتفع حتى كان الغد وحمل بنوعم للقعقاع عشرة عشرة على ابل البسوها وهى مجللة مبرقة واطافت بهم خيولهم تحميمهم وامرهم القعقاع ان يحملوها على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة ففعلوا بهم هذا اليوم كما فعلت فارس بالامس فجعلت خيل الفرس تفر منهم وركبتها خيول المسلمين فلما رأى الناس ذلك سروا بهم فلقى الفرس من الابل اعظم ما لقي المسلمون من الفيلة

وكانت امرأة من النخع لها اربعة اولاد شهدوا القادسية فقالت لهم « انكم اسلمتم فلم تبدلوا وهاجرتم فلم تثربوا ولم تنب بكم البلاد ولم تقحمكم السنة ثم جتم بامكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين ايدي اهل فارس والله انكم لينو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما خنت اباكم ولا فضحت خالكم انطلقوا فاشهدوا اول القتال وآخره فأقبلوا يشتدون فلما غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء وهى تقول : « اللهم ادفع عن بنى » فرجعوا اليها وقد أحسنوا القتال ولم يجرح منهم أحد . قال الشعبي فرأيتهم بعد ذلك يأخذون ألفين ألفين من العطاء ثم يأتون أمهم فيلقونه فى حجرها فترده عليهم وتقسمه فيهم

على ما يصلحهم ويرضيهم

وخرج رجل من فارس يبارز فبرز اليه الأعراف بن الأعلم
فقتله ثم برز اليه آخر فقتله وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه
وأخذوا سلاحه فغبر في وجوههم التراب حتى رجع إلى أصحابه .
وحمل القعقاع بن عمرو يومئذ ثلاثين حملة كلما طلعت قطعة حمل
حملة وأصاب فيها وجعل يرتجز ويقول :

ازعجهم عمدا بها إزعاجا أظعن طعاما صائبا ثجاجا

أرجو به من جنة أفواجا

اقتل الجيشان إلى أن انصف الليل فكانت ليلة أرماث تدعى
ليلة الهدأة و ليلة أغواث تدعى السواد - ولم يزل المسلمون يرون يوم
آعواث الظمرو قتلوا فيها عامة أعوام الفرس وجالت فيه خيل العلب
وتبت رجلاهم

(أبو محجن الثقفي يخرج من حبسه ويقا تل)

كان أبو محجن الثقفي قد حبس وقيد في الفصر لأنه كان ممن
سغب على سعد فسأه أن يظل سجيناً والمسلمون يقاتلون فصعد إلى
سعد وطلب إليه إن يعفو عنه فنهزه فنزل فأتى سلمى زوجة سعد
فقال : « ياسلمى بنت آل حفصة هل لك إلى خير ؟ » قالت « وما
ذاك ؟ » قال « نخلين عنى وتعيرينى البلقاء (الفرس) ففقه على أن
سلمنى الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى فى قيدي » فقالت « وما
أنا وذاك » فرجع يرسف فى قيوده ويقول :

كفى حزننا أن تردى الخيل بالقنا وأترك مشدودا على وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وأغلقت مصاريع دوني قد تُصمُّ المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة فقد تركوني واحداً لا أخاليا
ولله عهد لا أخيس بعهدته لئن فرجت أن لا أزور الحوانيا
فرقت له سلمى وأطلقته وقالت : « أما الفرس فلا أعيرها .

ورجعت إلى بيتها فأقباد الفرس فأخرجها من باب القصر الذي يلي
الخنديق وركبها حتى إذا كان بحمال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة القوم
يلعب برمحه وسلاحه بين الناس وهم يعجبون منه ولا يعرفونه وراه
سعد فقال لولا محسر ابى محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء
وقال بعض الناس (هذا الخضر) وقال بعضهم « لولا أن الملائكة
لا تباشر الحرب لعلنا إبه ملك يثبتنا فلما انتصف الليل وتراجع
المسلمون والفرس عن الصال أقبل أبو محجن فدخل القصر وأعاد
رجليه في القيد وقال :

لقد علمت ثيف غير فخر بأبا محسن أكرمهم سيوفا
وأكثرهم دروعا سابغات واصبرهم إذا كرهوا الوقوفا
وأنا وهدم في كل يوم فإن عميوا فسل بهم عريفا
وليلة قادم لم يشعروا بي ولم أشعر بمخرجي الزحوفا
فإن احبس فذلكم بلائي وإن اترك أذيقهم الخوفا
فقلت له سلمى يا أبا محجن في أى شيء حبسك ذلك الرجل
(تعنى سعداً) قال أم والله ما حبسنى بحرام اكلته ولا شربته ولكنى

كنت صاحب شراب في الجاهلية وانا امرؤ شاعر يدب الشعر على
لساني يبعثه على شفتي أحيانا فيساء لذلك ثنائي ولذلك حبسني قلت :
إذا مت فادقني إلى أصل كرمة تُروى عظامي بعد موت عروقها
ولا تدفني بالفسلاة فاني أخاف إذا مامت أن لا أذوقها
وتروى بخمر الحصر لحدى فاني اسير لها من بعد ما قد أسوقها
وقد اختلف في سبب حبس أبي محجن فقيل إنه كان ممن شغب على
سعد فحبس وقيل انه حبس بسبب الخمر
وبلغ عدد القتلى والجرحى من المسلمين ٢٠٠٠ ومن الفرس
١٠٠٠٠ في يوم أغواث

ولم تنزل سلمى مغاضبة لسعد عشية أرماث وليلة الهدأة وليلة
السواد حتى إذا أصبحت اتته وصالحته وأخبرته خبرها وخبر
أبي محجن فدعا به واطلقه وقال «إذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله
حتى تفعله» قال لا جرم والله لا أجيب لساني إلى صفة قبيح أبدأ»

يوم عماس

وهو اليوم الثالث

أخذ المسلمون في اليوم الثالث ينقلون قتلاهم إلى المقابر
والجرحى إلى النساء وكان النساء والصبيان يحفرون القبور وكان على
الشهداء حاجب بن زيد وقال سعد من شاء غسل الشهداء ومن شاء
فليدفنهم بدمائهم

أما قتلى المشركين فتركوا ولم ينقلوا وبات القعقاع تلك الليلة .
يسرب أصحابه إلى المكان الذي فارقه فيه وقال إذا طلعت الشمس
فأقبلوا مائة مائة فان جاء هاشم فذاك وإلا جددتم للناس رجاء وجداً
ولا يشعر به أحد وأصبح الناس على مواقفهم فلما طلعت الشمس
أقبل أصحاب القعقاع فحين رآهم كبر وكبر المسلمون وقالوا جاء المدد
واختلفوا الضرب والظعن فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى
اليهم هاشم وقد طلوعوا في سبعائة فأخبروه برأى القعقاع وما صنع
في يوميه ، فعبي أصحابه سبعين سبعين وكان فيهم قيس بن هبيرة بن
عبد يغوث المعروف بقيس بن المكشوح المرادى ولم يكن من أهل
الأيام إنما كان باليرموك فانتدب مع هاشم حتى إذا خالط القلب كبر
وكبر المسلمون . وقال أول القتال المطاردة ثم المراماة ثم حمل على
المشركين يقاتلهم حتى خرق صفهم إلى شاطئ النهر ثم عاد إلى موقفه
وبات المشركون في علاج توأبيتهم حتى أعادوها وأصبحوا على
مواقفهم وأقبلت الفيلة معها الرجالة يحمونها أن تقطع وضئها
(أحزمتها) ومع الرجالة فرسان يحمونهم إذا أرادوا كنيبته دلفوا لها
بفيل وأتباعه لينفروا بهم خيلهم فتقاتلوا حتى عدل النهار . وكان يوم
عماس من أوله إلى آخره شديداً . العرب والعجم فيه على السواء .
وقد كان يزدحرد يبعث المدد من بقي عنده فيقومون بهم ولولا
الذي صنع الله للمسلمين بالذي ألهم القعقاع في اليومين وأتاح لهم .

بهاشم لكسر المسلمون وانهزموا

(فرار الفيلة)

لما رأى سعد الفيلة تفرق بين الكنائب وعادت لفعالها كيوم
أرماث استشار نفرا من الفرس أسلموا فأشاروا عليه بضرب
المشافر والعيون فأرسل إلى القعقاع وعاصم ابني عمر . أ كفياني
« الأبيض » وكانت كلها آلفة له وكان نازئهما وأرسل إلى حمال
والرييل أ كفياني « الأجرى » وكانت آلفة له كلها وكان نازئهما
وهذان الفيلان هما أكبر الفيلة وسائرهما تبع لهما

أما القعقاع وعاصم فحملا على الفيل الأبيض فوضعا رجليهما
معاً في عييه فضع (صوت) ونفض رأسه وطرح سائسه ودلى
مشفره ففمحه القعقاع فرمى به ووقع لجنبه وقلوا من كان عليه
وأما الحمال فقال للرييل اختر إما أن تضرب المشفر وأطعن في
عييه أو تطعن في عييه واضرب مشفره . فاخار الضرب فحمل
عليه حمال وطعنه في عينه فألقى (جلس على إتيه ونصب نخديه)
ثم اسنوى وفتح (ضربه) الرييل فأبان مشفره وقد ولى الفيل
الأجرى فوثب في النهر فاتبعته الفيلة فخرقت صف الأعاجم فعبرت
النهر في أثره فأتت المدائن في توأبيتها وهلك من فيها

ليلة الهرير او ليلة القادسية

القتال إلى الصباح - قتل رستم

بعد أن فرت الفيلة وخلص المسلمون بأهل فارس ومال الظل نزاحف المسلمون وحمائم فرساهم الذين قابلوا اول النهار حتى المساء واشد القتال وصر الفريقان فخرجا على السواء الا الغماغم^(١) من هؤلأ وهؤلأ فسميت ليلة الهرير^(٢) لم يكن قتال بليل بعدها بالقادسية .

بعث سعد « ليلة الهرير » طليحة وعمرا الى مخاضة أسفل العسكر ليفوما عليها حشية ان يأتيه الموم مها
قال طليحة لو خضنا فأتينا الأعاجم من خلفهم فقال عمرو
بل نعب أسفل فافترفا فأخذ طليحة نحو العسكر من وراء
العنيق وسفل عمرو بأصحابهما جميعاً فأغاروا واثارت بهم الأعاجم
وزحف قوم بغبر إذن سعد ولم ينظروا أمره فكان القعقاع أول
من زحف فقال سعد اللهم اعفها له وانصره فقد أذنت له إن لم
يستأذنى ثم قال إذا كبرت ثلاثا فاحملوا وكبر واحدة لكنهم لم
ينظروا فحملت أسد ثم بجيلة ثم كندة ثم زحف الرؤساء وهكذا

(١) الغماغم أصوات الأبطال عند القتال

(٢) أصل معنى كلبه الهرير صوت الكلب وهو دون البيح . وسميت

ليلة الهرير لتركهم الكلام وإنما كانوا يهرون هريراً

فان العرب لشجاعتهم لا يطيقون الانتظار في ميدان القتال بل يندفعون بكل قواهم وقد كان سعد ينتظر طويلا بين كل تكبيرة وأخرى كما يستعدوا وينتظموا ولكنهم ما كانوا يطيقون الصبر

كانت رحي الحرب تدور على القعقاع وتقدم حنظلة بن الربيع وأمراء الأعشار وطليحة وغالب وحمال وأهل النجدات. ولما كبر سعد الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا وخالطوا القوم واستقبلوا الليل بعد صلاة العشاء وكان صليل الحديد فيها كصوت القيون^(١) ليلتهم إلى الصباح ورأى العرب والعجم أمرا لم يروا مثله وانقطعت أخبار القتال عن سعد ورستم وأقبل سعد على الدعاء فلما كان الصبح استدل المسلمون على أنهم المتصرون بعد أن حاربوا ٢٤ ساعة بلا إنقطاع

كان أول شيء سمعه سعد في هذه الليلة مما استدل به على الانتصار في نصف الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول :

نحن قتلنا معشرا وزائدا أربعة وخمسة وواحد
نحسب فوق اللبد الأسودا حتى إذا ماتوا دعوت جاهدا
الله ربي واحترزت عامدا

لم يغمض الناس عيونهم في تلك الليلة وفي الصباح سار القعقاع في الناس فقال « ان الدبيرة (الهزيمة) بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة واحملوا فان النصر مع الصبر فأثروا الصبر على الجزع »

(١) القيون جمع قين وهو الحداد

فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا رستم (قصدوه) حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح وأخذت مجنبتا الفرس في الارتداد ونشب في القلب قتال عنيف وعند الظهر ركض عليهم النقع (الغبار) وهبت ريح عاصفة فقلعت سرادق رستم عن عرشه فهوى في النهر وانتهى القعقاع ومن معه إلى العرش فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالسرادق إلى بغال قدمت عليه بمال يومئذ فهي واقعة فاستظل في ظل بغل وحمله وضرب هلال بن علفة الجمل الذي كان رستم تحنه فقطع حباله ووقع عليه أحد جانبي الجمل ولم يره هلال ولم يشعر به فقرر رستم نحو النهر فرمى بنفسه فيه ولحقه هلال فأخذ برجله ثم خرج به وضرب جبينه بالسيف حتى قتله ثم جاء به وورماه بين أرجل البغال وصعد العرش ونادى «قتلت رستم ورب الكعبة» فاضطرب قلب المشركين عند ذلك وانهمزوا وقام الجالينوس على الردم ونادى أهل فارس إلى العمور فوخزم المسلمون برماحهم وارسل سعد إلى هلال فدعاه . فقال أين صاحبك ؟ قال رميت به تحت أبغل . قال اذهب فجىء به فذهب بجأبه . فقال جرده الا ماشئت فأخذ سلبه فلم يدع عليه شيئا

هذه رواية سيف عن قتل رستم كما جاء في الطبرى وهكذا ذكرها ابن الأثير غير أن الواقدي في فتوح الشام روى رواية غريبة فقال (ان أول من فتح الحرب رستم وطلب البراز فخرج اليه ابن نجبة فقتله فخرج زهير فقتله فأراد القعقاع أن يخرج واذا بفارس قد

أقبل إلى رستم كالريح في هبوبها فصاح برستم صيحة أدهشته وطعنه في خاصرته فاطلع السنان من الخاصرة الأخرى فنظر إليه سعد فاذا هو أبو محجن وقد صنع ذلك برستم النخ) وذكر أن سعد بن أبي وقاص عفا عن أبي محجن لأنه قتل رستم وهذا من أخطاء الواقدي فقد ذكرنا ما كان من أبي محجن فإنه لم يقتل رستم بل الذي قتله هو هلال ولم يذكر الواقدي هبوب الريح التي طارت بخيمة رستم ولا فراره إلى الهر

وجاء في كتاب الشاهنامه « فلما رأى رسم ذلك بارز سعدا فغلبه سعد وضرب على رأسه ضربة تشظت منه بيضته وانفلقت هامته فضربه ضربة ثانية نزلت من عاتقه إلى صدره » وهذا خطأ واضح لأن سعداً كان وقتئذ مريضاً لا يستطيع الجلوس ولا الركوب وشغب عليه نفر فقيدهم في القصر واضطر أن يعتذر إلى الناس وأراهم ما به من القروح فعذره الناس ووبخته زوجته فلطم وجهها فكيف يستطيع أن يبارز رستم ويضربه تلك الضربة الشديدة القاضية ؟ والحقيقة أن سعداً ما يبارز أحداً في موقعة القادسية ولا ركب حصاناً أو ناقة

وبعد أن قتل رستم اضطرب الفرس وانهمزوا وقام الجالينوس على الردم ونادى أهل فارس إلى العبور واخذ ضرار بن الخطاب راية الفرس درفش^(١) كايان فعوض منها ٣٠٠٠٠ وكانت قيمتها

(١) درفش معناها بالفارسية اللواء وفي مفتاح العلوم للخوارزمي

٢٠٠٠ ر. ١٢٠٠ وذهب فرسان من المسلمين في انز الفرس ولحق
زهرة بالجالينوس وكان في آخرهم يحميهم فاختلفا ضربتين
فقتله زهرة واخذ سله وقتلوا ما بين الحرارة والسيلاحين الى النجف
وأمسوا فرجعوا فماتوا بالقادسية . واصيب المؤذن فنشاح الناس
في الأذان فأقرع سعد بينهم
(خسائر الحرب)

بلغت خسائر المسلمين قبل ليلة الهرب ٢٥٠٠ وفي يوم القادسية
٦٠٠٠ وبلغت خسائر الفرس ١٠٠٠٠

قال الطبري : « وخرج صبيان العسكر في القلى ومعهم الأداوى
(أوان صغيرة من الجلد جمع إداوة) يسقون من به رمق من المسلمين
ويقتلون من به رمق من المشركين » وزاد مستر موير في كتاب
الخلافة (النساء) فقال كان النساء والصبيان يشفقون على جرحى
المسلمين ويعاملونهم بالحسنى ويسقونهم الماء وينقمون من جرحى
الفرس . أما الطبري فلم يذكر النساء وعل كل حال لم يكن ذلك
بأذن القائد العام أو احد من القواد لأنهم لم يكونوا يجهزون
على جريح . أما الصبيان فمن يلومهم على هذا العمل ! ؟

الدرقس معرب من درفش كايان والدرفش هو العلم وكان اسم الرجل
الذى خرج على الضحاك حتى قتله أفريدون كابي وكان علم كابي من حلد
دب ويقال من جلد اسد وكان يتيمن به ملوك الفرس فغشوه بالذهب
ورصعوه بالجواهر الثمينة

وكتب سعد إلى عمر بالفتح وبعده من قتلوا ومن أصيب من المسلمين وسمى لعمر من يعرف مع عميلة الفزاري كانت غنائم المسلمين عظيمة فنال كل جندي ٦٠٠٠ قطعة وقدر ما سلب من رستم ٧٠٠٠٠ اعطاها سعد لهلال وكانت راية الفرس المصنوعة من جلد النمرور ومرصعة بالجواهر تقدر بمائة الف ويقال أن سعد بن أبي وقاص استكثر سلب الجالينوس على زهرة فكتب إلى عمر فكسب إليه عمر (إني قد نفلت كل من قتل رجلا سلبه) فبذعه إليه فباعه بسبعين الف. وفضل أهل البلاء يوم القادسية عند العطاء خمسمائة خمسمائة في اعطياتهم خمسة وعشرين رجلا. أما أهل الأيام فانه فرض لهم على ثلاثة آلاف فضلوا على أهل القادسية وكتب سعد إلى عمر بالفتح وبعده من قتل وأسماء من يعرف منهم (أهمية انتصار المسلمين)

كانت هزيمة الفرس مقدره وحاسمة ولم يمض على ذهاب خالد بن الوليد إلى العراق إلا نحو ثلاثين شهراً وكانت دولة الفرس قد هزمت الأمبراطورية البيزنطية بالشام وعسكرت جيوشها على ضفاف البسفور منذ خمس عشرة سنة وهاهي قد أندحرت أمام جيوش المسلمين الذين لم يتجاوز عددهم ثلاثين أو أربعين ألفاً غير مسلحين تسليحاً جيداً ومع أن جيوش الفرس تمكنت من عبور النهر فارة فان قوتهم الحربية لم تلتئم ولم تعد خطراً يهدد جيوش المسلمين. وقد وقع الرعب في نفوس الأهالي وانضمت القبائل العربية وحاربت

القبائل المسيحية في صفوف المسلمين وجاءت إلى سعد خاضعة نادمة ودخلت في دين الله. وقد كان عمر رضى الله عنه شديد الاهتمام بأخبار حرب الفرس فكان يسأل الركبان حتى يصبح إلى اتصاف النهار عن أهل القادسية ثم يرجع إلى أهله ومنزله. فلما لقي البشير سأله من أين فاخبره. قال يا عبد الله حدثني. قال هزم الله المشركين وعمر يخب معه يسأله والآخر يسير على ناقته لا يعرفه حتى دخل المدينة وإذا الناس يسلمون عليه بامرأة المؤمنين. قال البشير هلا أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين! فقال عمر لا بأس عليك يا أخى. فانظر إلى بساطة عمر وتواضعه مع أنه كان أعظم شأنا وأرفع منزلة من قيصر وكسرى

ما بعد القادسية من الحوادث

فتح المدائن

سنة ١٥ - ١٦ هـ (٦٣٦ - ٦٣٧ م)

(يوم بُرس)

بعد أن انهزم الفرس بالقادسية توقف سعد عن القتال مدة شهرين ليستريح الجند ويستعد للقتال وقد شفى في هذه المدة من المرض الذى أصابه وسار من القادسية لأيام بقين من شوال. فلما وصلت مقدمة المسلمين برس^(١) وعليهم عبد الله بن المعتم وزهرة

(١) برس موضع بارض بابل به آثار لبخت نصر وتل مفرط العلو

ابن حوية وشرح حبيل بن السمط لقيهم جمع من الفرس فهزمهم المسلمون إلى بابل وبها فالة القادسية فهزموا قائدهم **بُصْبَرِي** فألقى نفسه في النهر ومات من طعنة زهرة ثم أقبل بسطام دهقان برس وصالح زهرة وعقد له الجسور وأخبره بمن اجتمع ببابل

(يوم بابل)

نزل سعد الكوفة ^(١) مع هاشم بن عتبة وأتاه الخبر عن زهرة باجتماع الفرس ببابل على الفيرزان فزحف بقواده إلى بابل ولم يلبث أن هزم الفرس فخرج الهرمزان متوجها نحو الأهواز فأخذها ثم سار حتى طلع على نهاوند وبها كنوز كسرى فأخذها وأقام سعد ببابل أياماً ثم نزل كوئي ^(٢) وأتى البيت الذي كان فيه إبراهيم عليه السلام محبوساً فنظر إليه وصلى على رسول الله وعلى إبراهيم وعلى أنبياء الله وقرأ (وتلك الأيام نداؤها بين الناس)

يسمى صرح البرس (١) الكوفة بالضم المصر المشهور بارض بابل من سواد العراق ويسمى قوم « خد العذراء » قيل سميت الكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب رايت كوفانا وكوفانا بضم الكاف وفتحها للرميلة المستديرة وقيل سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم قد تكوف الرمل وقيل غير ذلك

(٢) كوئي موضع بالعراق في أرض بابل و **كُوئي** العراق كوئيان أحدهما كوئي الطريق والآخر كوئي ربي وبها مشهد الخليل عليه السلام وبها مولده وهما من أرض بابل وبها طرح إبراهيم في النار وهما ناحيتان

فتح المدائن

شهر صفر سنة ٥١٦ هـ

المدائن هي عاصمة ملك فارس وكانت مسكن الملوك من الأكاسة الساسانية وغيرهم وإنما سُمّتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن واسمها عند الفرنج اكتيزيفون بينها وبين بغداد ٢٥ ميلاً .

قدم سعد زهرة إلى بهر سير^(١) فصالحه شيرازاد دهقان ساباط على تأدية الجزية وهزم زهرة كتيبة بنت كسرى التي تدعى بوران ثم زحف سعد على نهر سير فرأى المسلمون الايوان (وهي تجاه الايوان) فقال ضرار بن الخطاب « الله أكبر . أبيض كسرى . هذا وعد الله ورسوله » وكبر وكبر الناس معه فكانوا كلوا وصلت طائفة كبروا ثم نزل على المدينة

وفي صفر دخل المسلمون بهر سير وكان سعد محاصر آها وأرسل الخيول فاغارت على من ليس له عهد فاصابوا ١٠٠٠٠٠٠ فلاح فاصاب كل واحد منهم فلاحاً فارساً سعد إلى عمر يستأذنه فاجابه (إن من جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو أمانة ومن هرب فادر كتموه فشانكم به) فحلى سعد عنهم وأرسل إلى الدهاقين

(١) من نواحي سواد بغداد قرب المدائن وهي إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن وهي في غربى دجلة وهي تجاه الايوان لأن الايوان في شرقى دجلة وهي في غربى

ودعاهم إلى الاسلام أو الجزية ولهم الذمة فراجعوا ولم يدخل في ذلك ما كان لآل كسرى فلم يبق غربي دجلة إلى أرض العرب سوارى إلا آمن واغتبط بملك الاسلام وأقاموا على بهر سير شهرين يرمونهم بالمجانيق ويدبون اليهم بالدبابات ونصبوا على المدينة ٢٠ منجنيقاً فشغلهم بها واشتد الحصار بأهل المدائن الغربية حتى أكلوا السنائير والكلاب وصبروا من شدة الحصار على أمر عظيم ثم قطعوا دجلة إلى المدائن الشرقية ودخلوا المدينة فانزلهم سعد المنازل أقام سعد ببهر سير أياماً من صفر فاتاه علع فذله على مخاضة تخاض إلى صلب الفرس فابى وتردد عن ذلك وقحمهم المد وكانت السنة كثيرة المدود ودجلة تقذف بالزبد فاتاه علع آخر وقال له ما يقيمك لا يأتي عليك ثلاثة حتى يذهب يزدجرد بكل شئ في المدائن فعزم سعد على قطع البحر وخطب في الجيش وندب الناس إلى العبور وجعل عاصماً على الفراض ليمنعها وأذن في الاقتحام وقال: «قولوا نستعين بالله وتوكل عليه: حسبنا الله ونعم الوكيل. والله لينصرن الله وليه وليظهر دينه وليهزم من عدوه ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» وتلاحق الناس في دجلة وكان الذي يساير سعداً سلمان الفارسي فعامت به خيولهم وخرج الناس سالمين وخيولهم تنفض أعرافها وسموا يوم عبورهم الدجلة «يوم الجراثيم» لأنه لم يكن أحد يعبر إلا ظهرت له جرثومة يسير معها وهي من القش المربوطة حزمياً فلما

لم يقدر الفرس على منع المسلمين من العبور هربوا إلى حلوان (١)
فدخلها المسلمون ولم يجدوا بها أحداً وقد أخرج يزدجرد عياله إلى
حلوان فلحق بعياله ونزل سعد القصر الأبيض واتخذ الايوان مصلى
وسرح في آثار القوم زهرة في المقدمات

(ايوان كسرى)

زعموا أنه تعاون على بناء إيوان كسرى الذي بالمداين عدة ملوك
وهو من أعظم الابنية. ولما اراد كسرى بناء إيوانه أمر بشراء
ما حوله من مساكن الناس وأرغبهم بالثمن الوافر وإدخاله في الايوان
وقيل انه كان في جواره عجوز لها دويرة صغيرة فاراودها على بيعها
فامتعت وقالت ما كنت لا بيع جوار الملك بالدنيا جميعها فاستحسن
هذا الكلام منها وأمر ببناء الايوان وترك دارها في موضعها منه
وإحكام عمارتها. وقد كان في الايوان صورة كسرى أنوشروان
وقصر ملك أنطاكية وهو يحاصرها ويحارب أهلها

(١) حلوان العراق هي في آخر حدود السواد بما يلي الجبال من بغداد
وقيل أنها سميت بحلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة كان بعض الملوك
أقطعه إياها فسميت به وهي مدينة عامرة ليس بأرض العراق بعد الكوفة
والبصرة وواسط وبغدادوسر من رأى أكبر منها وأكث ثمارها التين وهي
بقرب الجبل وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها وربما يسقط بها الثلج
وأما أعلا جبلها فان الثلج يسقط به دائماً وهي وبثه ردية الماء وكبريتية
وبها رمان وتين في غاية الجودة وحواليها عدة عيون كبريتية ينتفع بها
من عدة ادواء والغريب ان حلوان مصر بها ينابيع كبريتية كحلوان العراق

قال ابن الحاجب يذكر الايوان :

يامن بناه بشاهق البنيان أنسيت صنع الدهر بالايوان
هذى المصانع والدساكر والبنا وقصور كسرى أنوشروان
كتب الليالي في زراها أسطراً بيد البلى وأنامل الحدثان
إن الحوادث والخطوب إذا سعت

أودت بكل موثق الاركان
صلى سعد صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يفصل بينها وكان في
الايوان تماثيل وصور فتركها على حالها وتحول من الايوان بعد
ثلاثة أيام إلى القصر الأبيض

(غنائم المسلمين)

أقام سعد على قبض أموال الغنائم عمرو بن مقرن وأمره أن يجمع
مافي القصور والايوان والخزائن والدور والأسواق وأن يحصيها وما
وجدوه جواهر ودر وع وسيوف وذهب وفضة . ولما قسم سعد الغنائم
على الناس أصاب الفارس ١٢٠٠٠ دينار وكلها كانوا فرسانا ولم يكن
فيهم راجل وأخرج للغائبين مع النساء والحريم في الخيرة نصيبهم .
وقسم الدور بين الناس وأخرج الخمس لعمر بن الخطاب وأرسل اليه
بساط الملك . قال الواقدي في كتاب فتوح الشام يصف هذا البساط
كله ذهب منسوج بالحرير . منظوم بالدر واليواقيت الملونة
والمعادن والجواهر المثمنة والزمرد وكان طوله ستين ذراعاً (١) قطعة

(١) طوله ٦٠ ذراعاً في ٦٠ ذراعاً

واحدة في جانب منه كالصور وفي جانب كالشجر والرياض
والأزهار وفي جانب كالأرض المزروعة المبقلة بالنبات في الربيع
وكل ذلك من الحرير الملون والمعادن على قضبان الذهب والزمرد
والفضة وكان الملك لا يبسطه إلا في أيام الشتاء في إيوانه إذا قعد
للشراب وكانوا يسمونه بساط النزهة والمسرات فيكون لهم شبه
الروضة الزهراء . فلما رآه العرب قالوا « والله هذه قطيفة زينة » وهذا
يدل على مقدار ما وصل إليه الفرس من العز والترف والتقدم في
صناعة الأبسطة وفي الفنون الجميلة

وفي الطبرى عن حبيب بن صهبان قال : دخلنا المدائن فأتينا على
قباب تركية مملوءة سلا لا محتمة بالرصاص فما حسبناها إلا طعاماً فاذا
هي آنية الذهب والفضة فقسمت بعد بين الناس . وقال حبيب : وقد
رأيت الرجل يطوف ويقول من معه بيضاء بصفراء وأتينا على كافور
كثير فما حسبناه إلا ملحاً فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته
في الخبز

وقيل أنهم عشروا على تاج كسرى وثيابه ودروعه ومغفره
وسيفه وبعثوا بذلك إلى عمر ليراه المسلمون ولتسمع بذلك العرب
ولما وصل البساط إلى عمر استشار الناس فاجمع ملامهم على أن
قالوا قد جعلوا ذلك لك فرأيتك إلا ما كان من على فانه قال يا أمير
المؤمنين الأمر كما قالوا ولم يبق إلا التروية إنك إن تقبله على هذا
اليوم لم تعدم في غد من يستحق به ما ليس له . قال صدقتى ونصحتى

فقطعه بينهم وفي رواية أن عليا قام حين رأى عمر يابى حتى انتهى إليه فقال: «لم تجعل عليك جهلا و يقينك شكاً إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فامضيت أو لبست فابليت أو أكلت فأفنت» قال صدقتي فقطعه فقسمه بين الناس فأصاب علياً قطعة منه فباعها بعشرين الفاً وما هي بأجود تلك القطع

لم يخطر ببال عمر ولا ببال احد من المسلمين وقتئذ إنشاء متحف لهذه الغنائم الأثرية النادرة المثال لتبقى مدى الدهر ناطقة بمجد المسلمين وجهادهم وتكون درسا نافعا للمؤرخين وعلماء الآثار وتحفة من أئمن التحف الفنية ولا شك أن تقسيم مثل هذا البساط بواسطة قطعه قطعاً وتوزيع سيوف الملوك ودروعهم وملابسهم وتيجانهم خسارة عظيمة من الوجهة التاريخية والفنية لكن المسلمين في ذلك الوقت يلتمس لهم عذر لأن فكرة المتاحف العامة لخدمة التاريخ والفن لم تكن موجودة في عصرهم فرأوا أن خير ما يفعلون تقسيم الغنائم تقسيماً عادلاً بقدر الطاقة بغض الطرف عن قيمتها الأثرية والفنية

ولما أتى بحلى كسرى وزيه في المباهاة وزيه في غير ذلك وكانت له عدة آزياء لكل حالة زى ، قال عمر بن الخطاب على بمحلم وكان أجسم عربي يومئذ بأرض المدينة فألبس تاج كسرى على عمودين من خشب وصب عليه أو شحته وقلائده وثيابه وأجلس للناس فنظر إليه عمرو ونظر إليه الناس فرأوا أمراً عظيماً من أمر الدنيا وفتتها ثم قام

عن ذلك فألبس زيه الذي يليه فنظروا إلى مثل ذلك في غير نوع حتى أتى عليها كلها ثم البسه سلاحه وقلده سيفه فنظروا إليه في ذلك ثم وضعه ثم قال « والله إن أقواماً أدوا هذا لذوو أمانة ونقل سيف كسرى محلباً »

موقعة جلولاء

سنة ١٦ هـ - ٦٣٧ م

اغتبط عمر بما فتح الله على المسلمين في المدائن وعاد إلى حذره فنهى عن الزحف فأقام سعد في المدائن ومضى سيف سنة ١٦ هـ في راحة . أما يزيد جرد وجيشه المنهزم فانه فر إلى الجبال وخضع الذين على شاطئ الدجلة لأنهم وجدوا أن المقاومة لا تجدى نفعاً وفي الخريف اجتمع الفرس على يزيد جرد بحلوان على نحو مائة ميل من المدائن ومن هناك تقدم قسم من الجيش إلى جلولاء . وهي حصن أحاطوه بخندق وأحاطوا الخندق بحسك الحديد (مسامير) إلا طرقهم فبلغ ذلك سعداً فأرسل إلى عمر فكتب إليه عمر أن سرح هاشم بن عتبة إلى جلولاء واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو وإن هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل وليكن الجند اثني عشر ألفاً ففعل سعد ذلك وسار هاشم من المدائن بعد قسمة الغنيمة في اثني عشر ألفاً منهم وجوه المهاجرين والانصار وأعلام العرب ممن كان إرتد ولم يرتد

حاصر المسلمون الفرس فطاولهم الفرس وجعلوا لا يخرجون عليهم إلا إذا أرادوا وزاحفهم المسلمون بجلولاء ثمانين زحفاً فظفروا عليهم وغلبوهم على الحسك وجعل سعد يمد هاشماً بالفرسان وأخيراً اقتتلوا فهزم أهل فارس وبعث الله عليهم ريحاً أظلمت عليهم البلاد ثم عادوا فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتلوا مثله إلا « ليلة الهرير » إلا أنه كان أعجل وانتهى القعقاع إلى باب الخندق واستولى عليه وحمل عليهم المسلمون فهزموهم وقتل منهم يومئذ نحو ١٠٠٠٠٠ . فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه فسميت جلولاء بما جللها من قتلاهم فهي « جلولاء الواقعة » ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الري في اتجاه بحر قزوين

وكان فتح جلولاء في ذى القعدة سنة ١٦ هـ وبينها وبين المدائن تسعة أشهر وقدم القعقاع حلوان وقتل دهقاهما وكتبوا إلى عمر بالفتح وبنزول القعقاع حلوان وأصاب القعقاع سبايا فأرسلهن إلى هاشم فقسمن فاتخذن فولدن وقسمت الغنيمة وأصاب كل واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب وقيل أن الغنيمة كانت ٣٠٠٠٠٠٠٠ درهم عدا الخيول الفارسية الجميلة وبعث سعد بالأخماس إلى عمر وبعث الحساب مع زياد ابن أبيه فكلم عمر فيما جاء له ووصف له فقال عمر هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل ما كلمتني به . فقال والله ما على الأرض أهيب في صدري منك فكيف لا أقوى على هذا من غيرك . فقام في الناس بما أصابوا وما

صنعوا وبما يستأنفون من الأنسياح في البلاد . فقال عمر « هذا الخطيب المصقع » فقال إن جندنا أطلقوا ألسنتنا

ولما قدم الخنس على عمر قال « والله لا يُجَنُّه سَقْفٌ حتى أقسمه »
فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن الأرقم يحرسانه في المسجد
فلما أصبح جاء في الناس فكشف عنه فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده
وجوهره بكى . فقال له عبد الرحمن بن عوف : ما يبكيك يا أمير
المؤمنين فوالله إن هذا لموطن شكر . فقال عمر : « والله ما ذلك
يبكيني وبالله ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا وتباغضوا . ولا
تحاسدوا إلا ألقى الله بأسهم بينهم » ومنع عمر من قسمة السواد لتعذر
ذلك بسبب الآجام والغياض وتبعيض المياه

وكان صلح عمر الذي صالح عليه أهل الذمة أنهم إن غشوا
المسلمين لعدوهم برئت منهم الذمة وإن سبوا مسلما أن ينهكوا عقوبة
وإن قاتلوا مسلما أن يقتلوا وعلى عمر منعهم وبرى عمر إلى كل ذى
من معرفة الجيش

فتح تكريت والموصل^(١)

تكريت بلدة مشهورة بين بغداد والموصل وهي إلى بغداد

(١) الموصل المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام
وهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان . قيل سميت
الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق وقيل وصلت بين دجلة والفرات

أقرب وبينها وبين بغداد ٣٠ فرسخا ولها قلعة حصينة في طرفها
الأعلى رابطة على دجلة وهي غربي دجلة

فتحت تكريت في جمادى سنة ١٦ هـ وقد أرسل سعد الجيوش
إلى تكريت (شمال المدائن) وكان يحميها جيش مختلط من الروم
وقبائل إياد وتغلب والنمر والشهارجة وهي قبائل مسيحية وعلى
راسهم الأنطاق وكان عمر كتب إليه أن سرح إليه عبد الله بن المعتم
واستعمل على مقدمته ربيع بن الأفكل وعلى الخيل عرفة بن هرثمة
فسار عبد الله إلى تكريت وحاصرها أربعين يوما وأرسل عبد الله
ابن المعتم إلى العرب، الذين مع الأنطاق يدعوهم إلى نصرته وكانوا
لا يخفون عليه شيئا ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم تركوا
أمراءهم ونقلوا أمتعتهم إلى السفن فأرسلت تغلب وإياد والنمر
إلى عبد الله بالخبر وسألوه الأمان وأعلوه أنهم معه . فأرسل إليهم
إن كنتم صادقين فأسلوا فأجابوه وأسلوا . فأرسل إليهم عبد الله
إذا سمعتم تكبيرنا فاعلوا أنا أخذنا أبواب الخندق فخذوا الأبواب
التي تلى دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه وعلى ذلك قتلوهم جميعا
ولم يفلت من أهل الخندق إلا من أسلم من قبائل البدو . وأرسل
عبد الله ابن المعتم ربيع بن الأفكل إلى الحصنين وهما نينوى والموصل
فسمى نينوى الحصن الشرقي وسمى الموصل الحصن الغربي فاقتحم

وهي مدينة قديمة على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى .
هواؤها جيد وماؤها عذب وحرها شديد في الصيف وبردتها عظيم في الشتاء .

ابن الأفلح الحصنين فأجابوه الى الصلح وصاروا ذمة وقسموا
الغنائم فكان سهم الفارس ٣٠٠٠ درهم وسهم الراجل ١٠٠٠ درهم
وبعثوا بالأنحاس الى عمر مع فرات بن حيان وبالفتح مع الحارث
ابن حسان

فتح ما سبذان

لما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء الى المدائن بلغ سعداً أن آذين
ابن الهرمزان قد جمع جمعاً فخرج بهم الى السهل فكتب بذلك الى
عمر فكتب اليه عمر ابعث اليهم ضرار بن الخطاب في جند واجعل
على مقدمته ابن الهزيل الأسدي وعلى مجنبيه عبد الله بن وهب
الراسبي حليف بجيلة والمضارب فخرج ضرار بن الخطاب وهو أحد
بنى محارب بن فهر في الجند وقدم الهزيل حتى انتهى الى سهل ماسبذان
فالتقوا بمكان يدعى بهندف فاقتلوا بها فاسرع المسلمون في المشركين
وأخذ ضرار آذين فاسره فانهزم عنه جيشه فضرب عنقه ثم خرج في
الطلب حتى انتهى الى السيروان فأخذ ماسبذان عنوة فهرب أهلها
في الجبال فدعاهم فاستجابوا له وأقام بها حتى تحول سعد من المدائن
فارسل اليه فنزل الكوفة واستخلف ابن الهذيل على ماسبذان
فكانت أحد فروج الكوفة
وبهندف بليدة من نواحي بغداد في آخر أعمال النهروان بين
بادرايا وواسط .

قال ضرار بن الخطاب صاحب الجيش الذي مر ذكره :
ولما لقينا بهندف جمعهم اناخوا وقالوا اصبروا آل فارس
فقلنا جميعا نحن اصبر منكم وأكرم في يوم الوغا والتمارس
ضربناهم بالبيض حتى اذا اثنت أقناها مثلا بضرب القوانس
فما فئت خيل تقص طريقهم وتقتلهم بعد اشتباك الحنادس
فعادوا لنادنياً وداؤوا بعهدنا وعدنا عليهم بالنهي في المجالس

فتح قرقيسيا

قرقيسيا معرب كرقيسيا وهو مأخوذ من كر كيس وهو اسم
لارسال الخيل المسمى بالعريسة الحلبة وكثير ما يجيء في الشعر
مقصورا

لما رجع هاشم بن عتبة عن جلولاء إلى المدائن وقد اجتمعت
جموع أهل الجزيرة فأمدوا هرقل على أهل حمص وبعثوا جنداً إلى
أهل هيت وكتب بذلك سعد إلى عمر فكتب عمر أن ابعث اليهم
عمر بن مالك في جند وابعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامري
وعلى مجنبيه ربيع بن عامر ومالك بن حبيب فخرج عمر بن مالك في
جنده سائر نحو هيت وقدم الحارث بن يزيد حتى نزل على من هيت
وقد خندقوا عليهم فلما رأى عمر بن مالك امتناع القوم بخندقهم
واعتصامهم به إستطال ذلك فترك الأخبية على حالها وخلف عليهم
الحارث بن يزيد محاصراً وخرج في نصف الناس يعارض الطريق

حتى يجيء قرقيسيا في غرة فأخذها عنوة فأجابوا إلى الجزاء وكتب
إلى الحارث بن يزيد إن هم استجابوا فخل عنهم فليخرجوا وإلا
فخندق على خندقهم خندقا أبوابه مما يليك حتى أرى من رأي. فسمحوا
بالاستجابة وانضم الجند إلى عمر والأعاجم إلى بلادهم

قال عمر بن مالك يذكر قرقيسيا :

ونحن جمعنا جمعهم في حفيرهم بهيت ولم نحفل لأهل الحفائر
وسرنا على عمد نريد مدينة بقرقيسيا سير الكمامة المساعر
فجئناهم في دارهم بغنة ضحى فطاروا واخلوا أهل تلك المحاجر
فنادوا إلينا من بعيد بأننا ندين بدين الجزية المتواتر
قبلنا ولم نردد عليهم جزاءهم وحطناهم بعد الجزا بالبواتر
أما هيت التي مضى ذكرها فليل سميت هيت لأنها في هوة من
الأرض انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وهي بلدة على الفرات
من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة وهي
مجاورة للبرية

قال عمر بن مالك يذكرها :

تطلولت أيامي بهيت فلم أحم وسرت إلى قرقيسيا سير حازم
فجئتهم في غرة فاحتويتها على عنن من أهلها بالصوارم

التاريخ الهجرى

فى السنة السابعة عشرة كتب التاريخ فى شهر ربيع الأول (يولية سنة ٦٣٩ م) وأول من كتب التاريخ عمر بمشورة على بن أبى طالب فان عمر بن الخطاب سأل الناس من أى يوم نكتب ؟ فقال على من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك

وحج بالناس عمر فى هذه السنة واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وفيها ماتت مارية أم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم إبراهيم وصلى عليها عمر وقبرها بالقيع وذلك فى شهر محرم السنون العربية سنون قمرية وهى أقل من السنين الشمسية أو الميلادية بأحد عشر يوماً تقريباً

وكانت سنة العرب فى أقدم أزمان جاهليتهم سنة هلالية ثم وفقوا بينها وبين السنة الشمسية قبل الاسلام وبقوا على ذلك إلى أيام الهجرة النبوية فكان لهم بعد الاسلام سنتان أحدهما هلالية للفروض الدينية والأخرى شمسية للامور الزمنية والسياسية كجباية الخراج وما أشبه وتدعى السنة الخراجية أيضاً

وبدء السنة الهجرية شهر محرم وكان خروج رسول الله من مكة فى أول ربيع الأول ويقول الأستاذ برسيغال ٤ ربيع الأول الموافق ٢٠ يونيه سنة ٦٢٢ وفى قاموس الاسلام إن عمر كتب التاريخ

الهجرى فى سنة ١٧ هـ

بناء البصرة

سنة ١٧ هـ - ٦٣٨ م

معنى البصرة في اللغة الأرض الغليظة ذات الحجارة الصلبة وقيل الأرض ذات الحصى وقيل الحجارة الرخوة البيضاء والبصرة مدينة عند ملتقى دجلة والفرات ويعرف ملتقاهما بشط العرب وحكاية بنائها أن عتبة كتب إلى عمر يستأذنه في تمصير البصرة وقال إنه لا بد للسليين من منزل إذا أشتا شتوا فيه وإذا رجعوا من غزوهم لجأوا إليه فكتب إليه عمر أن ارتد لهم منزلا قريباً من المراعى والماء واكتب إلى بصفته . فكتب إلى عمر إنى قد وجدت أرضاً كثيرة القضة (الحجارة المجتمعة المتشقة) في طرف البر إلى الريف ودونها مناقع فيها ماء وفيها قصباء . فلما وصلت الرسالة إلى عمر قال هذه أرض «بصرة» قريبة من المشارب والمرعى والمختطب فكتب إليه أن انزلها فنزلها وبني مسجدها من قصب لكثرتة هنالك وبني دار إمارتها دون المسجد في الرحبة التي يقال لها رحبة بنى هاشم وكانت تسمى الدهناء وفيها السجن والديوان وحمام الاسراء بعد ذلك لقربها من الماء . فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بناءها كما كان . ثم ان البصرة احترقت فبنوها باللبن . وأول من غرس النخل فيها أبو بكره ثم غرس الناس بعده ثم استعمل عمر عليها المغيرة بن م — ٢٣ الفاروق

شعبة ثم أبا موسى الأشعري سنة ١٧ هـ فبنى الجامع باللبن وكذلك
دار الامارة
أما الأبله فهي أقدم من البصرة لأن البصرة مصرت في أيام
عمر بن الخطاب وكانت الأبله حينئذ مدينة فيها مسالح من
قبل كسرى

بناء الكوفة

سنة ١٧ هـ ٦٣٨ م

الكوفة المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسميتها
قوم « خد العذراء » وقد مصرت الكوفة في السنة التي مصرت فيها
البصرة. وكان سبب بنائها أن سعدا أرسل وقد آ إلى عمر بالفتوح فلما
راهم عمر سألهم عن تغيراً لو انهم وحالهم فقالوا وخومة البلاد غيرتنا
فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلاً ينزله الناس وكتب إلى سعد أن
ابعث سلمان وحذيفة رائدين فليرتادا منزلاً برياً بحريا ليس بيني
وبينكم فيه بحر ولا جسر. فارسلهما سعد فاخترارا الكوفة بالقرب من
الحيرة على شاطئ الفرات الغربي فنزلا فصليا ودعوا الله تعالى أن
يجعلها منزل الثبات ونزل سعد الكوفة وكتب إلى عمر أني قد نزلت
بالكوفة فيما بين الحيرة والفرات برىا بحريا ينبت الحلفاء والنّصي^(١)

(١) النصي نبت سبط من افضل المراعى مادام رطباً فاذا ابيض فهو
(الطريقة) فاذا ضخّم ويابس فهو (الحلي) الواحدة نصية

وخير المسلمون بينها وبين المدائن فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة . ولما استقروا بها رجع اليهم ما كانوا فقدوا من قوتهم وبنهاها بالقصب كالبصرة ولما أصابها الحريق ^(١) بناها باللبن وكان على تنزيل الكوفة أبو هياج بن مالك وعلى تنزيل البصرة عاصم بن دلف أبو الحرباء وقدرنا المناهج أربعين ذراعاً وما بين ذلك عشرين ذراعاً والأزقة سبع أذرع والقطائع ستين ذراعاً وأول شيء خطه فيهما وبني مسجداهما وقام في وسطهما رجل شديد النزع فرمى في كل جهة بسهم وأمر أن يبني ما وراء ذلك وبني ظلة في مقدمة مسجد الكوفة على أساطين رخام من بناء الأكاسرة في الحيرة وجعلوا على الصحن خندقاً لئلا يقتحمه أحد بينيان وبنوا السعد داراً بحياله وهي قصر الكوفة من آجر الأكاسرة في الحيرة وجعل الأسواق على شبه المساجد من سبق إلى مقعد فهو له حتى يقدم منه إلى بيته ويفرغ من معه . وبلغ عمر أن سعداً قال وقد سمع اصوات الناس من الأسواق « سكنوا عنى السويط » وأن الناس يسمونه قصر سعد فبعث محمد ابن مسلمة إلى الكوفة وأمره أن يخرق باب القصر ثم يرجع ففعل فبلغ سعداً ذلك فقال هذا رسول أرسل لهذا فاستدعاه سعد فإني أن يدخل عليه فخرج اليه سعد وعرض عليه نفقة فلم يأخذ وأبلغه كتاب عمر اليه : « بلغني أنك اتخذت قصرأ جعلته حصناً ويسمى قصر

(١) وقع الحريق بالكوفة والبصرة وكان أشدهما حريقا الكوفة

فاحترق ثمانون عريشاً ولم يبق فيها قصبية

سعد بينك وبين الناس باب فليس بقصرك ولكنه قصر الخيال. أنزل
منه مما يلي بيوت الأموال وأغلقه واللاتجعل على القصر باباً يمنع
الناس من دخوله . فحلف له سعد ما قال الذي قالوا فرجع محمد
فأبلغ عمر قول سعد فصدقه

وكانت ثغور الكوفة أربعة : (١) حلوان وعليها القعقاع
(٢) ماسبذان وعليها ضرار بن الخطاب (٣) قرقيسيا
وعليها عمر بن مالك أو عمرو بن عتبة بن نوفل (٤) الموصل
وعليها عبد الله بن المعتم وكان بها خلفاؤهم إذا غابوا عنها وولى سعد
الكوفة بعد ما اختطت ثلاث سنين ونصفا سوى ما كان بالمداين قبلها
وقد كان لبناء الكوفة والبصرة أثر عظيم في الخلافة وقد كان
السواد الأعظم من السكان من أصل عربي وقد كانت الكوفة مسكناً
للقبائل العربية الوافدة من الجنوب وهؤلاء كانوا العنصر السائد
فيها . أما البصرة فقد كانت مسكناً للوافدين من الشمال وتراوح
سكان كل منهما بين ١٥٠.٠٠٠ و ٢٠٠.٠٠٠ عربي

موقعة حمص

سنة ٦٣٦ م

أهل الجزيرة يحرضون الروم على قتال المسلمين

حمص باد مشهور قديم كبير مسور وفي طرفه القبلي قلعة
حصينة على تل عال وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق

ارسل أهل الجزيرة إلى ملك الروم وبعثوه إلى إرسال الجنود إلى الشام ووعدوه بالمعاونة فأجابهم إلى ذلك فلما سمع أبو عبيدة ذلك ضم إليه مسالحهم وعسكر بفناء مدينة حمص وأقبل خالد من مدينة قنسرين^(١) حتى انضم إليهم هو وأمراء المسلمين وكان رأى خالد أن يناجز الروم إلى مجىء المدد ورأى غير التحصن فرفض أبو عبيدة رأى خالد وتحصن وخندق على حمص وكتب إلى عمر بنخروج الروم عليه . وكان عمر اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين فكان بالكوفة ٤٠٠٠ فرس معدة للطوارىء فكتب إلى سعد أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص فإن أبا عبيدة قد أحيط به وتقدم إليهم في الجند والحث وكتب إليه أيضاً أن سرح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند وليأت الرقة^(٢) فإن أهل الجزيرة هم الذين استشاروا الروم على أهل حمص وإن أهل قرقيسيا لهم سلف وسرح عبد الله بن عتبان إلى

(١) كانت حمص وقنسرين شيئاً واحداً وهي كورة بالشام منها حلب وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم

واسم حمص عند الروم *EMESA*

(٢) الرقة أصله كل أرض إلى جنب وادي ينبسط عليها الماء وجمعها رفاق وقيل الرقاق الأرض اللينة من غير رمل وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة لأهلها من جانب الفرات الشرقي

نصيبين^(١) فان أهل قرقيسيا لهم السلف ثم لينفضا حران والرها وسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وسرح عياضاً فان كان قتالا فقد جعلت أمرهم جميعاً إلى عياض بن غنم وكان عياض من أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد مدين لأهل الشام ومن انصرف أيام انصراف أهل العراق مدين لأهل القادسية وكان يرافد أبا عبيدة فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب نحو حمص وخرج عياض وأمرأه الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على الفراض وغير الفراض وتوجه كل أمير إلى الكوفة التي أمر عليها فأتى سهيل الرقة وخرج عمر من المدينة مغنياً لأبي عبيدة يريد حمص حتى نزل الجابية . ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا على أهل حمص خبر الجنود الإسلامية تفرقوا إلى بلادهم وفارقوا الروم فلما فارقهم استشار أبو عبيدة خالداً في الخروج إلى الروم فأشار به فخرج اليهم فقاتلهم ففتح الله عليه وقدم القعقاع بن عمرو بعد الواقعة بثلاثة أيام فكتبوا إلى عمر بالفتح وبقدوم المدد عليهم والحكم في ذلك فكتب اليهم أن أشركوهم فانهم نفروا اليكم وانفرك لهم عدوكم . وقال جزي الله أهل الكوفة خيراً يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأنصار فلما فرغوا رجعوا

(١) نصيبين مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وكانت بها عقارب كثيرة

فتح الجزيرة

سنة ١٧ هـ

سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر . ودجلة والفرات يقبلان من بلاد الروم وينحطان متسامتين حتى يلتقيا قرب البصرة ثم يصبان في البحر وهي صحيحة الهواء جيدة الريح والنماء واسعة الخيرات . بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة ومن أمهات مدنها حران والرها والرقه ورأس عين ونصيدين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميفارتين والموصل وغير ذلك

كتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص إن الله قد فتح على المسلمين الشام والعراق فابعث من عندك جنداً إلى الجزيرة وأمر عليهم أحد الثلاثة خالد بن عرفطة أو هاشم بن عتبة أو عياض بن غنم فلما انتهى إلى سعد كتاب عمر ، قال ما آخر أمير المؤمنين عياض بن غنم آخر القوم إلا أنه له فيه هوى أن أوليه وأنا موليه فبعثه وبعث معه جيشاً وبعث أبا موسى الأشعري وابنه عمر بن سعد وهو غلام حدث السن ليس له من الأمر شيء وعثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي فخرج عياض إلى الجزيرة فنزل بجنده على الرها^(١) فصالحه أهلها وصالحت

(١) الرها بالمد والقصر . مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما

حران حين صالحت الرهاء فصالحه اهلها على الجزية . ثم بعث أبا موسى الأشعري إلى نصيبين ووجه عمر بن سعد إلى رأس العين في خيل ردها للمسلمين وسار بنفسه في بقية الناس إلى دارا (١) فنزل عليها حتى افتتحها فافتتح أبو موسى نصيبين وأجرى المسلمون كل ما أخذوه من الجزيرة عنوة مجرى الذمة فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحاً فكانت تلك السهولة مهجنة عليهم وعلى من أقام فيهم من المسلمين وقال عياض بن غنم :

من مبلغ الأقبام أن جموعنا حوت الجزيرة يوم ذات زحام
جمعوا الجزيرة والغياب فنفسوا عمن بحمص غيابة القدام
إن الاعزة والأكارم معشر فضوا الجزيرة عن فراخ الهام
غلبوا الملوك على الجزيرة فاتهروا عن غزو من يأوى بلاد الشام

فتح ارمينية

ارمينية بكسر أوله ويفتح . اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال والنسبة اليها أرمني . قيل هي أربع أرمينيات الأولى ييلقان وقبلة وشروان وما انضم اليها عد منها . والثانية جُردان وصغدِيل

(١) دارا بلدة في لحف جبل بين نصيبين وما ردين ذات بساتين ومياه جارية ومن أعمالها يجلب المحلب الذي تطيب به الاعراب وعندها كان معسكر دارا بن دارا الملك ابن قباذ الملك لما لقي الاسكندر فقتله الاسكندر وتزوج ابنته وبني هذه المدينة وسماها باسمه

وباب فيروز قباد واللكز والثالثة البُسْفَرَجَان وديبل وسراج طير
وبغروند والنشوى . والرابعة وبها صفوان بن المعطل صاحب
رسول الله وهو قرب حصن زياد

وقد توجه عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة فكان عندها
شيء من قتال أصيب فيه صفوان بن المعطل السلمي شهيداً ثم صالح
أهلها عثمان بن أبي العاص على الجزية على كل أهل بيت دينار

خروج عمر إلى الشام

سنة ١٧ هـ

خرج عمر من المدينة إلى الشام غازياً حتى إذا كان بسرغ^(١)
لقيه أمراء الجند فأخبروه أن الأرض سقيمة فرجع بالناس إلى المدينة
ولقد كان بالشام طاعون فأخبروه به . وعن عبد الله بن عباس خرج
غازياً وخرج معه المهاجرون والأنصار وأوعب الناس معه حتى إذا
نزل بسرغ لقيه أمراء الأجناد ابو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي
سفيان وشرحبيل بن حسنة فأخبروه أن الأرض سقيمة فقال عمر
اجمع إلى المهاجرين الأولين فجمعهم له فاستشارهم فاختلفوا عليه فمنهم
القائل خرجت لوجه تريد فيه الله وما عنده ولا نرى أن يصدقك عنه

(١) سرغ وهو أول الحجاز وآخر الشام . قال مالك بن أنس هي قرية

بوادى تبوك وهي آخر عمل الحجاز الأول

بلاء عرض لك . ومنهم القائل إنه لبلاء وفناء ما نرى أن تقدم عليه فلما اختلفوا عليه قال قوموا عني ثم قال اجمع لي مهاجرة الأنصار فجمعتهم له فاستشارهم فسلكوا طريق المهاجرين فكانما سمعوا ما قالوا فقالوا مثله فلما اختلفوا عليه قال قوموا عني ثم قال اجمع لي مهاجرة الفتح من قريش فجمعتهم له فاستشارهم فلم يختلف عليه منهم اثنان وقالوا ارجع بالناس فانه بلاء وفناء فقال لي عمر يا ابن عباس اصرخ في الناس فقل ان امير المؤمنين يقول لكم اني مصبح على ظهر . فأصبحوا عليه فأصبح عمر على ظهر وأصبح الناس عليه فلما اجتمعوا عليه قال أيها الناس اني راجع فارجعوا فقال له أبو عبيدة « أفراراً من قدر الله ؟ ! » قال « نعم من قدر الله إلى قدر الله . أرايت لو أن رجلاً هبط وادياً له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس يرعى من رعى الجدبة بقدر الله ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله ؟ » ثم قال « لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة ! » ثم خلا به بناحية دون الناس فبينما الناس على ذلك إذا آتى عبدالرحمن بن عوف وكان متخلفاً على الناس لم يشهدهم بالأمس . فقال ما شأن الناس ؟ فأخبر الخبر فقال عندي من هذا علم . فقال عمر فأنت عندنا الأمين المصدق فماذا عندك ؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم بهذا الوباء بيلد فلا تقدموا عليه وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه ولا يخرجنكم إلا ذلك » فقال عمر فله الحمد . إنصرفوا أيها الناس فانصرف بهم . ولما رجع عمر رجع عمال الاجناد إلى أعمالهم

وقع هذا الطاعون بالشام ومصر والعراق واستقر بالشام ومات
فيه خلق كثير في المحرم وصفر ولما خرج عمر كان الطاعون بالشام
بالغاً أشده

موقعة قنسرين

أرسل أبو عبيدة بعد فتح حمص خالد بن الوليد إلى قنسرين^(١)
فلما نزل بالحاضر زحف إليهم الروم وكانوا تحت قيادة ميناس
فالتقوا بالحاضر فقتل ميناس ومن معه فلم يبق منهم واحد . وأما
أهل الحاضر فأرسلوا إلى خالد أنهم عرب وأنهم إنما حشروا ولم
يكن رأيهم حربه فقبل منهم وتركهم . سار خالد حتى نزل قنسرين
فتحصنوا منه فقال : إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو
لأنزلكم الله إلينا ، فتبدروا في أمرهم وذكروا ما لقي أهل حمص
فصالحوه على صلح حمص

فتح انطاكية

سنة ٦٣٦ م

أنطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية هواؤها طيب
وماؤها عذب وفواكهها كثيرة وبينها وبين البحر نحو فرسخين
(١) كانت قنسرين كرسى المملكة المنسوبة اليوم إلى حلب وكانت
حلب من جملة أعمال قنسرين

وسار ابو عبيدة إلى أنطاكية وقد لحق بها خلق من أهل جند قنسرين
فلما صار بمهروبة على فرسخين من أنطاكية لقيه جمع للعدو ففضهم
وألجأهم إلى المدينة فحاصرها ثم صالحه أهلها على الجزية والجللاء
فجلا بعضهم وأقام بعضهم فأمنهم ووضع على كل حالم ديناراً وجريباً
ثم نقضوا العهد وفتحت ثانياً

موقعة مرج الروم

خرج أبو عبيدة بخالد بن الوليد من فحل إلى حمص وانصرف
بمن أضيف إليهم من اليرموك فنزلوا جميعاً على ذى الكلاع وقد
بلغ الخبر هرقل فبعث تيودرا البطريق حتى نزل بمرج دمشق وغربها
فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم وجمعهم هذا وقد هجم الشتاء عليهم
والجروح فيهم فاشية فلما نزل على القوم بمرج الروم نازله شنس
الرومي وكان أبو عبيدة بازائه وخالد بازاء تيودرا البطريق وآى
خالدا الخبر أن تيودرا قد رحل إلى دمشق فأجمع رأيه ورأى أبى
عبيدة ان يتبعه خالد فاتبعه من ليلته فى جريدة وقد بلغ يزيد بن أبى
سفيان الذى فعل فاستقبله فاقتلوا ولحق بهم خالد وهم يقتلون فأخذهم
من خلفهم فقتلوا ولم يفلت منهم إلا الشريد وغنم المسلمون مغانم
كثيرة وقسم ذلك يزيد على اصحابه واصحاب خالد ثم انصرف يزيد
إلى دمشق وخالد إلى أبى عبيدة . وقتل ابو عبيدة شنس وامتلا
المرج من قتلام .

فتح قيسارية^(١)

٥١٧ - ٦٣٨ م

كتب عمر إلى معاوية : « اما بعد فاني قد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم واكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله الله ربا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا . نعم المولى ونعم النصير » فسار معاوية في جنده حتى نزل على اهل قيسارية فحاصروهم وكانوا كلما زاحفوه هزمهم وردهم الى حصونهم واخيرا خرجوا وقاتلوا قتال المستميت فبلغت قتلام ٨٠٠٠٠ في المعركة وطلبها في هزيمتهم ١٠٠٠٠٠ وكتب معاوية الى عمر بالفتح

فتح ييسان ووقعة أجنادين

يسان مدينة بالأردن بالغور الشامي وهي بين حوران وفلسطين وبها عين الفلوس وهي عين فيها ملوحة يسيرة . وهي بلدة وبئة حارة اهلها سمر الالوان جعد الشعور لشدة الحر عندهم واليها ينسب الخمر قالت ليلي الأخيلية في توبة :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه قى من عَقِيلٍ ساد غير مكفِّف
قى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه ولم ينفك جَمَّ التصرف

(١) بلد على ساحل بحر الشام تمد من اعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة ايام وكانت قديما من امهات المدن

ينال عليّات الأمور بهونة اذا هي أعيت كل خرق مشرف
هو الذوب او أرى الضحالى شفته بدرياقة من خمر بيسان قرقف
أما أجنادين فسهل مرمل واقع على جنوبي دمشق بين الرملة
وبيت جبرين من أرض فلسطين .

لما انصرف أبو عبيدة وخالده الى حمص نزل عمرو وشرحيل
على اهل بيسان فافتحها وصالحا اهل الأردن واجتمع عسكر الروم
بغزة واجنادين وبيسان وسار عمرو وشرحيل الى الأرتطون ومن
معه وهو بأجنادين واستخلف على الأردن ابا الأعور فنزل
بالأرتطون ومعه الروم وكان الأرتطون هذا قائداً عظيماً من دهاة
الروم وكان قد وضع بالرملة جيشاً عظيماً ويايلياء كذلك (١) فلما
بلغ عمر بن الخطاب الخبر قال : « رمينا أرتطون الروم بأرتطون
العرب فانظروا عما تنفرج » يريد بأرتطون العرب عمرو بن العاص
وكان معاوية قد شغل اهل قيسارية عن عمرو وكان عمرو قد
جعل علقمة بن حكيم الفراسي ومسروق بن فلان العكي على قتال
اييلياء فشغلوا من به عنه وجعل ايضاً ابا ايوب المالكى على من بالرملة
من الروم فشغلهم عنه وتابعت الأمداد من عند عمر الى عمرو على
اجنادين لا يقدر من الأرتطون (٢) على سقطة ولا تشفيه الرسل
بشيء لاكتشاف امره والوقوف على سره وسر جيشه

(١) اييلياء اسم مدينة بيت المقدس قيل معناه بيتا لله

ARETION (٢)

(حيلة عمرو بن العاص)

لما ضاقت الحيل بعمرو بن العاص « ارطبون العرب » على حد قول الخليفة عمر بن الخطاب توصل الى الدخول الى الارطبون بنفسه كأنه رسول . فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد . فقال ارطبون في نفسه والله ان هذا لعمرو او انه للذي يأخذ عمرو برأيه وما كنت لأصيب القوم بأمر اعظم عليهم من قتله (باعتبار انه جاسوس) ثم دعا احد الحراس وساره بقتله . فقال اخرج فقم مكان كذا وكذا فاذا مر بك فاقتله وفطن لذلك عمرو فقال قد سمعت مني وسمعت منك فأما ماقتله فقد وقع مني موقعا وانا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالى لسكانفه ويشهدنا اموره فأرجع فأتيك بهم الآن فان رأوا في الذي عرضت مثل الذي ارى فقد رآه اهل العسكر والامير وإن لم يروه رددتهم وكنت على رأس امرك فقال نعم ودعا رجلا فساره وقال اذهب إلى فلان فردده الى . فرجع اليه الرجل . وقال لعمرو انطلق فجيء باصحابك . فخرج عمرو ونجا من الموت بفضل فطنته وحيلته ورأى أن لا يعود لمثلها وعلم ارطبون بانه قد خدعه . فقال خدعني الرجل هذا أدهى الخلق فبلغت هذه القصة الخليفة فقال : « غلبه عمرو . لله عمروه وناهضه عمرو وقد عرف مأخذه وعاقبته والتقوا ولم يجد من ذلك بدأ فالتقوا بأجنادين فاقتلوا قتالا شديدا كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم وانهمزم ارطبون إلى إيليا ونزل

عمرو أجنادين وأفرج المسلمون الذين يحصرون بيت المقدس
لأرطبون فدخل إيلياء وأزاح عنه إلى عمرو . وفي هذه الواقعة يقول
زياد بن حنظلة :

ونحن تركنا أرطبون مطردا	إلى المسجد الأقصى وفيه حصور
عشية أجنادين لما تابعوا	وقامت عليهم بالعرء نسور
عطفنا له تحت العجاج بطعنة	لها نشج نأى الشبيق غزير
فطمنا به الروم العريضة بعده	عن الشام أدنى ما هناك شطير
تولت جموع الروم تتبع أثره	تكاد من الذعر الشديد تطير
وغورد صرعى في المكر كثيرة	وعاد إليه الفل وهو حسير

خروج عمر بن الخطاب إلى الشام

كتب عمرو بن العاص إلى عمر يستمده ويقول إنى أمالج حربا
كثووداً صدوما وبلاداً ادخرت لك فرأيك فلما وصله الكتاب عرف
أن عمراً لم يقل إلا بعلم فنادى فى الناس ثم خرج فيهم حتى نزل
بالجاية وجميع ما خرج عمر إلى الشام أربع مرات فأما الأولى فعلى
فرس وأما الثانية فعلى بعير وأما الثالثة فقصر عنها لان الطاعون
مستمر وأما الرابعة فدخلها على حمار فاستخلف عليها وخرج وقد
كتب مخرجه أول مرة إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجاية ليوم
سماء لهم وان يستخلفوا على أعمالهم فلقوه حيث رفعت لهم الجاية
فكان أول من لقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم

الديباج والحرير فنزل وأخذ الحجارة فرماهم بها وقال (سرع ما لقم^ه
عن رأيكم إياي تستقبلون في هذا الزى وإنما شبعتم منذ سنتين سرع
ماندت بكم البطنة وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت
بكم غيركم) فقالوا يا أمير المؤمنين إنها يلامقة وان علينا السلاح . قال
فنعم إذا وركب حتى دخل الجاية وعمرو وشرحيل بأجنادين لم
يتحركا من مكانهما

فتح بيت المقدس

وهو إيليا .

آخر سنة ١٥ هـ — آخر سنة ٦٣٧ م

سير أبو عبيدة إلى بيت المقدس سبعة جيوش وعلى كل جيش
قائد ضم إليه ٥٠٠٠ فارس . وعقد لكل قائد راية . فكان جملة من
سيره ٣٥٠٠٠ فارس وهذه أسماء القواد :

(١) خالد بن الوليد (٢) يزيد بن أبي سفيان

(٣) شرحبيل بن حسنة (٤) المرقال بن هاشم بن عتبة بن

أبي وقاص (٥) المسيب بن نجبة الفزاري (٦) قيس بن

هيرة المرادي (٧) عروة بن مهلهل بن زيد الخيل

وكانت فرسان شرحبيل من أهل اليمن وأمر أبو عبيدة المرقال

أن ينزل الحصن وهو منعزل عن أصحابه

سار الأمراء السبعة في سبعة أيام في كل يوم أمير وذلك كله

م — ٢٥ الفاروق

ليرهب به العدو فبقي كل يوم ينزل عليهم أمير بجيشه . فكان أول من
طلع عليهم بالراية خالد بن الوليد فلما أشرف عليهم بر وكبر أصحابه
فلما سمع أهل بيت المقدس ضجيج أصواتهم انزعجوا وتزعزعت
قلوبهم وصعدوا أسوار بلدهم . فلما نظروا إلى قلة المسلمين استحقروهم
وظنوا أن ذلك جميع المسلمين فنزل خالد ومن معه مما يلي «باب اريحا»
وأقبل في اليوم الثاني يزيد بن أبي سفيان وفي اليوم الثالث شرحبيل
ابن حسنة وأقبل في اليوم الرابع المرقال وأقبل في اليوم الخامس
المسيب بن نجية وأقبل في اليوم السادس قيس بن هيرة وأقبل في
اليوم السابع مهلهل بن زيد فنزل مما يلي طريق الرملة

وأقام العسكر على بيت المقدس ثلاثة أيام لا يبارزهم احد ولا
ينظرون رسولا يأتي اليهم ولا يكلمهم احد من اهلها إلا انهم قد
حصنوا أسوارهم بالمنجنيق والطوارق والسيوف والدرق والجواشن
والزرد الفاخر . قال المسيب بن نجية ما نزلنا بلد من بلاد الشام
ف رأينا أكثر زينة ولا أحسن عدة من بيت المقدس . وما نزلنا بقوم
إلا وتضعضوا لنا وداخلهم الهلع واخذتهم الهية الا أهل بيت
المقدس . نزلنا بازائهم ثلاثة أيام فلم يكلمنا احد ولا ينطقون غير
ان حارسهم شديد وعدتهم كاملة . فلما كان اليوم الرابع قال رجل
من البادية لشرحبيل بن حسنة أيها الأمير كأن هؤلاء القوم صم فلا
يسمعون او بكم فلا ينطقون او عمى فلا يبصرون ازحفوا بنا
اليهم . فلما كان اليوم الخامس وقد صلى المسلمون صلاة الفجر كان

أول من ركب من المسلمين من الأمراء لسؤال أهل بيت المقدس
يزيد بن أبي سفيان فشر سلاحه وجعل يدنو من سورهم وقد
أخذ معه ترجمانا يبلغه عنهم ما يقولون ووقف بازاء سورهم بحيث
يسمعون خطابه وهم صامتون . فقال لترجمانه : قل لهم امير العرب
يقول لكم ماذا تقولون في إجابة الدعوة الى الاسلام والحق وكلمة
الاخلاص وهي كلمة لا إله الا الله محمد رسول الله حتى يغفر لكم
ربنا ما سلف من ذنوبكم وتحققون بها دماءكم وان أبيتم ولم
تجيئونا فصالحوا عن بلدكم كما صالح غيركم ممن هو أعظم منكم عدة
وأشد منكم . وإن أبيتم هاتين الحالتين حل بكم البوار وكان
مصيركم الى النار . فتقدم الترجمان اليهم وقال لهم من المخاطب عنكم ؟
فكلمه قس من القساوسة عليه مدارع الشعر وقال أنا المخاطب عنهم
ماذا تريد ؟ فقال الترجمان : إن هذا الأمير يقول كذا وكذا ويدعوكم
إلى إحدى هذه الخصال الثلاث . إما الدخول في الاسلام أو أداء
الجزية وإما السيف . فبلغ القس من وراء ما قال الترجمان فقالوا لا
نرجع عن دين العز والقبول . وإن قتلنا أهون علينا من ذلك . فبلغ
الترجمان ذلك لزيد . فمشى إلى الأمراء وأخبرهم بجواب القوم . قال
لهم ما انتظاركم بهم ؟ فقالوا إن الأمير أبا عبيدة ما أمرنا بالقتال ولا
بحرب القوم بل بالنزول عليهم ولكن نكتب إلى أمين الأمة فان
أمرنا بالزحف زحفنا . فكتب يزيد بن أبي سفيان إلى أبي عبيدة
يعلمه بما كان من جواب القوم فما الذي تأمر به فكتب اليهم أبو

عبادة يأمر بالزحف وأنه واصل في أثر الكتاب . فلما وقف المسلمون على كتاب أبي عبيدة فرحوا واستبشروا وباتوا ينتظرون الصباح وكل أمير يريد أن يفتح على يديه فيتمتع بالصلاة فيه والنظر إلى آثار الأنبياء . فلما أضاء الفجر أذن وصلت الناس صلاة الفجر فقرأ يزيد (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تردتوا^(١) الآية) فيقال إن الأمراء أجرى الله على ألسنتهم في تلك الصلاة أن قرأوا هذه الآية كأنهم على ميعاد واحد فلما فرغوا من الصلاة نادوا النفير النفير . يا خيل الله اركبي . فأول من برز للقتال حمير ورجال اليمن . وبرز المسلمون للحرب كأنهم أسود ضارية ونظر اليهم أهل بيت المقدس وقد انشروا لقناهم فنشطهم ورشقوا المسلمين بالنشاب فكانت كالجراد فجعل المسلمون يتلقونها بدرقهم فلم تزل الحرب بينهم من الغد إلى الغروب يقاتلون قتالا شديداً ولم يظهروا فرعاً ولا رعباً ولم يطمعوهم في بلدهم . فلما غربت الشمس رجع الناس وصلى المسلمون ما فرض الله عليهم وأخذوا في إصلاح شأنهم وعشائهم فلما فرغوا من ذلك أوقدوا النيران واستكثروا منها لأن الحطب عندهم كثير . فبقي قوم يصلون وقوم يقرأون وقوم يتضرعون وقوم نائمون مما لحقهم من التعب والقتل فلما كان الغد بادر المسلمون اليهم وذكروا الله كثيراً وأثنوا عليه وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدمت رماة النبل واقبلوا

يرمون ويذكرون الله وهم يرضجون إلى الله بالدعاء. ولم يزل المسلمون على قتال عدة أيام فلما كان اليوم الحادى عشر أشرفت عليهم راية أبى عبيدة يحملها غلامه سالم ومر ورائها فرسان المسلمين وقد أحرقوا بأبى عبيدة وجاءت النسوان والأموال وضج الناس ضجة واحدة بالتهليل والتكبير فأجابتهم القبائل ووقع الرعب فى قلوب أهل بيت المقدس ثم جاء البطرق (١) ليرى الأمير القادم وصعد على السور من الجهة التى فيها أبو عبيدة فناداهم رجل ممن كان يمشى بين يدى البطرق فقال: يا معشر المسلمون كفوا عن القتال نستخبركم ونسألکم فامسك الناس عن القتال فناداهم رجل من الروم بلسان عربى فصيح: اعدوا أن صفة الرجل الذى يفتح بلدنا هذا وجميع الأرض عندنا فان كان هو أميركم فلا نقاتلكم بل نسلم اليكم وإن لم يكن إياه فلا نسلم اليكم أبداً

فلما سمع المسلمون ذلك أقبل نفر منهم إلى أبى عبيدة وحدثه بما سمعوه . فخرج أبو عبيدة اليهم إلى أن حازاهم فنظر البطرق اليه وقال ليس هو هذا الرجل فابشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم وحرىمكم. فاقبلوا يقاتلون كما كانوا وعلى البطرق من غير أن يخاطب

(١) اسم هذا البطرق صفرونيوس ولد بدمشق وبقي راهباً مدة طويلة بيت المقدس ثم رحل إلى الاسكندرية ثم طرده منها الفرس واستقر أخيراً بفلسطين وفى سنة ٦٣٤م تدين بطريقاً لبيت المقدس سنة ٦٣٧م صالح المسلمين ولم تطل حياته بعد ذلك وقد كان كاتباً وشاعراً وأواه عدة مؤلفات على القديسين والشهداء وخطط مصر

أبا عبيدة بكلمة واحدة وشدّ المسلمون عليهم الحرب وكان نزول المسلمين على بيت المقدس في الشتاء فظن الروم أن المسلمين لا يقدرّون عليهم في ذلك الوقت ونشط عرب اليمن يرمون الروم بالنبل ويصيّبونهم فيتهاقون من سورههم كالغنم. فلما رأوا ما صنع بهم النبل احترزوا منه وسترّوا السور بالحجف والجلود

ولم يزل أبو عبيدة ينازل بيت المقدس أربعة أشهر كاملة وما من يوم إلا ويقاتلهم قتالا شديداً والمسلمون صابرون على البرد والثلج والمطر. فلما نظر أهل بيت المقدس إلى شدة الحصار قصدوا البطرق وشرحواله حالهم وإن ملكهم شغل عنهم بنفسه ولم يرسل اليهم المدد وطلبوا إليه أن يخاطب العرب وينظر ما يريدون فصعد معهم على السور وأشرف على المكان الذي فيه أبو عبيدة فنأدى منهم رجل بلسان فصيح: يا معشر العرب إن عمدة دين النصرانية وصاحب شريعته قد أقبل يخاطبكم فليدن منا أميركم فاخبروا أبا عبيدة بمقالهم فقال والله إنى لأجيبه حيث دعاني ثم قام أبو عبيدة وجماعة من الأمراء والصحابة ومعه ترجمان. فلما وقف بأزائه، قال لهم الترجمان ما الذي تريدون منا في هذه البلدة المقدسة ومن قصدتها يوشك أن يغضب الله عليه ويهلكه. فاخبره الترجمان بذلك فقال قل لهم نعم إنها بلدة شريفة ومنها أسرى بنينا إلى السماء ودنا من ربه كقبا قوسين أو أدنى وإنها معدن الأنبياء وقبورهم فيها ونحن أحق منكم بها ولا نزال عليها أو يملكنا الله إياها كما ملكنا غيرها. قال البطرق

فما الذى تريدون منا؟ قال ابو عبيدة: خصلت من ثلاث أولها ان تقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله فان اجبتم الى هذه الكلمة كان لكم مالنا وعليكم ما علينا. قال البطرق انها كلمة عظيمة ونحن قائلوها إلا ان نبيكم محمداً ما نقول انه رسول الخ ثم قال هذه خصلة لانجيبيكم اليها فما الخصلة الثانية؟ فقال ابو عبيدة تصالحونا عن بلدكم او تؤدون الجزية الينا عن يد واتم صاغرون كما اذاها غيركم من أهل الشام. قال البطرق هذه الخصلة اعظم علينا من الأولى وما كنا بالذى يدخل الذل والصغار ابداً فقال ابو عبيدة ما نزال نقاتلكم حتى يظفرنا الله بكم. وحدثت محاورة بين الرجلين ثم قال البطرق إننا نجد فى كتبنا وما قرأناه من علمنا أنه يفتح هذه البلدة صاحب محمد اسمه عمر يعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم. فلما سمع أبو عبيدة ذلك تبسم ضاحكا وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم أقبل عليه وقال له إذا رأيت الرجل تعرفه؟ قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندي وعدد سنينه وأيامه! قال أبو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نينا. فقال البطرق إن كان الأمر كما ذكرت فقد علمت صدق قولنا فاحقن الدماء وابعث إلى صاحبك يأت فاذا رأيناه وتبيناه وعرفنا صفته ونعته فتحنا له البلد من غيرهم ولا نكد وأعطينا الجزية. فقال أبو عبيدة فاني أبعث إليه بأن يقدم علينا. أفتحبون القتال أم نكف عنكم؟ فقال البطرق: معاشر العرب ألا تدعون بغيركم. أنخبركم بأننا قد صدقناكم

في الكلام طلبا لحقن الدماء وأتم تأبون إلا القتال قال أبو عبيدة :
نعم لأن ذلك أشهى إلينا من الحياة نرجو به العفو والغفران
من ربنا . فأمر أبو عبيدة بالكف عنهم وانصرف بالطرق وكتب
أبو عبيدة إلى عمر كتابا قال له فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب ، من عامله أبي عبيدة عامر بن الجراح . أما بعد : السلام
عليك فاني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلى على نبيه محمد صلى
الله عليه وسلم . واعلم يا أمير المؤمنين إنا منازلون لأهل مدينة إيلياء
نقاتلهم أربعة اشهر كل يوم نقاتلهم ويقاثلوننا ولقد لقي المسلمون
مشقة عظيمة من الثلج والبرد والأمطار إلا أنهم صابرون على ذلك
ويرحون الله ربهم . فلما كان اليوم الذي كتبت إليك الكتاب فيه
أشرف علينا بطركهم الذي يعظمونه وقال إنهم يجدون في كتبهم
أنه لا يفتح بلدهم إلا صاحب نينا واسمه عمر وأنه يعرف صفته
ونعته وهو عندهم في كتبهم وقد سألنا حقن الدماء . فسر إلينا
بنفسك وانجدنا لعل الله أن يفتح هذه البلدة علينا على يدك » ثم
انه طوى الكتاب وختمه واعطاه لميسرة بن مسروق العبسي ليوصله
إلى عمر فلما تسلم الكتاب عمر استشار اصحابه فكان رأى عثمان
ابن عفان استمرار القتال وعدم ذهاب عمر

وأشار عليه على بن ابي طالب بالذهاب فأخذ بمشورة على وأمر
الناس بأخذ الأهبة للمسير معه والاستعداد وآتي عمر المسجد فصلى فيه

اربع ركعات ثم قام إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه وعلى
ابى بكر رضى الله عنه واستخلف على المدينة على بن ابى طالب وخرج
من المدينة واهلها يشيعونه ويودعونه وخرج على بعير له احمر وعليه
غاراتان فى إحداهما سويق وفى الأخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة
ماء وخلفه جفنة للزاد وخرج معه جماعة من الصحابة وسار نحو
بيت المقدس فكان إذا نزل منزلاً لا يبرح منه حتى يصلى الصبح
فاذا انفتل من الصلاة أقبل على المسلمين وقال : « الحمد لله الذى اعزنا
بالاسلام واكرمنا بالايان وخصنا بنيه عليه الصلاة والسلام
وهدانا من الضلالة وجمعنا بعد الشتات على كلمة التقوى والف بين
قلوبنا ونصرنا على عدونا ومكن لنا فى بلاده وجعلنا اخواناً متحابين
فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة السابغة والمنن الظاهرة فان الله
يزيد المستزيدين الراغبين فيما لديه ويتم نعمته على الشاكرين »

قدوم عمر إلى الشام

ولما علم ابو عبيدة بمجيى عمر سار فى أناس من المهاجرين
والأنصار حتى اشرف بمن معه على عمر فنظر عمر إلى ابى عبيدة وهو
لابس سلاحه فتكب قوسه وهو راكب على قلوصله مغطى بعباءة
قطوانية وخطام قلوصله من شعر . فلما نظر ابو عبيدة إلى عمر رضى
الله عنه اتاخ قلوصله واتاخ عمر بعيره وترجل كلاهما ومد ابو عبيدة

يده فصافح عمر وتعانقا جميعا وسلم بعضهما على بعض واقبل المسلمون
يسلمون على عمر ثم ركبا جميعا وجعلا يسيران امام الناس وهما
يتحادثان ولم يزالا كذلك حتى نزلا بيت المقدس . فلما نزلا صلى
عمر بالمسلمين صلاة الفجر

خطبة عمر في الجيش

ثم خطب عمر فقال :

« الحمد لله الحميد المجيد القوي الشديد الفعال لما يريد . إن الله
تعالى قد اكرمنا بالاسلام وهدانا بمحمد عليه افضل الصلاة والسلام
وازاح عنا الضلالة وجمعنا بعد الفرقة والف بين قلوبنا من بعد البغضاء
فاحمدوه على هذه النعمة تستوجبوا منه المزيد . فقد قال الله تعالى :
(لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) ثم قرأ (ومن
يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً) اما بعد : فاني
اوصيكم بتقوى الله عز وجل الذي يبقى ويفنى كل شيء سواه . الذي
بطاعته ينفع اوليائه وبمعصيته يفنى اعدائه . ايها الناس ادوا زكاة
اموالكم طيبة بها قلوبكم وانفسكم لا تريدون بها جزاء من مخلوق
ولا شكوراً . افهموا ما توعظون به فان الكيس من احرز دينه
وإن السعيد من اتعظ بغيره . الا ان شر الامور مبتدعاتها وعليكم
بالسنة . سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فالزموها فان الاقتصاد في السنة
خير من الاجتهاد في البدعة . والزموا القرآن فان فيه الشفاء والثواب

أيها الناس إنه قد قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامي فيكم
وقال الزموا أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب
حتى يشهد من لم يستشهد ويحلف من لم يحلف . فمن اراد بحبوحه
الجنة فليزم الجماعة . وتعوذوا من الشيطان ولا يخلون احد منكم بامرأة
فانهن حائل الشيطان . ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن
والصلاة الصلاة »

تواضع عمر وتقشفه

ولما هم عمر بالركوب على بعيره وعليه مرقعة من صوف وفيها
اربع عشرة رقعة بعضها من آدم (جلد) قال له المسلمون لو ركبت
بدل بعيرك جواداً ولبست ثياباً بيضاً . ففعل . قال الزبير احسب انها
كانت من ثياب مصر تساوي خمسة عشر درهما وطرح على عاتقه
منديلا من كتان ليس جديداً ولا بالخلق دفعه إليه ابو عبيدة وقدم
إليه بردون اشهب من براذين الروم . فلما صار عمر على ظهره جعل
البردون يهملج به فلما نظر عمر إلى البردون وفعاله نزل عنه مسرعاً
وقال أقبوا عثرتي أقال الله عثرتكم يوم القيامة فقد كاد أميركم
أن يهلك بما دخل قلبي من العجب والكبر وإني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة
من الكبر » ولقد كاد أن يهلكني ثوبكم الأبيض وبردونكم المهملج
ثم أنه نزع ما كان عليه وعاد إلى لبس مرقعته ثم سار عمر يريد

العقبة ليصعد منها إلى بيت المقدس فلقية قوم من المسلمين وعليهم
الديباج مما أخذوه من اليرموك فأمر عمر أن يحثوا التراب في
وجوههم وأن تمزق عليهم ولم يزل على ذلك حتى أشرف على بيت
المقدس . فلما نظر إليها قال « الله أكبر . اللهم افتح لنا فتحاً يسيراً
واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً » . ثم سار واستقبلته العشائر
والقبائل وأصحاب العقود حتى نزل بالموضع الذي كان فيه أبو عبيدة
وضربت له خيمة من الشعر وجلس فيها هناك على التراب ثم قام
يصلى أربع ركعات

خروج عمر إلى البطرق

علت للمسلمين ضجة عظيمة سمعها أهل بيت المقدس فسألهم
البطرق أن ينظروا ماشأهم فقبل لهم إن أمير المؤمنين قد قدم فلما
كان الغد وصلى عمر بالناس صلاة الفجر ، قال لأبي عبيدة يا عامر
تقدم إلى القوم واعلمهم أني قد أتيت فخرج أبو عبيدة وصاح بهم
وقال يا أهل هذه البلدة إن صاحبنا أمير المؤمنين قد ورد فماتصنعون
فيما قلتم ؟ فخرج البطرق من كنيسته في محفل رهيب وصعد على
السور وأشرف على أبي عبيدة فقال له أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين
عمر وليس عليه أمير قد أتى فطلب إليه أن يراه فهم عمر بالقيام فقال
له أصحابه يا أمير المؤمنين أخرج إليه منفرداً وليس عليك آلة حرب
غير هذه المرقعة وإنا نخشى عليك منهم غدرًا أو مكرًا فينالون منك

فقال عمر : (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله
فليتوكل المؤمنون)

ثم أمر ببعيره فقدم إليه فاستوى في ركوبه عليه وعليه مرقعة
ليس عليه غيرها وعلى رأسه قطعة عباءة قطوانية وقد عصب بهارأسه
وليس معه غير أبي عبيدة وهو سائر بين يديه حتى قرب من السور
ووقف بازائه فلما نظر إليه البطرقي عرفه وقال لأهل بيت المقدس
اعقدوا معه الأمان والذمة هذا والله صاحب محمد بن عبد الله ففتحو
الباب وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد والميثاق والذمة . فلما نظر
إليهم عمر تلك الحالة تواضع لله وخر ساجداً على قتب ببعيره ثم
نزل إليهم وقال إرجعوا إلى بلادكم ولكم الذمة والعهد إذا سألتمونا
وأقررتم بالجزية . فرجع القوم إلى بلدكم ولم يغلقوا الأبواب ورجع
عمر إلى عسكره فبات ليلة

دخول عمر بيت المقدس

فلما كان الغد قام عمر فدخل بيت المقدس بلا خوف ولا حذر
وكان دخوله يوم الاثنين وأقام بها إلى يوم الجمعة وخطبها محراباً من
جهة الشرق وهو موضع مسجده فتقدم وصلى هو وأصحابه صلاة
الجمعة ولم يلبس المسلمون شيئاً من متاعهم وأموالهم وأقام عمر ببيت
المقدس عشرة أيام وارتحل بعد أن كتب لأهله عهداً وأقرهم في
بلدكم على الجزية وسار بمن معه في العساكر إلى الجابية فأقام بها

ودون الدواوين وأخذ الخمس الذي لله مما أفاء الله على المسلمين ثم
قسم الشام قسمين فأعطى أبا عبيدة من حوران إلى حلب ويليها
وأمره بالمسير إلى حلب وأن يقاتل أهلها إلى أن يفتحها الله على يديه
وأعطى أرض فلسطين وأرض القدس والساحل ليزيد بن أبي سفيان
وجعل أبا عبيدة واليا عليه (١)

عهد أهل بيت المقدس

هذا نص عهد أهل بيت المقدس الذي أعطاه لهم عمر بن
الخطاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين
أهل إيلياء من الأمان . اعطاهم اماناً لا أنفسهم واما لهم وكنائسهم
وصلبابهم وسقيمها وبريئتها وسائر ملتها . إنه لا تسكن كنائسهم
ولا تهدم ولا ينتقض منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من
شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا
يسكن بايلياء معهم احد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية
كما يعطى أهل المدائن وعليهم ان يخرجوا منها الروم (٢) واللصوت (٣)
فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن

(١) فتوح الشام للوائدي (٢) كان عدد من بيت المقدس من

الروم عند فتحها ١٢٠٠٠ وعدد السكان الأصليين ٥٠٠٠٠

(٣) اللصوص

أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بييعهم^(١) وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فلا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمسة عشر «

وأما سائر كتبهم فعلى كتاب لدا^(٢) وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لدا ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمتهم وبريتهم وسائر ملتهم . أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقض منها ولا من حيزها

(١) كنائسهم

(٢) لدا الضم والتشديد قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين

قال المعلى بن طريف مولى المهدي :

يا صاح إني قد حججت وزرت بيت المقدس
وأيتت لداً عاماً في عيد مارى سرجس
فأريت فيه نسوة مثل الظباء الكنس

ولا مللها ولا من صلبهم ولا من أموالهم ولا يكرهون على دينهم
ولا يضار أحد منهم وعلى أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين
أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل مدائن الشام وعليهم إن خرجوا مثل
ذلك الشرط إلى آخره »

جاء في المقرئى أن عمر بن الخطاب لما فتح مدينة القدس
كتب للنصارى أمانا على أنفسهم وأولادهم ونساءهم وأموالهم وجميع
كنائسهم لا تهدم ولا تسكن وإنه جلس فى وسط صحن كنيسة القيامة
فلما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التى
على بابها بمفرده ثم جلس وقال للبطرك لو صليت داخل الكنيسة
لأخذها المسلمون من بعدى وقالوا هنا صلى عمر وكتب كتاباً يتضمن
أنه لا يصلى أحد من المسلمين على الدرجة الا واحد واحد ولا
يجتمع المسلمون بها للصلاة. ولا يؤذنون عليها وانه أشار عليه البطرك
باتخاذ موضع الصخرة مسجداً وكان فوقها تراب كثير فتناول عمر
رضى الله عنه من التراب فى ثوبه فبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق
شئ وعمر المسجد الأقصى امام الصخرة

ثم أن عمر رضى الله عنه أتى بيت لحم وصلى فى كنيسة عند
الخشبى التى ولد فيها المسيح وكتب سجلاً بأيدى النصارى ان لا يصلى
فى هذا الموضع احد من المسلمين إلا رجل بعد رجل ولا يجتمعوا
فيه للصلاة ولا يؤذنون عليه

إن العهد الذى أخذه عمر على أهل الشام كان فى غاية الاعتدال

فلا قسوة ولا ظلم ولا اضطهاد ولا تعصب للدين فقد أعطاهم أماناً
لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم ومنع هدم الكنائس واتخاذها سكناً
ومنحهم حرية الإقامة والهجرة وكان بيت المقدس محترماً في
نظر المسلمين لا لأنه مهد اليهودية والنصرانية بل لأنه كان قبلة
الإسلام الأولى ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسرى به إلى
المسجد الأقصى ومنه عرج إلى السموات. ولم تطل إقامه عمر بالقدس
بل عاد إلى المدينة بعد فراغه من الصلح وفر أرطبون قائد الجيوش
الرومانية إلى الاسكدرية

ويلاحظ القارىء أن مقاومة الروم للعرب كانت ضعيفة فقد
كان عرب الشام يميلون إلى الفاتحين لما بينهما من تجانس ولما لاقوه
من اضطهاد الروم ولما شاهدوا من عدل المسلمين ولذلك لم يقاوموا
فتح العرب بل قابلوه بفتور وكانوا على الحياد تقريباً ثم إن السكان
أنفسهم دب فيهم الضعف بسبب انغماسهم في اللذات وسلوكهم
سبيل الترف والتنعيم وبالطبع من كان هذا شأنه لا يقاتل بحماسة
الجيوش الإسلامية الذين لا يرهبون المنية بل يلاقونها بصدور رحبة
وهناك سبب غير هذا كله وهو عجز الإمبراطورية الرومانية وضعفها
فإنها كانت قد فقدت القوة اللازمة لدفع غزو العرب. أما هرقل
فانه فر إلى القسطنطينية

فتح مدينة حلب

سنة ٥١٦ - ٦٣٨ م

حلب واسمها القديم خاليون ثم ييريا. هي مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء وهي قسبة جند قنسرين .

لما فرغ أبو عبيدة من قنسرين سار إلى حلب فبلغه أن أهل قنسرين نقضوا وغدروا فأرسل إليها جماعة وسار حتى وصل إلى ظاهر حلب وهو قريب منها فجمع أصنافا من العرب وصالحهم على الجزية ثم أسلموا بعد ذلك وآتى حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهري وتحصن أهلها وحصرهم المسلمون فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم . وقيل ان ابا عبيدة لم يصادف بحلب احداً لأن أهلها انتقلوا إلى انطاكية وارسلوا في الصلح ولما تم رجعوا إليها وفي فنوح الشام للواقدي ان أهل حلب قالوا لأبي عبيدة نعطي نصف ما اعطى أهل قنسرين فقال أبو عبيدة قد قبلت منكم ذلك النخ

اما قلعتها فقد حاصرها المسلمون اربعة اشهر وقيل خمسة وقتل بطريقها جماعة من المسلمين وكتب عمر إلى أبي عبيدة يسأله عن سبب ابطاء الخبر عليه فكتب أبو عبيدة جواب الكتاب فقال :

« بسم الله الرحمن الرحيم . إلى أبي عبدالله أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب من عامله بالشام أبي عبيدة. سلام عليك وإني أحمد الله تعالى
وأصلي على نبيه . وبعد يا امير المؤمنين فان الله تعالى له الحمد قد فتح
على ايدنيا قنسرين وشننا الغارة على العواصم وقد فتح الله علينا حلب
صلحا وقد عصت علينا قلعته وبها خلق كثير مع بطريقها وقد كادنا
مراراً وانه قتل منا رجالا ورزقهم الله الشهادة على يديه والله تعالى
من ورائه بالمرصاد وقد اردنا الحيلة عليه فلم نقدر وارادت الرحيل
عنه وعن محاصرته إلى البلاد التي بين حلب وانطاكية وانا منتظر جوابك
والسلام عليك وعلى جميع المسلمين » وبعث الكتاب مع عبد الله بن
قرط وجعدة بن جبير فوصلوا المدينة ودخلا المسجد على عمر ودفعا
له الكتاب فلما قرأه استبشر وقرأه على المسلمين وكتب إلى ابي عبيدة
كتابا هذا نصه :

« اما بعد فقد ورد على كتابك مع رسلك فسرني ما سمعت من
الفتح والنصر على اعدائكم ومن قتل من الشهداء . واما ما ذكرته
من انصرافك إلى البلاد التي بين حلب وانطاكية وترك القلعة ومن
فيها ، فهذا رأي غير صواب . تترك رجلا قد دنوت من دياره وملكت
مدينته ثم ترحل فيبلغ ذلك إلى جميع النواحي أنك لم تقدر عليه ولم
تصل اليه فيضعف ذكرك ويعلو ذكره ويطمع من يطمع ويحتريء
عليك أجناد الروم خاصتهم وعامتهم وترجع اليه الجواسيس وتكتب
ملوكها في أمرك . فاياك أن تبرح عن مجاهدته حتى يقتله الله أو يسلم
اليك إن شاء الله تعالى أو يحكم الله وهو خير الحاكمين . وبث

الخيـل في السهل والوعر والضيق والسعة وأكناف الجبال والأودية
وشن الغارات في حدود الغارات ومن صالحكم منهم فاقبل صلحه
ومن سالمك فسالمه . والله خليفتي عليك وعلى المسلمين وقد أنفذ كتابي
هذا مع عصبة من حضرموت وغيرهم وأهل مشايخ اليمن بمن وهب
نفسه لله تعالى ورغب في الجهاد في سبيل الله وهم عرب وموال
فرسان ورجال . والمدد يأتيك متواتراً إن شاء الله تعالى والسلام»
وختم الكتاب وسلمه لعبد الله بن قرط وجمعة . ثم وصل المدد إلى
أبي عبيدة وكان معهم مولى من موالى نبي طريف من ملوك كندة
يقال له رامس ويسكنى بأبي الأهرال ، مشهور باسمه وكنيته وكان
أسود كثير السواد مفرطاً في الطول فارساً شجاعاً شاع ذكره في بلاد
كندة . فلما رأى الحصن ومناعته فكر طويلاً واحتال فنوصل أخيراً
إلى تسلقه مع رجال من المسلمين ثم فتح بابين من أبواب الحصن
بعد أن قل حراسهما وكانوا نائمين وعند ذلك دخل المسلمون وقاتلوا
الروم قتالاً شديداً ودخل خالد بن الوليد ومعه جيش الزحف ودخل
ضرار وأمثاله . فلما رأى الروم ذلك وعلموا أنهم لا طاقة لهم بما وقع
بهم ، ألقوا السلاح ونادوا الغوث ! الغوث ! وكفوا أنفسهم عن
القتال . فكفت المسلمون أيديهم عنهم . فبينما هم كذلك إذ أقبل
أبو عبيدة ومعه عساكر الاسلام فأخبروه أن الروم يطلبون الأمان
وأن المسلمون قد رفعوا عنهم القتل إلى أن تأتي وترى فيهم رأيك
فعرض عليهم الاسلام فأسلم جماعة من ساداتهم فرد عليهم أموالهم

وأهاليهم واستبقى منهم الفلاحين وعفا عنهم من القتل والأسر
وأخذ عليهم العمود ألا يكفونوا إلا مثل أهل الصالح . الجزية
وأخرجهم من العلقه

ثم أخرج المسلمون من الذهب والأواني ما لا يقع عليه عدد
فاخرج منه الخمس وقسم الباقي على المسلمين وأخذ الناس في حديث
دامس وحيله وعالجوا جراحه حتى برأ وأعطاه أبو عبيدة سهمين
وقيل ان فتح حلب كان قبل فتح انطاكية

فتح عزاز

عزاز بليدة فيها قلعة وهي شمال حلب بينهما يوم . طية الهواه
قيل ليس بها عقرب ولا شيء . من الهوام
بعد ان فرغ أبو عبيدة من فتح حصن حلب بعث جيشاً إلى عزاز
وامر عليها مالكا الأشر النخعي ففتح المسلمون حصنها بلا عناء
كبير بواسطة بطريق حلب الذي اسلم وحسن إسلامه . قال الواقدي
في فتوح الشام ان اسمه يوقنا وكتب أبو عبيدة إلى عمر بفتح
قلعة حلب وحصن عزاز وجاء في فتوح الشام ان أهل عزاز أسلموا
باسلام قسمهم

فتح المعرة وغيرها

مر أبو عبيدة بمعرة النعمان ^(١) فخرج أهلها يلعبون بين يديه ثم أتى فامية ^(٢) قلعة المضيق ففعل أهلها مثل ذلك . قال البلاذري سار أبو عبيدة في سنة ١٧ بعد افتتاح شيزر ^(٣) إلى فامية فتلقاه أهلها بالصلح فصالحهم على الجزية والخراج . أما أهل حماة وشيزر فقد أذعنوا وسار يزيد إلى صيدا ^(٤) وبيروت وجبيل ^(٥) وعرة ^(٦) ففتحها فتحاً يسيراً وبعث يزيد دحية بن خليفة إلى تدمر ^(٧) في سرية ليمهدوا

(١) هي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة ماؤها من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والنين ومنها كان أبو العلاء بن عبد الله بن سليمان المعري القائل

قبارق ليس الكرخ دارى وإنما رمانى إليها الدهر منذ ليال
فهل فبك من ماء المعرة قطرة تعيث بها ظمآن ليس بسالى

(٢) فامية مدينة من سواحل حمص

(٣) شيزر . قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم في وسطها نهر الأردن وهي قديمة ذكرها امرؤ القيس في قوله
تقطع اسباب اللبانة والهوى عشية رحنا من حماة وشيزرا

(٤) مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق

(٥) باد في شرقي بيروت

(٦) بلدة في شرقي طرابلس بينها وبين البحر نحو ميل

(٧) مدينة في بركة الشام

امرها وبعث ابا الزهر القشيري إلى البثنية (١) وحواران فصالح
اهلها (٢)

ووجه ابو عبيدة ميسرة بن مسروق العبسي إلى درب بغراس (٣)
فلقي جمعاً من الروم ومعهم مستعربة من غسان وتنوخ يريدون اللحاق
بهرقل فوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة . وبلغ ابا عبيدة ان جمعاً
من الروم بين معرة مصرين وحلب فلقبهم وقتل عدة بطارقة وفض
ذلك الجيش وفتح معرة مصرين على مثل صلح حلب

عام الرمادة

١٨ هـ - ٦٣٩ م

في هذه السنة (١٨) أصاب الناس مجاعة شديدة وجدب وقحط
واشتد الجوع حتى جعلت الوحش تأوى إلى الانس وحتى جعل
الرحل يذبح الشاة فيعافها من قبحها وماتت المواشى جوعاً وسمى
هذا العام عام الرمادة لأن الريح كانت تسفي تراباً كالرمادة وأقسم عمر
أن لا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيي الناس فقدمت السوق
عكة سمن (٤) ووطب من لبن فاشتراهما غلام لعمر بأربعين درهما
ثم أتى عمر فقال يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك
قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتها بأربعين درهما

(١) بلدة بالشام (٢) كورة واسعة من أعمال دمشق

(٣) مدينة بالقرب من اطاكية (٤) العكة اصغر من القرية

فقال عمر أعميت بهما فتصدق بهما فاني أكره آكل اسرافا . وقال
« كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يصيبني ما أصابهم » وكتب عمر إلى
أمراء الأمصار يستغيثهم لأمر المدينة ومن حولها ويستمدهم فكان
أول من قدم عليه أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة من الطعام (١)
فولاه قسمتها فيمن حول المدينة فقسمها وانصرف إلى عمله وتابع
الناس ووردت المؤن من العراق أيضا وأصلح عمرو بن العاص بحر
القلزم وأرسل فيه الطعام من مصر فرخص السعر واستمرت هذه
المجاعة تسعة أشهر

(الاستسقاء)

وبعد تسعة أشهر من القحط خرج عمر ومعه العباس ما شيا
فخطب وأوجز وصلى ثم جثا لركبتيه وقال : « اللهم عجزت عنا
أنصارنا وعجزت عنا حولنا وقوتنا وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا
قوة إلا بك . اللهم فاسقنا وأحى العباد والبلاد »

وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأن دموع العباس لتتحدار على لحيته . فقال « اللهم إنا نتقرب
إليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم وبقية آبائه وأكبر رجاله فانك
تقول وقولك الحق (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة)
فحفظنا بصلاح آبائهما فاحفظ الله نبيك صلى الله عليه وسلم في عمه
فقد دلونا به إليك مستشفعين مستغفرين »

(١) وفي كتاب الخلافة للأستاذ موير أنها كانت محملة بالقمح من الشام

ثم اقبل على الناس فقال: «استغفروا ربكم إنه كان غفاراً»
وكان العباس قد طال عمره وعينه تذر فان ولحيته تجول على
صدره وهو يقول «اللهم انت الراعى فلا تهمل الضالة ولا تدع
الكسير بدار مضيعة فقد صرخ الصغير ورق الكبير وارتفعت
الشكوى وانت تعلم السر وأخفى . اللهم فاغهم بغناك قبل ان يقنطوا
فيهلكوا فانه لا يياس إلا القوم الكافرون»

فنشأت طريرة من سحاب فقال الناس ترون! ترون! ثم التأمت
ومشت فيها ريح ثم هدأت ودرت فوالله ماتروحووا حتى اعتنقوا
الجدار وقلصوا المسآزر فطفق الناس بالعباس يمسحون اركانه
ويقولون هنيئاً لك ساقى الحرمين . فقال الفضل بن العباس بن عتبة
ابن ابي لهب :

بعمى سقى الله الحجاز وأهله عشية يستسقى بشيبه عمر
توجه بالعباس في الجذب راغباً اليه فما ان رام حتى آتى المطر
ومنا رسول الله فينا ترائه فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر
وقال حسان بن ثابت:

سأل الامام وقد تابع جدبنا فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبي وصنو والده الذي ورث النبي بذاك دون الناس
احيا الاله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجناد بعد الياس

طاعون عمواس

سنة ١٨٠٥٠٦٣٩ م

عمّواس رواه الزمخشري بكسر اوله وسكون الثاني ورواه غيره بفتح اوله وثانيه وهى كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس . قال المهلبى كورة عمواس هى ضيعة جليلة على ستة اميال من الرملة على طريق بيت المقدس ومنها كان ابتداء الطاعون فى ايام عمر ابن خطاب رضى الله عنه ثم فشا فى ارض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة رضى الله عنهم ومن غيرهم وذلك فى سنة ١٨ للهجرة ومات فيه من المشهورين ابو عبيدة بن الجراح وعمره ٥٨ سنة وهو امير الشام . ولما بلغت وفاته عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولى مكانه على الشام يزيد بن ابى سفيان ومعاذ بن جبل والحارث بن هشام وسهيل بن عمر والفضل بن العباس وشرحبيل ابن حسنه . وقيل مات فيه ٢٥٠٠٠ من المسلمين وفى هذه السنة كان عام الرمادة بالمدينة (ياقوت)

لما فشا الطاعون وبلغ ذلك عمر كتب إلى ابى عبيدة ليستخرجه منه ان « سلام عليك . اما بعد فانه قد عرضت اليك حاجة اريد ان أشافك فيها فعزمت عليك إذا نظرت فى كتابي هذا الا تضعه من يدك حتى تقبل إلى »

فعرف ابو عبيدة انه إنما أراد ان يستخرجه من الوباء إشفاقا عليه وضناً به فقال يغفر الله لأمير المؤمنين ثم كتب اليه :
« يا امير المؤمنين إني قد عرفت حاجتك إلى وإني في جند من المسلمين لا اجد بنفسى رغبة عنهم فلست اريد فراقهم حتى يقضى الله في وفيهم امره وقضاه فحللنى من عزمك يا امير المؤمنين ودعى في جندى »

فلما قرأ عمر الكتاب بكى . فقال الناس يا امير المؤمنين امات ابو عبيدة ؟ قال وكان قد قال ثم كتب اليه :
« سلام عليك . اما بعد فانك انزلت الناس ارضاً عميقة فارفعهم إلى ارض مرتفعة نزهة » فلما أتى كتابه دعا ابا موسى فقال يا ابا موسى ان كتاب امير المؤمنين قد جاءنى بما ترى فاخرج فارتد للناس منزلاً حتى أتبعك بهم فرجع أبو موسى إلى منزله فوجد زوجته قد أصيبت فرجع إليه فأخبره الخبر فأمر ببيعيره فرحل له فلما وضع رحله في غرزه طعن فقال : والله لقد أصيبت . وقيل لما اشتعل الوجد قام ابو عبيدة في الناس خطيباً فقال :

« أيها الناس إن هذا الوجد رحمة بكم ودعوة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وموت الصالحين قبلكم وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه » فطعن فمات فاستخلف على الناس معاذ بن جبل فقام خطيباً بعده فقال :

« أما أيها الناس إن هذا الوجد رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت

الصالحين قبلكم وإن معاذ يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظهم»
فطعن ابنه عبد الرحمن بن معاذ فمات . ثم قام فدعا به لنفسه فطعن
في راحته فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص فقام في
الناس خطيبا فقال :

« أيها الناس . إن هذا الوجع إذا وقع فانما يشتعل اشتعال النار
فتجبلوا منه في الجبال » ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا ^(١) ورفع
الله عنهم .

هذا ما جاء في الطبرى ، وفي أسد الغابة : لما مات أبو عبيدة
استخلف معاذ بن جبل ، ومات معاذ فاستخلف يزيد ، ومات يزيد
فاستخلف أخاه معاوية . وقد مكث هذا الطاعون شهرا

وفاة ابى عبيدة بن الجراح

١٨٠ هـ - ٦٣٩ م

احد ابطال الاسلام . وفاتح الشام

كان طاعون عمواس نكبة على المسلمين والظاهر أنه نشأ عقب
الحروب التي حدثت في الشام من كثرة القتلى الذين تركوا في ميادين
القتال من غير أن يدفنوا . أما المسلمون فقد كانوا يدفنون قتلاهم كما
هى عادتهم وكما يأمر بذلك دينهم . أما الجيوش المنهزمة فلا تتمكن
عادة من دفن قتلاهم لذلك بقيت جثث الروم كما بقيت جثث الفرس

(١) ذكر مستر هوير انهم تمرقوا إلى حوران

في العراق من غير أن تدفن ولذلك اصاب الطاعون العراق كما
اصاب الشام (١)

وقد استشهد بطاعون عمواس جماعة من كبار القواد
والصحابه منهم أبو عبيدة بن الجراح رحمه الله تعالى ، وقد خسر
المسلمون بوفاته رجلا صالحا تقيا عفيفا متواضعا محبوبا من الخليفة
ومن جميع القواد و فاتحا من أكبر الفاتحين الذين كان لهم أثر عظيم
في تاريخ الفتح الاسلامي . ولا بد لنا في هذا المقام أن نذكر
ترجمة حياته :

فهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن اهيب بن ضبة
ابن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة أبو عبيدة
اشتهر بكنيته ونسبه إلى جده فيقال أبو عبيدة بن الجراح
كان إسلامه هو وعثمان بن مظعون وعبيدة بن الجون بن المطلب
وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد في ساعة واحدة
قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم . أحد العشرة السابقين
إلى الاسلام ومن المشهود لهم بالجنة . شهد بدرًا وأحدا والمشاهد
كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي نزع الحلقة من
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيتا أبي عبيدة وقال
فيه النبي صلى الله عليه وسلم : « لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة
أبو عبيدة بن الجراح »

(١) كان الفرس يدينون بديانة زرادشت وهي تحرم حرق الموتى أو دفنهم

ولما وفد أهل اليمن (نجران) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا ابعث معنا رجلا يعلننا السنة والاسلام فأخذ بيد ابي عبيدة فقال « هذا أمين هذه الأمة » وقال له ابو بكر الصديق يوم السقيفة قد رضيت لكم احد هذين الرجلين عمر بن الخطاب و ابو عبيدة بن الجراح

وكان احد الأمراء المسيرين إلى الشام والذين فتحوا دمشق . ولما ولي عمر بن الخطاب الخلافة عزل خالد بن الوليد واستعمل ابا عبيدة فقال خالد ولي عليكم امين هذه الأمة . وقال ابو عبيدة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن خالداً لسيف من سيوف الله »

وهو الذي قال لعمر لما اراد الرجوع إلى المدينة بعد ما نصحه الصحابة بالرجوع لتفشى الوباء : « اتفر من قدر الله ؟ » فقال عمر : « لو غيرك قالها يا ابا عبيدة . نعم من قدر الله إلى قدر الله » وذلك دال على جلالة قدر ابي عبيدة عند عمر

ولما كان ابو عبيدة يبدر يوم الواقعة جعل ابوه يتصدى له وجعل ابو عبيدة يحيد عنه فلما اكثر ابوه قصده ، قتله ابو عبيدة . فأنزل الله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناهم الآية) سورة التوبة

ولما هاجر إلى المدينة آخى رسول الله بينه وبين أبي طلحة الأنصاري وكان عمره عند وفاته ٥٨ عاماً وكان يخضب بالحناء

والكتم وقد انقرض ولد أبي عبيدة وكان رجلا نحيفا معروق الوجه.
خفيف اللحية طوالا

وأشهر أعمال أبي عبيدة ظهرت في فتوح الشام فانه كان أمير
الجيوش وقائدها فأول ما استعمله أبو بكر على جيش إلى حمص
فسار إلى باب البلقاء فقاتله أهلها ثم صالحوه فسكان أول صلح في
الشام . ثم سار فنزل الجابية ثم حضر وقعة البرموك ووقعة أجنادين
ونجح فيها نجاحا عجيبا ثم فتح دمشق وفحلا ثم قصد حمص وفتحت
بأمره بيسان وطبرية وغيرها من البلاد الشرقية وكانت له مع الروم
في تلك الفتوح مواقع وأخبار يطول شرحها ومر ذكرها ظهرت
فيها شهامته وجسارته وخبرته بأمر الحروب وتقى مجاهداً إلى أن
مات . وكان أبو عبيدة هينا ليا حليما رءوفا كريما الأخلاق غير
متعصب ولا محب لسفك الدماء واشتهر عند الروم بحسن الشئائل
وصدق المقال ولذلك قصدوا في دمشق صلحه فصالحهم . وقدمدحه
المؤرخون على مروءته حتى قال من وقف على هذه الموقعة من
مؤرخي الأفرنج « لو كانت أوصاف هذا الصحابي الجليل الذي كان
أمير الجيش الاسلامي في ذلك العصر مجتمعة في أمراء جيوش
العصور الجديدة المشهورة بالتمدن والتقدم لأفادتهم غاية المجد
والشرف ونفت عنهم مثالب الجور . فأجل أمراء الجيوش العظيمة
التمدنة في عهدنا هذا لم يبلغوا درجة ذلك الأمير الخطير الذي هو
بين الفاتحين عديم النظير . فكل منقبة من مناقب عدله وحلمه ووفائه

تخجل أكابر رؤساء كل جيش من جيوش الدول المتأخرة وتزدري
بأمرائه «

وقبر أبى عبيدة بغور بيسان عند قرية تسمى عمسا (١) وعلى
قبره أشياء تشير إلى جلالة قدره (٢)

وفاة معاذ بن جبل

كان من ضحايا طاعون عمواس معاذ بن جبل الأنصارى
الجزرجى وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار
وشهد بدرأ وأحدأ والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأخى رسول الله بينه وبين عبد الله بن مسعود وكان عمره لما أسلم
١٨ سنة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذوا القرآن من
أربعة من ابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى
أبى حذيفة »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرحم أمتى بأمتى
أبو بكر » وقال « وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ بن جبل »
وعن سلية بن وردان قال سمعت انس بن مالك قال أتاني معاذ
ابن جبل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من شهد

(١) صحتها عن لا أعمياء كما ذكرت خطأ في دائرة المعارف العربية وهي

قرية بالأردن

(٢) أسد الغابة . الاصابة . دائرة المعارف العربية للبستاني

أن لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه دخل الجنة » فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله حدثني معاذ أنك قلت من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه دخل الجنة . قال « صدق معاذ . صدق معاذ . صدق معاذ »

وكان الذين يفنون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين عمر وعثمان وعلي وثلاثة من الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت . وقال جابر بن عبد الله كان معاذ من أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وأسمحهم كفا فآدان دينا كثيرا فلزمه غرماؤه حتى تغيب عنهم أياما في بيته فطلب غرماؤه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضره فأرسل إليه فحضر ومعه غرماؤه فقالوا يا رسول الله خذ لنا حفنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله من تصدق عليه » فصدق عليه ناس وأبى آخرون فخلعه رسول الله من ماله فافتسموه بينهم فأصابهم خمسة أسباع حقوقهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس لكم إلا ذلك » فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وقال « لعل الله يبرك ويؤدي عنك دينك » فلم يزل باليمن حتى توفي رسول الله . كان معاذ إذا تهجد من الليل قال : « اللهم نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم . اللهم طلبي الجنة بطيء وهربي من النار ضعيف . اللهم اجعل لي من عندك هدى ترده إلى يوم القيامة . إنك لا تخلف الميعاد »

وطعنت له في الطاعون امرأتان فماتتا ثم طعن ابنه عبد الرحمن
فمات ثم طعن معاذ بن جبل فجعل يغشى عليه فاذا أفاق قال اللهم
غمنى غمك فوعزت لك لتعلم أي أحبك . ثم يغشى عليه فاذا أفاق قال
مثل ذلك

وقال عمرو بن قيس إن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال :
انظروا أصبحنا . فقيل لم نصبح حتى آتي فقيل أصبحنا فقال (اعوذ
بالله من ليلة صباحها إلى النار . مرحباً بالموت . مرحباً زائر حبيب
جاء على فاقة . اللهم تعلم أي كنت اخافك وأنا اليوم ارجوك . أي لم
أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار ولا لغرس الأشجار
ولكن لظماً الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب
عند حلق الذكر)

وقال الحسن لما حضر معاذ الموت جعل يبكي فقيل له أتبكي
وانت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت . وانت فقال :
(ما أبكي جزعاً من الموت إن حل بي ولا دنياً تركتها بعدى إنما
القبضتان فلا أدري من أي القبضتين أنا)

قيل كان معاذ ممن يكسر اصنام نبي سلمة وقال النبي صلى الله
عليه وسلم : « معاذ امام العلماء يوم القيامة برتوة او رتوتين ^(١) »
وكان عمره عند وفاته ٣٨ عاماً ^(٢) وقبره بغور بيسان

(١) الرتوة الخطوة يقال دنوت منه رتوة . ورتوة قدر مد البصر تقول
بيننا وبينهم رتوة أي مسافة بعيدة قدر مد البصر (٢) أسد الغابة

قال ابو ادريس الخولاني كان معاذ ابيض وضىء الوجه براق
الثنايا اكحل العينين . وقال كعب بن مالك: كان شابا جميلا سمحاً من
خير شباب قومه

وفاة يزيد بن ابي سفيان

هو ثالث القواد المشهورين الذين أصيبوا بطاعون عمواس
وكان أفضل بني سفيان و كان يقال له يزيد الخير يكنى أبا خالد أسلم
يوم فتح مكة وشهد حنيناً وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من العنائم
بها مائة بعير وأربعين أوقية وزمها له بلال واستعمله أبو بكر على
جيش وسيره إلى الشام كما ذكرنا وخرج معه يشيعه راجلاً .

قال ابن اسحاق لما قفل أبو بكر من الحج سنة اثنتي عشرة بعث
عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح
وشرحبيل بن حسنة إلى فلسطين وأمرهم أن يسلكوا على البلقاء
وكتب إلى خالد بن الوليد وهو بالعراق يأمره بالمسير إلى الشام
فسار على السماوة^(١) وأغار على غسان بمرج راهط من أرض دمشق
ثم سار فنزل على فناة بصرى وقدم عليه يزيد بن أبي سفيان وأبو
عبيدة وشرحبيل فصالحت بصرى وكانت أول مدائن الشام فبحت

(١) قال ياقوت السماوة مائة بالادية وكانت امالعمان سميت بها فكان اسمها
ماء فسمتها العرب ماء السماء وبادية السماوة التي هي بين الكوفة والشام قفري
أظها مسماة بهذا الماء

ثم ساروا نحو فلسطين فالتقوا مع الروم بأجنادين بين الرملة وبيت
جبرين فهزم الله الروم في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة . فلما ولى
عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولى أباعبيدة وفتح الله عليه الشامات
ولى يزيد بن أبي سفيان فلسطين ولما مات أبو عبيدة استخلف
معاذ بن جبل ومات معاذ ومات يزيد فاستخلف أخاه معاوية وكان
موت هؤلاء كلهم فى طاعون عمواس
واسنعمله رسول الله على صدقات بى فراس وكانوا أخواله

وفاة شرحبيل بن حسنة

أحد القواد العظام الدين استشهدوا فى الطاعون الجارف .
حَسَنَة أمه واسم أبيه عبد الله بن المطاع وكان شرحبيل حليفا لبنى
زهرة حالهم بعد موت أخويه لأمه جادة وجابر ابني سفيان بن
معمر بن حبيب ولما مات عبد الله والد شرحبيل تزوج أمه حسنة
أم شرحبيل رجل من الأنصار من بنى زريق اسمه سفيان
أسلم شرحبيل قديماً وأخواه وهاجر إلى الحبشة هو وأخواه .
فلما قدموا من الحبشة نزلوا فى بنى زريق فى ربعمهم ونزل شرحبيل
مع أخويه لأمه ثم مات سفيان وابناه فى خلافة عمر رضى الله عنه
ولم يتركوا عقباً فحول شرحبيل إلى بنى زهرة
وكان شرحبيل من مهاجرة الحبشة ومن وجوه قريش . سيره
أبو بكر وعمر على جيش إلى الشام ولم يزل واليا على بعض نواحي

الشام لعمر إلى أن مات في طاعون عمواس وله ٦٧ سنة . طعن هو
وأبو عبيدة بن الجراح في يوم واحد

خروج عمر إلى الشام

بعد طاعون عمواس

سنة ١٨ هـ

كثرت وفيات المسلمين بالطاعون وحرار أمراء الجند فيما لديهم
من المواريث فكتبوا إلى عمر بذلك فجمع الناس واستشارهم وقال
لهم « قد بدا لي أن أطوف على المسلمين في بلادهم لأنظر في آثارهم
فأشيروا عليّ » ومن هذا يتبين أنه كان يريد الطواف في البلاد التي
فتحها المسلمون ولم تكن مسألة المواريث هي السبب الوحيد لعزمه
على الخروج . وكان في القوم كعب الأحبار الذي قيل إنه أسلم في
تلك السنة (١) . فقال كعب . يا أمير المؤمنين بأيها تريد أن تبدأ ؟

(١) هو كعب بن ماته الخيري أبو اسحاق المعروف بكعب الأحبار وهو
الراوي المشهور . كان يهوديا وأسلم ويقال اسمه بالعربية عقيبا أو يعقوب فتغير
إلى كعب حبر بفتح الحاء أو بكسرهما والجمع أحبار . قال الخوارزمي في كتاب
مفاتيح العلوم وهو الخبر العالم ، « وإن حياة كعب ليست معروفة تماما وقد كان مع
عمر عند فتح بيت المقدس وأسلم سنة ١٧ هـ (٦٣٨ م) وقد أدرك إلى ولم
يره وكان يجيئه من اليمن إلى المدينة في خلافة عمر وسار منها إلى حصن في
خلافة عثمان بن عفان وتوفي بها سنة ٣٢ هـ وقيل سنة ٣٤ هـ (٦٥٢ - ٦٥٤ م)
وبها دفن وقال بن بطوطة وياقوت في معجمه إنه مات بدمشق .

قال بالعراق . قال فلا تفعل فان الشر عشرة أجزاء : تسعة بالمغرب
وجزء بالمشرق وبها قرن الشيطان وكل داء عضال، فقال علي يا أمير
المؤمنين إن الكوفة للهجرة بعد الهجرة وإنها لقبية الاسلام ليأتينها
يوم لا يبقى مسلم إلا وحن إليها ، لينتصرون بأهلها كما انتصر بالحجارة
من قوم لوط

فقال عمر إن مواريث أهل عمواس قد ضاعت فابدأ بالشام
فاقسم المواريث وأقيم لهم ما في نفسي ثم أرجع فاتقلب في البلاد
وأبدى لهم أمري

فسار عن المدينة واستخلف عليها علي بن أبي طالب واتخذ إيلة
طريقا فلما دنا منها ركب بعيره وعلى رحله فرو مقلوب وأعطى
غلامه مركبة فلما تلقاه الناس ، قالوا أين أمير المؤمنين ؟ قال امامهم
يعنى نفسه فساروا امامهم فترها وقيل للمتلقين قد دخل امير المؤمنين
اليها ونزلها فرجعوا وأعطى عمر الأسقف بها قيصه وقد تحرق
ظهره ليغسله ففعل واخذه ولبسه وخاط له الأسقف قيصا غيره
فلم يأخذه

فلما قدم الشام قسم الأرزاق وسمى الشوائب والصوائف وسد
فروج الشام ومسالحها (ثغورها) واخذ يدورها واستعمل عبد الله
ابن قيس على السواحل من كل كورة واستعمل معاوية وقسم مواريث
أهل عمواس فورث بعض الورثة من بعض واخرجها إلى الأحياء
من ورثة كل منهم وخرج الحارث بن هشام في سبعين من أهل بيته

فلم يرجع منهم إلا اربعة
ولما حضرت الصلاة قال له الناس لو امرت بلالا فأذن فأمره
فأذن فما بقي احد ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وبلال يؤذن إلا
وبكى حتى بل لحينه وعمر اشد هم بكاء وبكى من لم يدركه بيكأتهم
ولذكروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي هذه السنة في ذى الحجة حول عمر المقام إلى موضعه اليوم
وكان ملاصقا بالبيت وفيها استقضى عمر شريح بن الحارث الكندي
على الكوفة وعلى البصرة كعب بن سور الأزدي وكانت الولاة على
الأمصار الولاة في السنة قبلها وحج بالناس عمر بن الخطاب

اسباب انتصار المسلمين

بالشام والعراق

انتصر المسلمون في مدة قصيرة لا تزيد عن أربع سنوات على
امبراطوريتين عظيمين هما الفرس والامبراطورية الرومانية
الشرقية بعد أن نشبت بينهما حروب طاحنة فقد كان الفرس احتلوا
الشام ومصر ووصلت جيوشهم سنة ٦١٦ م إلى شواطئ
القسطنطينية اى بعد تولية هرقل ملك الروم الحكم بست سنوات
فتملكه اليأس وعود على التخلي عن عرشه والرحيل إلى قرطاجنة ،
غير ان البطارقة منعوه وشجعوه على الاحتفاظ بمركزه فبقى واستطاع
محاربة الفرس لكنه سنة ٦٢٢ م اخفق في الاستيلاء على ارمينية

ثم عاد ففتحها سنة ٦٢٤ — ٦٢٦ م وهزم الفرس في ميدان القتال
وتغلب على قائدهم شهر براز

ولما بلغت جيوش الروم قرب المدائن صالحه كسرى ثم عاد
إلى القسطنطينية بعد أن أخذ منهم الصليب الذي يظن أن المسيح
صلب عليه ورده إلى بيت المقدس في احتفال باهر في سبتمبر سنة
٦٢٩ م بعد أن سار على قدميه من القسطنطينية إلى بيت المقدس
برأ يمينه . وفي هذا الوقت وصل هرقل كتاب من رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعو فيه إلى الاسلام كما وصل كسرى إلا أن كسرى
مزق الكتاب . وعلى كل حال لم يكثرث واحد منهما بصاحب
الكتاب ولا بدعوته لأنه لم يكن له وقتئذ شأن يذكر ولم يخطر
ببال هرقل ولا كسرى أن المسلمين بعد سنوات معدودات سيفتحون
بلادهما

أنهكت الحروب الطويلة قوى الفرس والروم وقد انتهت
الحروب في أوائل خلافة أبي بكر الصديق بعد أن استمرت ستة
وعشرين عاما . ثم نهض المسلمون وأخذوا يحاربون الفرس والروم
جميعاً في آن واحد فاتصروا عليهما انتصاراً باهراً لم يسكن بالحسبان
مع أنهم في جميع المواقع كانوا أقل منهم عدداً وعدة ، فلم تتجاوز
جيوش المسلمين في خلافة عمر بن الخطاب مقاتل في
العراق أو الشام

أما أسباب الانتصار الذي حير الألباب فهي :

(١) ان الفرس والروم ستموا الحروب الطويلة التي كسرت من شوكتهم وقد استمرت ستة وعشرين عاما

(٢) الاضطرابات الداخلية فقد كانت الفرس في قلاقل مستمرة ودسائس وقتن فلا يتولى ملك حتى يقتل أو يخلع واشتغل الروم بالمباحثات الدينية والمجادلات اللاهوتية كذلك شغلهم الاضطهادات الدينية والاضطرابات السياسية وتنازع القواد وانقسامهم

(٣) انغماس الأمتين في الملاهى والترف وفقدان الروح الحربية فيهم

(٤) كان الفرس والروم يعمدون في محاربة المسلمين على جيوش من البدو الموالين لهم في الحدود وكان العرب المنتصرون الخاضعون للروم يعانون يعانون كثير أمن المظالم كفداحة الضرائب وغطرسة الحكام وانتشار الفوضى . فلما زحف المسلمون على الشام لم ينهضوا لمقاومتهم لما بينهم من التجانس فانهم عرب مثلهم ولما لاقوا من مظالم الروم ولأنهم كانوا يعلمون أن المسلمين يعدلون ولا يجورون في أحكامهم ويعاملونهم بالرفق

اما البدو الذين كانوا موالين للفرس فكانوا مزارعين لا يعينهم أذفعاوا الضرائب للفرس ام دفعوا الجزية للمسلمين بل كانوا يميلون اليهم لأنهم عرب، مثلهم ومن انضم منهم اليهم كان يحارب دفاعا عن العربية

(٥) كان المسلمون حديثو عهد بالاسلام فكانوا يقاتلون بحمية دفاعا عن دينهم وتعزيزاً له وتثبيتاً لدعائمه بعقيدة ثابتة فهم يحاربون لذلك ولأن من يقتل في سبيل الله فهو شهيد مخلد في جنة الفردوس ومن يولى الدبر فجزاؤه جهنم ، هذا وقد كانت الغنائم توزع بينهم بالتساوى بلا محاباة . فالروح الحربية عندهم كانت بالغة منتهاها وفي عنفواها لم يطرأ عليها الوهن ولم يفسدها النعيم والترف فقد كانوا متقشفين لا يبالون بالموت ويتسابقون إليه طمعاً في نعيم الآخرة

(٦) كان نساء المسلمين يصحبون الجيش ويشجعونهم بأصواتهم ويحشونهم على القتال وكن يحاربن مع الرجال في عدة مواقع ويضمدن جراحهم

كل هذه أسباب هيأت للمسلمين الانتصار وبذلك انتشر الاسلام الذي كان خير نظام اجتماعي وسياسي وخير عقيدة دينية وقد قضى على الخرافات والاضطهادات الدينية والنهب والسلب والفوضى والرقيق كما قضى على الفجور والخمور وسوى بين السيد والمسود ونشر العدل ووطد الأمن وبت روح التعاون والأخوة والتسامح وأمن الذميين على أرواحهم وأموالهم وحافظ على معابدهم ونها عن هدمها والعرض لها بسوء وأطلق لهم حرية الأديان فعاشوا في صفاء وأمان

فتح مصر

١٩ - ٢٠ هـ (٦٤٠ - ٦٤١ م)

كان عمرو بن العاص يرحل إلى مصر للتجارة قبل الاسلام فلما زار عمر بن الخطاب الشام لقسمة الموارث بعد طاعون عمواس اختلى به عمرو وقال ائذن لي أن أسير إلى مصر فانا إن فتحناها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهي أكثر الأرض أموالا وأعجزهم عن القتال والحرب . فتخوف عمر من ذلك وقال هذا تغرير بالمسلمين لأن قدمهم لم تكن رسخت في البلاد التي فتحوها حديثا ، وكانت جيوشهم موزعة في الشام والعراق وأرمينيا وغيرها وقد مات منهم بالطاعون عدد عظيم . وما زال عمرو بن العاص يحرضه على فتح مصر ويعظم أمرها لديه ويهون فتحها عليه حتى ركن إلى قوله وأذن له في المسير

وقد كانت مشورة عمرو حسنة لأن مصر كانت تمون روما بالغلل وكانت الاسكندرية أهله بالسكان ويقصدها الناس من كل فجج للاقامة بها حتى صارت المدينة الثانية في الامبراطورية الرومانية ومركزاً للتجارة والعلوم واختلف إليها الروم والأرمن والعرب والقبط والمسيحيون واليهود والشوام غير أنها كانت مركزاً للقلاقل والثورات الداخلية ضد حكامها الأجانب . وبلغ عدد سكانها من الذكور فقط ٦٠٠,٠٠٠ منهم ٤٠,٠٠٠ يهودي

يدفعون الضرائب و ٢٠٠,٠٠٠ رومي فر منهم ٣٠,٠٠٠ قبل الحصار وكان بها ٤٠٠٠ حمام و ٤٠٠٠ ملهى و ١٢٠٠ سفينة وان كان هذا العدد به شيء من المبالغة . وكانت السفن ترسو في مينائها للتجارة مع جميع موانئ الدنيا وعلى ذلك كانت مدينة الاسكندرية مدينة أوربية أكثر منها مصرية

وكانت مصر تعاني أشد أنواع الفقر . أما حاصلاتها فكانت ترسل إلى مدن الامبراطورية الرومانية وتبقى هي محرومة منها ولذلك كان الأهالي مستعدين على الدوام للقيام بثورة ضد حكام البلاد وعدا ذلك كان حكام الروم يبذلون المجهودات كي يعتنق الأهالي المذهب الأرثوذكسى وفر بطريق الأقباط بديامين إلى الصعيد واختفى في أحد الأديرة من جراء الاضطهاد الدينى ونصح لاتباعه أن يقتفوا أثره . ولم يعد في وسع الأهالي احتمال الحكم البيزنطى بسبب الاضطهادات الدينية وقد كان الروم أنفسهم متقسمين إلى أحزاب (١) هذه هي الحالة التى كانت عليها مصر قبل الفتح الاسلامى

ولما استوثق عمر بن الخطاب رضى الله عنه من قول عمرو بن العاص عقد له على ٤٠٠٠ رجل كلهم من قبيلة عك (٢) وقال له : سر

(١) راجع فتح مصر فى كتاب الخلافة للاستاذ موير ص ١٥٨ طبعة

سنة ١٩٢٤

(٢) ذكر أرفنج ان عدد الجيش كان ٥٠٠٠ مقاتل

وأنا مستنخِر الله في مسيرك وسيأتيك كتابي سريعاً إن شاء الله تعالى
فإن أدركك كتابي أمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو
شيئاً من أرضها . وإن دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك
واستعن بالله واستنصره . فسار عمرو بن العاص في جوف الليل ولم
يشعر به أحد من الناس . إلا أن عمر تخوف على المسلمين إذ لا بد
أنه قدر أنه سيحارب أمة عددها عشرة ملايين . فكتب إلى عمرو بن
العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين فأدرك الكتاب عمراً
وهو بقرية يقال لها رفح على تخوم سوريا ومصر إلى جنوبي غزة
فتخوف عمرو بن العاص إن هو أخذ الكتاب وفتحه يحد فيه
الانصراف كما عهد إليه عمر فلم يسلم من الرسول الكتاب وصار
يدافعه حتى نزل العريش فسأل عنها وعن أي أرض تكون فقبل له
إنها من مصر فدعا بالرسول وقرأ الكتاب على المسلمين ثم قال هيا
بنا إطاعة لأمر أمير المؤمنين وقد فتح عمرو العريش بلا كبير عناء
لأن حصونها لم تكن مبيعة ولفلة الحامية التي كانت بها وكان فيجها
في آخر ديسمبر سنة ٦٣٩ م — الحجية سنة ١٨ هـ . ثم جدوا في
المسير حتى بلغوا الفرما *Pelusium* ^(١) فحاصرها المسلمون شهراً

(١) الفرما مدينة قديمة وميناء بمصر سرقى ور سعيد على بعد عشرين ميلاً
منها وقد كانت مفتاح مصر من جهة الشام وكان لها شأن كبير في الحرب التي
نشبت بين العرس ومصر وكلمة *Pelusium* معناها باللاتينية الطين ، قال ابن
حوقل والمقرئزي وبها قبر جاليوس ووافق بعض المؤرخين سويداس الذي
ذهب إلى أن جاليوس بقي في رومية بعد زيارته الثانية لها وتوفي بها السكّن زمن

وهم يقاتلون الروم ثم افتتحوها في ٢٠ يناير سنة ٦٤٠ م وواصلوا زحفهم إلى سنهور وتيس (صان) ثم إلى بلبيس^(١) وكانت حصينة وكان بها ابنة المقوقس فأرسلها عمرو إلى ابيها معززة مكرمة فوق ذلك لديه أحسن موقع وكانت خسارة الروم بلبيس عظيمة والذي تعرض لجيش المسلمين هناك أرطبون الذي فر من الشام وظلت بلبيس تقاوم شهراً

ذكر الواقدي أن المقوقس زوج ابنته ارمانوسة قسطنطين بن هرقل (وهو قسطنطين الثالث تولى بعد موت أبيه سنة ٦٤١) وجهازها بأموالها وجواريرها وغلماؤها وحشمها لتسير إليه حتى يبني عليها في مدينة قيسارية وهم محاصرون لها فخرجت إلى بلبيس وأقامت بها وبعثت حاجبها الكبير في ألفي فارس إلى الفرما ليحفظ الطريق ولا يدع أحداً من الروم ولا غيرهم يعبر إلى مصر وبعث المقوقس رسله إلى أطراف بلاده مما يلي الشام أن لا يتركوا أحداً يدخل أرض مصر مخافة أن يحدثوا بغلة المسلمين على الشام فيدخل الرعب في قلوب عساكرهم . فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية وسار عمرو بن العاص إلى مصر نزل على بلبيس وبها ارمانوسة ابنة المقوقس فقاتل من بها وقتل منهم زهاء ألف فارس وأسر ثلاثة آلاف واهزم من بقى إلى المقوقس وأخذت ارمانوسة وجميع مالها

وفاته ومكان قبره مشكوك فيهما

(١) بلبيس بمديرية الشرقية وكانت بابليون رمم حصونها لما قدم مصر

وسائر ما كان للقبط في بلبس فأحب عمرو ملاطفة المقوقس
فسير إليه ابنته ارمانوسه مكرمة في جميع ماها مع قيس بن أبي العاص
السهمي فسر بقدمها

موقعة عين شمس

Battle of Heliopolis

شعبان سنة ٥١٩ (يولية سنة ٦٤٠ م)

أغفل كثير من المؤرخين موقعة عين شمس على أهميتها كما أنهم
أغفلوا تفاصيل الزحف على الفيوم

كانت مدينة عين شمس من اشهر مدن القطر المصري بيد انه
لم تكن لها اهمية حربية عند الفتح الاسلامي غير انها كانت صالحة
للقال فالياه واصلة إليها ومن السهل تموين الجيش فيها وكانت
مقدمة إلى المطرية ولذلك اهتم بها عمرو بن العاص

بلغ عدد جيوش المسلمين في موقعة عين شمس ١٥٠٠٠ مقاتل
اما الروم فقد جمع القائد تيودور جنوده لطرده المسلمين من عين
شمس وقد بلغ عددهم ٢٠٠٠٠ عدا جند الحصون وعلى ذلك كانوا
يفوقون عدد جنود المسلمين بكثير . وكان عمرو بن العاص يقصد
بنزوله عين شمس محاربة الروم في العراء بعيدا عن الحصون . ولما
ايقن تيودور انه اصبح قادرا على الهجوم ، سار نحو عين شمس ومعه
الفرسان والمشاة وكان على الفرسان تيورسيوس واناستاسيوس

و بـث عمرو و العيون فأخبروه بمخطة العدو و مسيره فقسم جيشه إلى ثلاثة أقسام ، قسم عسكر بعين شمس تحت قيادته و قسم بأم دنين (جهة الأزبكية) و قسم بالتلال الواقعة جهة القلعة الآن تحت قيادة خارجة بن حذافة و بذلك انحصر الجيش الرومانى بين قوتين من جيش العرب و ذلك للاطباق عليه عند صدور الأوامر و هذه الخطة لم يكن يعلمها الجيش الرومانى و غابة ما عرفوه ان جيش المسلمين زاحف من عين شمس للقائم و على ذلك التقى الجيشان فى العباسية فى منتصف المسافة بين معسكر عين شمس و أم دنين فاقتملا قتالا شديدا علما منهما ان نتيجة هذه الواقعة تقرير مصير مصر

و بينما كانت ربحى القتال دائرة بشدة هجمت الفرقة التى تحت قيادة خارجة جهة التلال و انقضت كالصاعقة على الجيش الرومانى الذى وقع بين القويين فاخل نظامه و اضطرب و اتجه نحو أم دنين فالتقى بجيش العرب هناك حيث وقعت الكارثة فالتحأ بعضهم إلى الحصن بطريق البر و فر البعض الآخر بقوارب إلى حصن نابليون لكن أكثرهم قتل و استولى المسلمون على أم دنين مرة اخرى و قتلت حاميتها عن آخرها عدا ٣٠٠ نحوا و تمكنوا من دخول حصن نابليون و اغلقوا الأبواب عليهم و لكنهم لما سمعوا بما آل إليه امر جيشهم من التسل فروا من الحصن فى القوارب حتى وصلوا نقيوس ^(١) Nikiou ثم استولى المسلمون على ضفاف النهر شمالى

(١) نقيوس قرية بين القسطنطينية و الاسكندرية سيأتى ذكرها

الحصن وجنوبه ونقلوا معسكرهم من عين شمس إلى القسطنطينية
ولما شاع خبر انتصار المسلمين أخلى الجيش الروماني الفيوم
ليلاً وساروا إلى أبوابها ومن هناك فروا إلى كليون بالقوارب من
غير أن يخبروا أهل أبوابها بأنهم دخلوا الفيوم للعدو . ولما علم عمرو
بذلك أرسل جيشاً فعبر النيل واحتل الفيوم وأبوابها
وكانت موقعة عين شمس في شهر يولية سنة ٦٤٠ م واستمرت
حتى فتح الفيوم خمسة عشر يوماً

فتح حصن بابليون

Fortress of Babylon

٢١ ربيع الثاني سنة ٥٢٠ هـ (٩ إبريل سنة ٦٤١ م)

كتب عمرو بن العاص إلى عمر يخبره بالفتح ويطلب منه المدد
والحقيقة أن عمراً لما سار إلى مصر كان يعلم أن جيشه لم يكن
كافياً لفتحها وأنه إذا طلب المدد من الخليفة أمده . وعلى ذلك أمده
بأربعة آلاف وصار بمده حتى بلغ عدد جيشه ١٢,٠٠٠
وكان قائد حامية بابليون رجلاً يسمى الأعيرج وأجمع مؤرخو
العرب أن المقوقس كان بالحصن وقت الحصار ويقدر الأستاذ
بتلر عدد جنود الحامية من ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ مجهزين بكل ما يلزم
من المؤن

بدأ عمرو يحاصر حصن بابليون أو قصر الشمع (١)
Castle of Beacon في سبتمبر سنة ٦٤٠ م وهو أقوى حصن بعد
الاسكندرية بنىه الفرس وقت استيلائهم على مصر وكان أمام
مدينة منف التي كانت مقراً للمقوقس على شاطئ النيل أمام جزيرة
الروضة (٢)

توجد بقايا هذا الحصن في مصر القديمة وهو مبنى بالطوب
والحجر يبلغ سمك جدرانته نحو ثمانية أقدام وقد كشف الباب
العمومي ما كس هرتز باشا حتى ظهر للعيان وهو بالجنوب ويرى
في جنوب الحصن وشرقيه برجان وسطهما ذلك الباب الحديدي
العظيم وليس في الجانب الغربي برج . ويوجد باب للحصن من جهة
النيل . أما ارتفاع الحيطان فيبلغ ٦٠ قدماً حسب ما دل عليه الحفر

(١) ذكر الواقدي أن الذي بنى قصر الشمع اسمه الريان بن ارسلاون
وكان هذا القصر يوقد عليه الشمع في رأس كل شهر وذلك أنه إذا حلت
الشمس في برج من البروج أوقد في تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر
فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت من البرج الذي كانت فيه إلى برج
آخر غيره .

(٢) لخلال الدين السيوطي كتاب سماه كوك الروضة أطال فيه القول على
هذه الجزيرة . ويؤخذ من قول المقرئ أن هذه الجزيرة كانت تحاه قصر
الشمع واليها التجأ المقوقس وماء النيل يحيط بها وسبب استحكامها قربها من
العاصمة وبها من الآثار القديمة مقياس النيل وقد تحصن بها الروم وأقاموا بها
مدة طويلة وبعد ذلك تركوها فحرب عمرو بعض أبراجها وأسوارها وكانت
عاهرة بالمناش والمزارع

وإن كان الحصن كله الآن تحت الردم على عمق ٣٠ قدماً لكن البروج مرتفعة .

لم يكن العرب مجهزين بالمعدات اللازمة لمهاجمة هذا الحصن المنيع فأمدّه عمر بأربعة آلاف رجل وكتب إليه « إنى قد وجهت معك جماعة من فرسان العرب فيهم كل واحد منهم مقوّم بمائة فارس فاذا أتاك كتابى هذا فاخطب الناس وحضهم على القتال ورغبهم فى الصبر وبرز للقتال عند زوال الشمس من يوم الجمعة فإها ساعة إجابة »

وكان على رأس كل ألف من الأربعة آلاف الذين أرسلهم عمر رجل وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقال له عمر « اعلم أنه صار معك اثنا عشر ألفاً ولا تغلب الاثنا عشر ألفاً من قلة »

وهنا نلاحظ اختلاف المؤرخين فبعضهم يقول أن فتح بابلين كان قبل موقعة عين شمس وبعضهم يذكرها بعده . كذلك هم مختلفون فى تاريخ وصول المدد الذى كان فيه الزبير وهل وصل إلى حصن بابلين أو كان أول وصوله إلى عين شمس على انا نرجح أن موقعة عين شمس كانت قبل حصار بابلين وأن المدد الذى أرسله عمر مع الأربعة الذين يقول عنهم إن الرجل منهم مقوم بمائة وصل إلى حصن بابلين

فلما أتى كتاب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص جمع المؤمنين .

وقرأ عليهم كتاب الخليفة فبرزوا للقتال وتسلق الزبير الحصن بواسطة سلم على حين غفلة من الروم فلم يشعروا إلا وقد دهمهم المسلمون فأخذوا في الفرار وعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوا الحصن^(١)

وإن تسلق الزبير وأصحابه حصن بابليون يذكرنا بما فعله (دامس) عند فتح حصن حلب فقد تسلقه هو وجماعة من المسلمين بعد اليأس وطول الحصار وقتلوا الحراس فليراجع في موضعه وقد حدثت مفاوضات للصلح قبل فتح الحصن ولكنها لم تنجح نذكرها فيما يلي

مفاوضات الصلح

أكتوبر سنة ٦٤٠ م

لما حاصر المسلمون حصن بابليون وقتلوهم شهراً وعليهم المقوقس ورأوا الجدد من العرب على فتحه حادث المقوقس جماعة من الرؤساء وتم الاتفاق على الخروج من الحصن فخرجوا والمقوقس معهم وتركوا القائد ويطلق عليه مؤرخو العرب اسم الأعيرج ويقول الأستاذ بتلر وأعله تحريف جورج George ولحقوا بالروضة فارس

(١) قال الأستاذ بتلر : - أما ما كان يعمله قواد الروم طول فصل الشتاء ولماذا سمحوا للمسلمين بالتعب شيئاً فشيئاً على مقاومة حصن بابليون فهذا ما لا يمكن الإجابة عليه

المقوقس إلى عمرو إنكم قوم قد ولجتم في بلادنا والحتم على قناتنا
وطال مقامكم في أرضنا وإنما أتم عصبة يسيرة وقد اظلمكم الروم
وجهزوا إليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد احاط بكم هذا الليل
وإنما انتم اسارى في ايدينا فابعثوا إلينا رجالا منكم نسمع من كلامهم
فلعله أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا
وعكم القتال قبل ان تغشاكم جموع الروم فلا يبعثنا الكلام ولا نقدر
عليه ولعلمكم ان تندموا إن كان الأمر مخالفا لطلبكم ورجاتكم فابعثوا
إلينا رجالا من اصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شىء

فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين
وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس . فقال لأصحابه أترون اهتم يقلون
الرسل ويستحلون ذلك في دينهم ؟ وإنما أراد عمرو بذلك ان يروا
حالة المسلمين فرد عليهم عمرو مع رسله انه ليس بينى وبينكم إلا
إحدى ثلاث خصال إما ان دخلتم في الاسلام وكنتم إخوانا وكان
لكم ما لنا وإن ايتم فاعطيتم الجزية عن بد واتم صاغرون وإما ان
جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين
فلما جاءت رسل المقوقس إليه قال كيف رايتم هؤلاء ؟ قالوا
رأينا قوما الموت احب إلى احدثهم من الحياة والتواضع احب إلى
احدثهم من الرفعة ليس لاحد في الدنيا رغبة ولا نهمه إنما جلوسهم
على التراب وأكلهم على ركبهم واميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم
من وضعهم ولا السيد منهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم

يتخلف عنها منهم أحد . يغسلون اطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ولئن لم نغنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبوا بعد اليوم إذا مكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم . فرد إليهم المقوقس رسله ابعثوا إلينا رسلا منكم نعاملهم وتداعى نحن وهم إلى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم .

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت (١) وكان طوله عشرة أشرار وأمره أن يكون متكلم القوم ولا يجيبهم إلى شيء دعوه إليه إلا إحدى هذه الثلاث خصال فإن أمير المؤمنين قد تقدم إلى في ذلك وأمرني أن لا أقبل شيئاً سوى خصلة من هذه الثلاث خصال . وكان عبادة اسود . فلما ركبوا السفن إلى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده وقال نحوا عنى هذا الأسود وقدموا غيره يكلمنى . فقالوا جميعاً إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وإنما نرجع جميعاً إلى

(١) عبادة بن الصامت الأنصارى الخزرجى شهد العقبة الأولى والثانية وكان نقياً على قوافل بنى عوف بن الخزرج وأخى رسول الله بينه وبين أبي مرثد الغنوى وشهد بدرأ وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على بعض الصدقات وكان يعلم أهل الصفة القرآن ولما فتح المسلمون الشام أرسله عمر بن الخطاب وأرسل معه معاذ بن جبل وأبا الدرداء ليعلموا الناس القرآن ويفقهوهم في الدين وأقام عبادة بحمص وكان طويلاً جسيماً جميلاً

قوله ورأيه وقد أمره الأمير دوننا بما أمره وأمرنا أن لا نخالف رأيه وقوله . قال وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم . قالوا كلا إنه وإن كان أسود كما ترى فانه أفضلنا موضعاً وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً وليس ينكر السواد فينا . فقال المقوقس لعبادة تقدم يا أسود وكلني برفق فاني أهاب سوادك وإن اشتد كلامك على ازددت هيبة . فنقدم عليه عبادة فقال سمعت مقاتلك وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم أشد سواداً مني وأفضح منظراً ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لي وأنا قد وليت وادبر شبابي وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلوني جميعاً وكذلك أصحابي . وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ولا طلب للاستكثار منها إلا أن الله عز وجل قد أحل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً وما يبالي أحدنا إن كان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهماً لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعه لليلة ونهاره وشملة يلتحفها فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله واقتصر على هذا الذي بيده . ويبلغه ما كان في الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء وإنما النعيم والرخاء في الآخرة وبذلك أمرنا الله وأمرنا به نبينا وعهد إلينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته ؛ ويسترعورته

وتكون همته وشغله في رضوانه وجهاد عدوه
فلما سمع المقوقس ذلك منه ، قال لمن حوله . هل سمعتم مثل
كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هبت منظره وإن كلامه لاهيب عندي
من منظره . إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض . ما اظن
ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها ثم اقبل المقوقس على عبادة بن
الصامت فقال له : أيها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وما ذكرت
عنك وعن أصحابك ولعمري ما بلغت ما بلغت إلا بما ذكرت وما
ظهرتم على ماظهرتم عليه إلا لجهنم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه إلينا
لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده . قوم معروفون بالنجدة
والشدة ما يبالي احدكم من لقي ولا من وإنا لنعلم أنكم لم تقدروا
عليهم ولم تطيقوهم لضعفكم ولقلتكم وقد أقمتم بين أظهرنا أشهراً وأتم
في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم
وقلة ما بين أيديكم ونحب تطيب انفسنا أن نصالحكم على ان نفرض
لكل رجل منكم دينارين دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتم
ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا
قوام لكم به . فقال عبادة بن الصامت : « يا هذا لا تغرن نفسك
ولا أصحابك . أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا
لا نقوى عليهم فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا
عما نحن فيه وان كان ما قلتم حقاً فذلك والله أرغب ما يكون في
قتالهم وأشد لحرصنا عليهم لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه

ان قتلنا عن اخرنا كان امكن لنا في رضوانه وجنته وما شئ أقر
لأعيننا ولأحب لنا من ذلك . وانا منكم حيثذلعلى احدى الحسينين
إما ان تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة
ان ظفرتم بنا ولانها احب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله
عز وجل قال لما في كتابه (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين) وما منا رجل الا وهو يدعو ربه صباحاً ومساء
ان يرزقه الشهادة وان لا يرده الى بلده ولا الى ارضه ولا الى اهله
وولده وليس لأحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه
اهله وولده وانما همنا ما امامنا . واما قولك انا في ضيق وشدة من
معاشنا وحالنا ، فنحن في اوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا
منها لأنفسنا اكثر مما نحن عليه فانظر الذى تريد فبينه لنا فليس بيننا
وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث فاختر
أيتها شئت ولا تطمع نفسك فى الباطل . بذلك أمرنى الأمير وبها
أمره امير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل
اليانا . أما ان اجبتم الى الاسلام الذى هو الدين القيم الذى لا يقبل
الله غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته امرنا الله تعالى ان نقاتل
من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه . فان فعل كان له ما لنا وعليه
ما علينا وكان أخانا فى دين الله . فان قبلت ذلك انت واصحابك فقد
سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل اذا لم ولا

التعرض لكم وإن أيتّم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد واتم
صاغرون وإن تعاملكم على شيء نرضى به ونحن واتم في كل عام ابداً
ما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناوأم وعرض لكم في شيء من
أرضكم ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم إذا كنتم في ذمتنا
وكان لكم به عهداً علينا . وإن أيتّم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة
بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب منكم ما نريد . هذا ديننا
الذي تدين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظروا
لأنفسكم »

فقال المقوقس : هذا ما لا يكون ابداً . ما تريدون إلا ان
تتخذونا عبيداً ما كانت الدنيا . فقال له عبادة : هو ذاك فاختر لنفسك
ما شئت . فقال المقوقس : الا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الثلاث
خصال ؟ فرفع عبادة يديه إلى السماء . فقال لا ورب هذه السماء
ورب هذه الأرض . ورب كل شيء مالكم عندنا خصلة غيرها
فاختاروا لأنفسكم

فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه فقال : قد فرغ القوم . فما
ترون ؟ فقالوا : أويرضى أحد بهذا الذل . أما ما أرادوا من دخولنا في
ديهم فهذا لا يكون ابداً ان ترك دين المسيح ابن مريم وندخل في
دين غيره لا نعرفه . واما ما أرادوا أن يسبونا ويجعلونا عبيداً فالموت
أيسر من ذلك لو رضوا منا ان نضعف لهم ما اعطيناهم مراراً كان
أهون علينا

فقال المقوقس لعبادة : قد أبى القوم فما ترى ؟ فراجع صاحبك على ان نعطيكم في مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون . فقال عبادة وأصحابه : لا . فقال المقوقس عند ذلك لأصحابه — أطيعوني وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم كارهين . فقالوا وأي خصلة نجيبهم إليها ؟ قال إذن أخبركم . أما دخولكم في غير دينكم فلا أمر به . وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولا بد من الثالثة . قالوا فنكون لهم عبيداً ابداً . قال نعم . ~~تكونون~~ عبيداً مسلطين في بلادكم آمنين على انفسكم واموالكم وذراريكم خير لكم من ان تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيداً تباعوا وتمزقوا في البلاد مستعبدين ابداً أتم واهليكم وذراريكم قالوا فالموت اهون علينا (١)

لما يش المقوقس ومن فر معه إلى الروضة من الاتفاق على الصلح ورفض جنود الروم التسليم رفضاً باتاً ، أمروا بقطع الجسر الذى بين الروضة والحصن وكان من سفن متلاصقة بجانب بعضها واستمر المسلمون يحاصرون الحصن سبعة أشهر حتى فتحوه ويقال ان الذين قتلوا من المسلمين دفنوا فى أصل الحصن ثم اضطرت المقوقس والروم ان يمضوا شروط الصلح التى بقيت على ما هى عليه ولم يغيرها

(١) راجع المقرئى ، باب حصار المسلمين للقصر وهذه هى الرواية التى

اعتمدها الاستاذ بئر ونقلها فى كتابه

عمرو بن العاص ورضوا بالجزية ثم رحل المقوقس إلى الاسكندرية تاركاً بابايون وارسل إلى الامبراطور بما تم أسفاً على اضطراره إلى عقد الصلح مع العرب والتمس منه الموافقة على الصلح حتى تخلص البلاد من شرور الحرب فارسل اليه هرقل يوبخه على ما كان منه وقال في كتابه (إنما اتاك من العرب اثنا عشر ألفاً وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم وبالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة والعرب حالهم وضعفهم على ما قد رايت فعجزت عن قتالهم ورضيت أن تكون ومن معك من الروم في حال القبط أن لا تقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت او تغفر عليهم النخ)

فلما ورد كتاب الامبراطور إلى المقوقس لم يرض أن يخرج مما دخل فيه من الصلح وقال لعمر و إنما سلطاني على نفسي ومن أطاعني وقد تم الصلح فيما بيننا وانا متم لك على نفسي والقبط متمون لك على الصلح الذي صالحتهم عليه ثم طلب من عمرو بعض امور منها أنه إن مات يأمر بدفنه في كنيسة أبي خنث بالاسكندرية فأجابهم عمرو إلى ما طلب

رأى الاستاذ واشنجتون أيرفنج

في فتح حصن بابليون

وماقشته

يرى الأستاذ أيرفنج ان القصد من إطالة مدة الحصار كان إجاعة المحصورين في الحصن لملهم على التسليم . وقال ان المدد الذي أرسل إلى عمرو بن العاص لم يكن مع ذلك كافياً للاستيلاء على الحصن لولا خيانة المقوقس وهو رجل مصرى الأصل او قبطنى المولد ، ذو مقام رفيع وعريق في النفاق وكان من اليعاقبة كأغلب أقباط مصر ينكران للمسيح طبيعتين وقد استر وراء مذهبه ومع هذا خدع الامبراطور هرقل وتظاهر بالولاء له ليكون رئيساً على قومه وحاكماً على المدينة . وكانت غالبية سكان منفيس أقباطاً من اليعاقبة المسيحيين يكرهون مواطنيهم الروم الذين كانوا كاثوليكى المذهب تابعين لكنيسة القسطنطينية . وقد جمع المقوقس مدة حكمه مبالغ طائلة أودعها الحصن . ولما رأى أفول نجم الامبراطور في مقاطعته فكر في هذه الفرصة في الاحتفاظ بأمواله فكاتب قائد المسلمين سرّاً واتفق معه على تسليم الحصن على شرط ان يأخذ أمواله مسكافأة له وفي موعد معين نقل أكثر الحامية من الحصن إلى جزيرة في النيل فافتحم عمرو الحصن في الحال بالمدد الجديد الذى وصل إليه . فبوغت الأقباط إذ قد تركوا بلا معين وفر الروم إلى السفن ومنها

إلى البر لما رأوا خفوق علم المسلمين على الحصن بعد أن أدركوا
الخيانة وكان المقوقس سلم الأرض وصالح المسلمين الخ

هذا هو رأى الأستاذ أيرفينج فى فتح حصن بابلون وهو يحتاج
إلى مناقشة ونظر . فالمسلمون لم يطيلوا مدة الحصار بقصد إجاعة أهل
الحصن فقط وإن كان قد ترتب على طول المدة انقطاع وصول
المؤن للحصن بسبب الحصار ولكن السبب الأهم هو أن الحصن
كان منيعاً ومحاطاً بالخنادق ومياه النيل ولا سيما زمن الفيضان وقد
كان أمنع حصن بعد الاسكندرية . أضف إلى ذلك قلة عدد المسلمين
وعدتهم .

أما المقوقس فإنه لم يسلم بسهولة بل سلم بعد أن قطع الرجاء
ولم يرد أى مدد خارجى من الجيش الرومانى لانقاذه من الحصار .
وأخيراً اضطر إلى التسليم بشروط ملائمة وتمكن من نقل أكثر
الحامية وأمواله . ثم إن المقوقس إذا كان قد أظهر ميلاً إلى المسلمين
فالسبب فى ذلك يرجع إلى أن الروم أثقلوا كواهل الشعب
بالضرائب المتعددة واضطهدوا الأقباط اضطهاداً دينياً حتى إن
بنيامين بطريق اليعاقبة فر منهم إلى الصعيد واختفى فى أحد الأديرة
ونصح لقومه باقتفاء أثره

ولا بد أن المقوقس وهو الذى بعث بالهدايا إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان يعلم بتسامح العرب وعدلهم وحسن معاملتهم للذميين ومنحهم حرية الأديان للبلاد التي فتحوها بالشام . واقرب دليل على ذلك ان عمرو بن العاص لما أسر ابنة المقوقس بيليس ارسلها معززة مكرمة الى أبيها فكان لذلك وقع حسن في نفسه

وهناك مسألة جديرة بالنظر وهي ان المدد الى المسلمين وصل مرة بعد أخرى الى ان بلغ عددهم ١٢,٠٠٠ قطع هذه المسافة الشاسعة من الشام الى عاصمة مصر من غير أن يقاتلهم او يصددهم أو يناوشهم جيش روماني في الطريق وهذا يدل من غير شك على اهمال القيادة الرومانية وعدم توحيد كلمتها لأن المدد الذي كان يرسله عمر كان يصل سالماً وكان من السهل إعاقتهم في الطريق ولو كان جيش عمرو بن العاص عظيماً لقلنا إنهم خلفوا وراءهم جيشاً لتأمين الطريق . هذا ما فكرت فيه طويلاً ومن حسن الحظ ان الأستاذ رفیق بك العظم في كتابه اشهر مشاهير الاسلام يلاحظ ذلك ايضا فقد قال :

« والذي يظهر للتأمل في اخبار فتح بابلون أن نظام الدفاع في البلاد المصرية كان مختلفاً جداً اذ ان عمرو بن العاص كان قليل الجند ولا يسعه ترك حامية من جنده في البلاد التي افتتحها في دخوله الى مصر لتحفظ خط الاتصال بينه وبين جيوش المسلمين بالشام فهو بالضرورة جاء بكل جيشه الى بابلون وأصبح في قلب البلاد ؛ فلو كان ثمة نظام حسن للدفاع عند الروم كما كان ذلك في

سورية لانكفأوا عليه من أطراف البلاد وحاصروه في مستقره
حصاراً إلا مناص له بعده من الموت أو التسليم ولعل السلطة العامة
لم تكن يومئذ متوفرة للمقوقس وكان عمال الأطراف كل واحد
منهم مستبدأ على الآخر يعد اسباب الحيلة لنفسه دون غيره »

عمرو بن العاص

يصف مصر لأمير المؤمنين

لما تم الصلح أرسل عمرو بن العاص الى عمر يعلمه بالفتح
فأجابه داعياً له وسأله أن يصف له مصر فكتب اليه :

ورد الى كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يسألني عن مصر
اعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قرية غراء . وشجرة خضراء . طولها
شهر وعرضها عشر . يكتنفها جبل اغبر . ورمل اغفر . يخط
وسطها نهر مبارك الغدوات ، ميمون الروحات . تجري فيه الزيادة
والنقصان كجرى الشمس والقمر . له أوران يدر حلابه ويكثر عجاجه
وتعظم أمواجه فتفيض على الجانبيين فلا يمكن التخلص من القرى
بعضها الى بعض الا في صغار المراكب . وخفاف القوارب وزوارق
كأنهن المخائل أو ورق الأصائل . فاذا تكامل في زيادته نكص
على عقبه ، كأول ما بدأ في جريته . وطمى في درته . فعند ذلك
تخرج ملة محقورة : وذمة محقورة . يحرثون بطون الأرض
ويبذرون بها الحب . يرجون بذلك النماء من الرب . لقيهم ما سعوا

من كدهم فناله عنهم بغير جدهم فاذا أحدق الزرع وأشرق سقاه
الندى وغذاه من تحت الثرى . فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة
بيضاء إذ هي عنبرة سوداء . فاذا هي زمردة خضراء . فاذا هي ديباجة
زرقاء فبإذن الله الخالق لما يشاء . والذي يصلح هذه البلاد ويقر
قاطنها فيها أن لا يقبل قول خسيسها في رئيسها ولا يستأدى خراج
ثمرتها إلا في أوانها وأن يصرف ثلث ارتفاعها في عمل جسورها
وترعها فاذا نقرر الحال مع العمال على هذه الأحوال تضاعف ارتفاع
المال والله الموفق إلى حسن المال

شروط الصلح

قال الطبري : « لما نزل عمرو على القوم بعين شمس وكان
الملك بين القبط والنوب ونزل معه الزبير عليها قال أهل مصر
لملكهم ما تريد إلى قوم فلوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم
صالح القوم واعتقد منهم ولا تعرض لهم ولا تعرضنا لهم وذلك
في اليوم الرابع فابى وناهدوهم فقاتلوهم وارتقى الزبير سورها فلما
أحسوه فتحوا الباب لعمرو وخرجوا إليه مصالحين فقبل منهم ونزل
الزبير عليهم عنوة حتى خرج على عمرو من الباب معهم واعتقدوا
بعد ما أشرفوا على الهلكة فأجروا ما أخذوا عنوة فجرى ما صالح
عليه فصاروا ذمة »

أورد الطبري هذه المقدمة قبل إيراد شروط الصلح رواية عن

سيف وإنا قبل أن نذكر الشروط نلاحظ أن هذه المقدمة مضطربة
فإن عين شمس لم يكن بها حصن ولم يرتق الزبير سورها إنما تسلق
الزبير حصن بابليون كما تقدم . وهذا نص العقد :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على
أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم لا
يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقض ولا يساكنهم النوب وعلى
أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت
زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما جنى لصوتهم فإن أبي أحد
منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم وذمتنا بمن أبي بريئة وإن
نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل في
صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم . ومن
أبي واختار الذهب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا
عليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا
الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين
وذم المؤمنين وعلى النوبة الذين استجابوا إنه يعينوا بكذا وكذا
رأساً وكذا وكذا فرساً على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة
ولا واردة . شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان
وحضر (١) »

(١) قال الاستاذ نلر أن هذا العقد الذي أورده الطبري هو عهد صلح الاسكندرية

وهذا العقد مقتضب فقد فرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران ديناران عن كل نفس شريفهم ووضيعهم من بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء شيء وعلى ان للمسلمين عليهم النزل بجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم وان لهم أرضهم وأموالهم لا يتعرض لهم في شيء منها فشرط ذلك كله على القبط خاصة . وأحصوا عدد القبط يومئذ من بلغ منهم الجزية وفرض عليهم الديناران . رفع ذلك عرفاؤهم بالايمان المؤكدة فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها ستة آلاف ألف نفس (يعنى ستة ملايين) فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار (١٢,٠٠٠,٠٠٠) وهذا بناء على ما جاء بالمقريزى وعلى ذلك يكون عدد سكان أهل مصر بحسب هذا التقدير أربعة وعشرين مليوناً وهو عدد مبالغ فيه كثيراً

المسير إلى الاسكندرية

وقتها

فرغ المسلمون من حصار بابليون في ٩ إبريل سنة ٦٤١ م بعد أن استمر سبعة أشهر

وقد اختلف المؤرخون هل افتتحت مصر عنوة أو صلحاً ، أما

من جهة فتح بابليون فان هناك أساساً صحيحاً لاختلاف الآراء كما قال الأستاذ بتلر لأننا إذا ذهبنا إلى أن بابليون فتح عنوة فذلك لأن الزبير بن العوام هاجم الحصن وبذلك وضع حداً لمقاومة الرومان والقائلون بالفتح صلحاً يرون استعمال القوة بالمعنى الصحيح لم يكن سبباً في الصلح

قال اللين عن يزيد بن أبي حبيب . مصر كلها صلح إلا الاسكندرية فانها فتحت عنوة . وقال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة ان مصر فتحت عنوة . وقال ابن شهاب كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميعها ذمة وحملهم على ذلك فمضى ذلك فيهم الى اليوم

هذا ومع أن معاهدة الصلح كانت محلية فقد شعر بنتائجها جميع الأمبراطورية الرومانية . وأن عمرو بنغلبه على الفرما وبلبيس وعين شمس استولى على شرق الدلتا وافتتح بابليون استولى على قمة الدلتا وقبض على جميع وادى النيل من الوسط وبذلك آتم فتح نصف مصر .

أمر عمرو بعد فتح بابليون باعادة الجسر الذى كان مصنوعاً من سفن متلاصقة من الروضة إلى بابليون بعد أن قطعه الروم ورمم جدران الحصن ووضع فيه حامية تحت قيادة حارثة بن حذيفة

(فسطاط عمرو)

كان عمرو بن العاص نصب فسطاطه في موضع الدار المعروفة
باسرائيل على باب زقاق الزهرى ، فبعد ان فتح الحصن أجمع على
المسير الى الاسكندرية وأمر بفسطاطه ان يقوَّض فاذا بيامة
قد باضت في أعلاه فقال لقد تحرمت بجوارنا . أقروا الفسطاط حتى
تنقف وتطير فراخها . فأقر فسطاطه ووكل به من يحفظه أن لا
تهاج وقد ذكر حكاية اليامة باقوت في معجمه ونقلها الأستاذ بتر
وعلق عليها قائلاً : (نقلت هذه القصة من ياقوت وهى تناسب تماما
الوقت الذى غادر فيه عمرو بابليون وهو آخر شهر ابريل ولذا فان
لها نصيباً من الصحة)

ولا شك أن عمرو قصد من زحفه على الاسكندرية أن يسير
الى نقيوس^(١) وهى مدينة كان لها أهمية عظيمة لمناعتها من الوجة
الحرية وهى على فرع رشيد ولها شهرة تاريخية قديمة فى زمن
الفراعنة وقد أراد عمرو بالمسير من جهة الفرع الغربى للنيل أو
الصحراء أن لا يكون فى طريق فرسانه اى عائق يمنعهم عن التقدم
أو الارتداد لأن الفرع الشرقى متشعب بالترع فى الدلتا
وقد أسند القائد الرومانى (تيودور) قيادة القوة التى كانت

(١) قامت على أطلال هذه المدينة قرششير الواقعة إلى الشمال والغرب

بنقيوس إلى دومنتيانوس Domentianus^(١) الذي كان لديه اسطول كبير من القوارب، أعدها للدفاع عن البلد. فلما اقترب المسلمون فر هذا القائد بقارب إلى الاسكندرية من شدة الخوف (وكان على ما يقال ضعيفا جباناً) فلما رأت الحامية خيانة القائد ألقى الجند السلاح واندفعوا إلى القناة بحالة فزع شديد لعبورها والوصول إلى القوارب وكان كل جندي في ذلك الوقت لا يفكر الا في النجاة بنفسه والهرب إلى بلده. وفي هذه الأثناء وافاهم العرب وأعملوا فيهم السيف وقتلوه عن آخرهم ودخل المسلمون البلد بلا مقاومة وكان ذلك في ١٣ مايو سنة ٦٤١

لم يذكر مؤرخو العرب هذه الموقعة وإنما ذكرها يوحنا اسقف نقيوس وعنى بذكرها بتلر في كتابه

مكث عمرو بعض أيام في نقيوس وقبل أن يسير إلى الاسكندرية أرسل قوة في أثر العدو بقيادة شريك بن سمي ثم سار عمرو حتى وصل الدلنجات ومن ثم سار نحو الشمال في اتجاه دمنهور فالتقى بالروم في سُلطيس على ستة أميال جنوبي دمنهور فاقتلوا قتالا شديدا انهزم فيه الروم واستولى عمرو على دمنهور بلا عناء ثم التقوا بأكريون^(٢) فاقتلوا بها بضعة عشر يوماً وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو فأصاب عبد الله

(١) راجع فتح مصر للاستاذ بتلر طبع سنة ١٩٠٢ ص ٢٨٣ - ٢٨٤

(٢) موضع قرب الاسكندرية

ابن عمرو جراحات كثيرة . وكانت كريون آخر سلسلة الحصون بين بابلين والاسكندرية ومشهورة بتجارة القمح ومع أن الروم قد حصنها لكنها كانت أقل شأنا ومناعة من بابلين وتقيوس كانت وقعة الكريون من أصعب مالتى المسلمون من الحروب لأن الجيش الرومانى كان قد وصل إليه المدد من القسطنطينية وتولى القيادة تيودور بنفسه وصلى عمرو بالمسلمين صلاة الخوف ثم ظفر المسلمون بالفتح واستولوا على البلد والحصن وطاردوا الروم بعد أن قتل من الطرفين عدد كبير

بعد أن تم الاستيلاء على كريون صار الطريق إلى الاسكندرية سهلا فاستراح عمرو وأراح جيشه قليلا مما عاناه من القتال الشديد ثم سار إلى الاسكندرية وتقدم إليها من الجنوب الشرقى وكانت حاميتها لا تقل عن ٥٠,٠٠٠ مقاتل وأسوارها منيعة وبالبحر أسطول رومانى ولم يكن للعرب سفينة واحدة

أما عدد جيش المسلمين فلم يتجاوز ١٢,٠٠٠ وليس لديهم من معدات القتال ما يستطيعون به هدم أسوار المدينة وحصونها . وأما الأقباط فقد كانوا يعاونون المسلمين فى جاب المؤن لكنهم لم ينضموا إليهم لمحاربة الروم بالسلاح . استأسدت العرب وألحت بالقتال على أهل الاسكندرية فقاتلوهم قتالا شديدا وخرج طرف من الروم من باب حصن الاسكندرية فحملوا على الناس فقتلوا رجلا من مهرة واحتزوا راسه ومضوا به فجعل المهيرون يتغضبون وقالوا لاندفته

الا براسه فقال عمرو . تتغضبون كأنكم تتغضبون على من يبالي
بغضبكم . احموا على القوم إذا خرجوا فاقتلوا منهم رجلا ثم ارموا
برأسه يرمونكم برأس صاحبكم . فخرجت الروم إليهم فاقتلوا فقتل
من الروم رجل من بطارقهم فاحتزوا رأسه ورموا به الروم
فرمت الروم برأس المهري إليهم فقال دونكم الآن فادفنوا صاحبكم
ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الاسكندرية فقاتلهم العرب
في الحصن ثم جاشت الروم حتى أخرجوهم جميعا من الحصن الا اربعة
نفر تفرقوا في الحصن واغلقوا عليهم باب الحصن ، أحدهم عمرو بن
العاص والآخر مسلمة بن مخلد وحالوا بينهم وبين اصحابهم ولا يدري
الروم من هم فلما رأى ذلك عمرو بن العاص واصحابه التجأوا إلى
ديماس من حماماتهم فدخلوا فيه فاحتزوا به فأمروا روميا ان
يكلمهم بالعربية فقال لهم انكم قد صرتم في ايدينا اسارى فاستأسروا
ولا تقتلوا أنفسكم فامتنعوا عليه ثم قال لهم ان في ايدي اصحابكم
منا رجالا اسروهم ونحن نعطيكم العهود نقادى بكم اصحابا ولا
نقتلكم فأبوا عليه . فلما رأى ذلك الروم منهم ، قال لهم : هل لكم
إلى خصلة وهي نصف فان غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا
وامكنتمونا من أنفسكم وان غلب صاحبكم صاحبنا خيلنا سييلكم
إلى اصحابكم فرضوا بذلك وتعاهدوا عليه وعمرو ومسلمة وصاحبهما
في الحصن في الديماس فنداعوا إلى البراز فبرز رجل من الروم وقد
وثقت الروم بنجدته وشدته وقالوا يبرز رجل منكم لصاحبنا فأراد

عمرو ان يبرز فمنعه مسلمة وقال ما هذا تخطى مرتين تشد من اصحابك
وانت أمير وانما قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحوك لا يدرون ما
امرك ولا ترضى حتى تبارز وتعرض للقتل فان قتلت كان ذلك بلاء
على اصحابك . مكانك وانا اكفيك ان شاء الله . فقال عمرو دونك فر بما
فرجها الله بك فبرز مسلمة للرومي فتجاولا ساعة ثم اعانه الله عليه
فقتله ، فكر مسلمة واصحابه ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ،
ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ولا يدري الروم ان أمير القوم
فيهم حتى بلغهم بعد ذلك فأسفوا على ذلك

هذا ما رواه ابن عبد الحكم وهي اشبه بالقصص منها بالتاريخ
وكان فتح الاسكندرية في محرم سنة ٢١ هـ

* * *

بينما كانت الحوادث تسير على هذا المنوال في مصر نعى هرقل
في أواخر حصار بابليون^(١) وقد كان يريد الخروج إلى الاسكندرية
حتى يباشر قتالها بنفسه غير ان المنية عاجله ، وكان يقول لئن ظهرت
العرب على الاسكندرية ففي ذلك انقطاع الروم وهلاكهم لانه ليس
للروم كنائس أعظم من كنائس الاسكندرية

كانت وفاة الامبراطور يوم السبت ١١ فبراير سنة ٦٤١ بعد
أن حكم ٣١ سنة وكان عمره عند وفاته ٦٦ عاما ، وذلك قبل

(١) قال جيون ان هرقل مات بمرض الاستسقاء

فتح حصن بابليون بشهرين وقد أوصى ابنه قسطنطين ان يعامل جميع المسجونين والمنفيين بالرفق وان يعيد المنفيين إلى بلادهم . فقام قسطنطين بعد موت ابيه بتنفيذ وصيته وأرسل اسطولا كبيرا لإعادة المقوقس . أما المكان الذي نفي اليه المقوقس والمدة التي قضاها في النفي فغير معروفة . ثم استدعى الامبراطور الجديد القائد تيودور من مصر ليستشيريه وبقى اناستاسيوس قائداً على الاسكندرية وعلى البلاد التي لم يستول عليها المسلمون بعد وصدرت الأوامر إلى الجيوش بالتأهب للسفر غير ان قسطنطين أصيب منذ تولية العرش بمرض شديد فمات في شهر مايو سنة ٦٤١ بعد ان حكم (١٠٣) أيام وتولى بعده ابنه كونستانس الثاني Constans II وكان المقوقس قد سافر إلى مصر ويقال ان الامبراطور فوض اليه ان يعقد الصلح مع العرب ويضع حداً لكل مقاومة في البلاد ويتولى ادارة مصر ادارة حسنة لأن المقوقس كان لا يزال يأمل في إعادة السيادة الامبراطورية إلى مصر^(١) والسبب في تفويضه عقد الصلح راجع إلى ان مارتينا Martina الزوجة الثانية لهرقل كانت من أنصار الصلح فنال المقوقس عطفها ورضاهما

لم يعد المقوقس إلى مصر مجرداً من القوة بل عاد ومعه قوة حربية يعتمد عليها في حالة ما إذا رفض العرب شروط الصلح وأرسل معه قائد جديد من الرديف اسمه قسطنطين

(١) راجع بتر ص ٣٠٥

أما الحالة في مصر فكانت في غاية الاضطراب إذ اندلعت فيها نيران الفتن ونشبت الحروب الداخلية لا بين الاقباط والروم بل بين جنود الامبراطورية فانهم انقسموا أحزاباً وتقاتلوا وانشغلوا عن محاربة المسلمين. وفي ١٤ سبتمبر سنة ٦٤١ وصل المقوقس والقائد تيودور إلى الاسكندرية

ولما علم أهالي الاسكندرية بعودة المقوقس ابتهجوا وحمدوا الله على وصول البطرق سالما واحتشد الرجال والنساء والاطفال لتحيته وتقديمه واجب الاحترام له وازدحمت شوارع الاسكندرية على سعتها وقد عانى المقوقس مشقة عظيمة حتى وصل إلى الكنيسة

وفي أواخر شهر اكتوبر ابان فيضان النيل سافر المقوقس إلى بابلون واجتمع بعمر وبن العاص وتفاوضوا في شأن الصلح عدة أيام وبعد ان اتفقا على شروط عقد الصلح ووقعا عليه في ٨ نوفمبر سنة ٦٤١ وهو يقضى بتسليم الاسكندرية وذلك بعد حصار دام أربعة عشر شهراً

ثم أراد عمرو ان تكون الاسكندرية مقرراً للملكة فلم يرض الخليفة بذلك فعاد إلى الصعيد واشتغل بحرب النوبة فأخضع أهلها بعد أن حاربهم طويلاً. واحتلت قوة من العرب الجيزة وأنشأ عمرو فسطاطه بالقرب من منف واخذت تتسع سريعاً وصارت عاصمة مصر وهناك بنى عمرو جامعاً العظيم الذي سمي باسمه

ولما كتب عمرو إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في سكنى الاسكندرية

كتب اليه عمر لا تنزل بالمسلمين منزلاً يحول بيني وبينهم فيه نهر ولا بحر . فقال عمرو لاصحابه : أين تنزل ؟ فقالوا نرجع أيها الأمير إلى فسطاطك فرجعوا وجعلوا يقولون نزلت عن يمين الفسطاط وشماله فسميت البقعة الفسطاط لذلك (١)

ولما فتحت مصر التمس أكثر المسلمين الذين شهدوا الفتح ان تقسم بينهم فقال عمرو لا أقدر على قسمتها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين فكتب اليه عمر لا تقسمها وذرهم يكون خراجهم فيثا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم . فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج دينارين على كل رجل لا يزداد على أحد منهم في جزية رأسه أكثر من دينارين الا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا أهل الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الجزية والخراج على قدر ما يرى من وليهم لأن الاسكندرية فتحت عنوة

إرسال معاوية بن خديج

إلى عمر بن الخطاب بفتح الاسكندرية

ارسل عمرو بن العاص معاوية بن خديج وافداً إلى عمر بن الخطاب بشيراً بالفتح . فقال له معاوية : ألا تكتب معي ؟ فقال له

(١) كلمة الفسطاط اصلها لاتيني Fossatum

عمرو وما أصنع بالكتاب؟ ألسنت رجلا عربيا تبلغ الرسالة وما رأيت وحضرت؟

فلما قدم على عمر أخبره بفتح الاسكندرية فخر عمر ساجداً وقال الحمد لله

وقال معاوية بن خديج: بعثني عمرو بن العاص إلى عمر رضي الله عنه بفتح الاسكندرية فقدمت المدينة في الظهرية فأنتخت راحلتى بباب المسجد ثم دخلت المسجد فبينما أنا قاعد فيه اذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرأتني شاحباً على ثياب السفر فأتتني وقالت من أنت؟ فقلت أنا معاوية بن خديج رسول عمرو بن العاص. فانصرفت عني. ثم أقبلت تشد اسمع حفيف إزارها على ساقها حتى دنت مني. ثم قالت. قم فأجب امير المؤمنين يدعوك فتبعتها. فلما دخلت فاذا بعمر يتناول رداءه باحدى يديه ويشد إزاره بالأخرى. فقال ما عندك؟ فقلت خير يا امير المؤمنين فتح الله الاسكندرية. فخرج معي إلى المسجد. فقال للمؤذن اذن في الناس الصلاة جامعة. فاجتمع الناس. ثم قال لي قم فأخبر اصحابك فقمت فاخبرتهم ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس فقال يا جارية هل من طعام؟ فأنت بخبز وزيت. فقال كل فاكلت حياء. ثم قال المسافر يحب الطعام فلو كنت آكل لا أكلت معك فأصبت على حياء. ثم قال يا جارية هل من تمر؟ فأنت بتمر في طبق. فقال كل فأكلت على حياء. ثم قال ماذا قلت يا معاوية حين أتيت

المسجد ، قال قلت أمير المؤمنين قائل (١) . قال بئس ما قلت أو بئس ما ظننت لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي فكيف بالنوم مع هذين يامعاوية ! (٢)

هذه كانت حال عمر في تقشفه ويقظته وسهره على الرعية وقد بقي كذلك مدة خلافته مع انه كان قد قهر الفرس والروم وملك مصر ولم يرولنا معاوية بن خديج أن عمر حدثه بأكثر من ذلك أو سأله عن حال عمرو بن العاص وجيشه ومجرى الحوادث في مصر بل اكتفى منه بما سمعه عن فتح الاسكندرية

ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك إلى عمر بن الخطاب :

« أما بعد فاني فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير اني أصبت فيها أربعة آلاف حمام واربعين ألف يهودى عليهم الجزية واربعمائة ملهى للموك »

فتح دمياط

كان بدمياط رجل من أخوال المقوقس يقال له الهاموك فامتنع بها واستعد لمحاربة المسلمين . فأرسل إليه عمرو بن العاص المقداد بن الاسود في طائفة من المسلمين فخار بهم الهاموك وقتل ابنه في الحرب

(١) قال يقييل قيبلا وقيلولة نام نصف النهار فهو قائل

(٢) خطط المقرئى

فاستشار أصحابه في أمره . فأشار إليه حكيم قد حضر الشورى ان يعقد مع المسلمين صلحا فغضب منه الهاموك ويقال إنه قتله وكان له ابن عاقل يسمى شطا وله دار ملاصقة للسور فخرج ليلا ودل المسلمين على عورات البلد فاستولى المسلمون عليها وتمكنوا منها وبرز الهاموك للحرب فلم يشعر بالمسلمين الا وهم يكبرون على سور البلد . فعندما رأى شطا بن الهاموك المسلمين فوق السور لحق بهم ومعه عدة من أصحابه فقتل ذلك في عضد أبيه واستأمن للمقداد فتسلم المسلمون دمياط واستخلف المقداد عليها وسير بخبر الفتح إلى عمرو بن العاص وخرج شطا وقد أسلم إلى البرلس والدميرة وأشمووم طناح فحشد أهل تلك النواحي وقدم بهم مدداً للمسلمين وسار بهم بفتح تنيس وقاتل أهلها قتالا شديداً حتى قتل رحمه الله في المعركة شهيداً . فحمل من المعركة ودفن في مكانه المعروف به خارج دمياط .

عروس النيل

قال ابن عبد الحكم : لما استقر عمرو بن العاص بمصر جاء إليه القبط وقالوا له أيها الأمير إن لنيلنا سنة كل سنة لا يجرى إلا بها . فقال لهم وما هي ؟ فقالوا إذا كان ليلة اثنى عشرة من شهر بؤنة من الشهور القبطية عمدنا إلى جارية بكر وأخذناها من ابويها غصباً او رضا وجعلنا عليها الحل والحلال ثم نلقياها في بحر النيل في مكان معلوم .

فلما سمع عمرو بن العاص ذلك ، قال لهم هذا الامر لا يكون في الاسلام ابداً . فأقام اهل مصر شهر بؤنة وايبب ومسرى وتوت من الشهور القبطية ولم يجر فيها النيل لا قليلا ولا كثيراً . فهم أهل مصر بالجللاء . فلما أن رأى عمرو بن العاص ذلك كتب كتابا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وارسله على يد نجاب فلما وصل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كتب بطاقة وارسلها إلى عمرو بن العاص وأمره ان يلقيها في بحر النيل . فلما وصلت إلى عمرو بن العاص فتح تلك البطاقة وقرأ ما فيها وإذا مكتوب فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر بن الخطاب الى نيل مصر المبارك . اما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجروا ان كان الله تعالى الواحد القهار يجريك فنسأل الله تعالى ان يجريك » فلما وقف عمرو على ما في البطاقة القاها في النيل كما أمره أمير المؤمنين عمر . وقد القاها في النيل قبل عيد الصليب يوم وكان قد اجلى غالب اهل مصر من عدم جريان الماء . فلما اصبح الناس يوم عيد الصليب راوا النيل زاد في تلك الليلة ستة عشر ذراعا في دفعة واحدة وقد قطع الله تلك السنة السيئة عن اهل مصر ببركة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

نقل هذه الرواية بن اياس في كتابه تاريخ مصر بلا تعليق ونقلها ايضا المقرئ في خطه وأضاف اليها ما يأتي :

(وذكر بعضهم ان جاحلاً الصدفي هو الذي جاء ببطاقة عمر

رضى الله عنه إلى النيل حين توقف فجرى باذن الله تعالى) وبمراجعة
اسد الغابة وجدت جاحل الصدق مذكورا فيه وذكره ابن منده في
جملة الصحابة لكن ابا نعيم ينكر صحبته
وكتب على مبارك باشا في خطه :

« ثم أن المؤرخين قد ذكروا أنه كان للمصريين عوائد كثيرة
يجرونها عند وفاة النيل فمن ضمنها تغريق بنت بكر من اجمل البنات
بعد أن يجمالوها بأحسن الملابس وأفخر الحلى ويعملوا لذلك فرحاً
وبقيت هذه العادة جارية الى زمن قسطنطين على ما يقال فأمر هذا
القيصر بابطالها وأصدر أوامره بذلك لأجل ان لا تعاد ومع ذلك
يظهر ان هذه العادة غلبت على أوامر هذا القيصر لأن المنقول عن
مؤرخي العرب أن هذه العادة كانت جارية عند دخول المسلمين الديار
المصرية لأن الأقباط المصريين طلبوا من عمرو بن العاص النصر يح
باجرائها لأجل أن يجرى النيل وكان قد توقف إلى آخر شهر مسرى
فلم يرخص لهم بذلك » ثم أورد على باشا مبارك رواية ابن
عبد الحكم نقلا عن المقرئ . وجاء في الجزء الأول من كتاب
حقائق الاخبار عن دول البحار ص ١٨٣ :

« وأبطل — عمرو — عادة قبيحة كان يجرى عليها أهل مصر
من القديم وهي أنهم يلقون في النيل عند زيادته بنتا يزينونها بأفخر
زينة وغير ذلك من البدع القبيحة »

والذى نراه بعد ذلك أن عادة إلقاء بنت في النيل كانت جارية
م — ٣٥ الفاروق

فأبطلها عمرو لأنها تخالف الاسلام بل تخالف الانسانية وأقر الخليفة رأى عمرو . والذي يؤيد ذلك ما جاء في خطط علي مبارك باشامن أن قسطنطين كان قد أبطلها ثم إنها عادت لاستحكامها ولا اعتقاد أن النيل لا يجري إلا إذا أقيت فيه بنت كانت تذهب ضحية اعتقاد فاسد . ولم يتضح بطلان هذه العقيدة إلا بعد إبطالها . ثم ان المقرزي ذكر أن جاحل الصدفي هو الذي أتى بـ كتاب أمير المؤمنين وجاهل هذا شخص له وجود بدليل أنه مذكور في أسد الغابة . غير ان رواية ابن عبد الحكم فيها شيء من المبالغة ، ذلك انه قال « وكان قد أجلى غالب أهل مصر » ولا نظن ذلك لأنهم لا يجلون بسبب تاخر الفيضان إذ ليست هذه أول مرة يتأخر فيها الفيضان . وقوله « فلما أصبح الناس يوم عيد الصليب رأوا النيل زاد في تلك الليلة ستة عشر ذراعاً في دفعة واحدة » وهذا غير معقول لأن النيل لا يمكن أن يزيد ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ولا بد أن الزيادة حدثت تدريجاً وعلى العموم فللاسلام فضل عظيم في ابطال تلك العادة الوحشية وإراحة الناس من إلقاء بناتهم ومشاهدتهم هذا المنظر الفظيع

حريق مكتبة الاسكندرية

إن الذى ذكر أن مكتبة الاسكندرية قد أحرقها عمرو بن العاص هو أبو الفرج الملقب^(١) فى كتاب مختصر الدول . وهو غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون المعروف بابن العبرى ولد سنة ١٢٢٦ م وتوفى سنة ١٢٨٦ م

وهذه قصة حريق المكتبة كما رواها أبو الفرج :

« كان وقت الفتح رجل اكتسب شهرة عظيمة عند المسلمين يسمى يوحنا النحوى كان قسيساً قبطياً من أهل الاسكندرية وفى هذا الزمان اشتهر بين الاسلاميين يحيى المعروف عندنا بغرماطيقوس أى النحوى وكان اسكندريا يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبية ويشيد عقيدة ساورى ثم رجع عما يعتقد النصارى فى التثليث . فاجتمع إليه الأساقفة بمصر وسألوه الرجوع عما هو عليه فلم يرجع فأسقطوه من منزلته وعاش إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو وسمع من أفاضله الفلسفية التى لم تكن للعرب بها أنسة ما هاله ففتن به وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه . ثم قال له يحيى يوماً . إنك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الأشياء الموجودة بها فمالك

(1) Abulfargius (Bar - hebraeus)

به انتفاع فلا أعارضك فيه وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به . فقال له عمرو . وما الذى تحتاج اليه ؟ قال كتب الحكمة التى فى خزائن الملوكية . فقال له عمرو لا يمكننى ان أمر فيها إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وكتب إلى عمر وعرفه قول يحيى فورد عليه كتاب عمر يقول فيه : وأما الكتب التى ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله فى كتاب الله عنه غنى . وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليه فتقدم باعدامها . فشرع عمرو بن العاص فى تفريقها على حمامات الاسكندرية وإحراقها فى مواقدها فاستنفدت فى ستة أشهر فاسمع ما جرى واعجب »

لم يرد ذكر هذه الرواية فى تاريخ الطبرى وابن الاثير واليعقوبى والسكندى وابن عبد الحكم والبلاذرى وابن خلدون انما كتبها أبو الفرج فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى وأوائل القرن السابع الهجرى من غير أن يذكر مصدرها والطاهر انه نقلها من عبد اللطيف البغدادى الذى ذكر حريق مكتبة الاسكندرية حوالى سنة ١٢٠٠ م وقد ظل أمر المكتبة مجهولاً منذ الفتح إلى هذه السنة

وقد بحث الاستاذ بتلر عن يوحنا النحوى^(١) الذى قيل انه تحادث مع عمرو فى شأن إعطائه الكتب . فقال انه لم يكن حياً فى سنة ٦٤٢ م (أى السنة التى احترقت فيها المكتبة) وقال ولو انه كان حياً فى سنة ٦٤٢ لكان عمره ١٢٠ سنة . فمن الواضح أن يوحنا

(1) (John the Grammarian) (John the Grammarian)

كان قد مضى على وفاته ثلاثون أو أربعون عاماً عند دخول عمرو بن العاص الاسكندرية . وذكرت دائرة المعارف البريطانية أن يوحنا كان حياً في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الميلادي ومعلوم ان فتح مصر كان في أوائل القرن السابع . وعلى ذلك فقد صدق الاستاذ بتلر بانه كان وقتئذ ميتاً . ثم إن دائرة المعارف البريطانية الطبعة الحادية عشرة ذكرت في آخر ترجمة حياة يوحنا الذي نحن بصدده : (وربما كان يوحنا هذا هو الذي حاول انقاذ مكتبة الاسكندرية من الخليفة عمر بعد غزو عمرو سنة ٦٣٩ م) وبمراجعة دائرة المعارف الطبعة الرابعة عشرة وجدنا أن هذه العبارة قد حذفت منها وهذا دليل على أن هذا الاحتمال كان خطأ فحذف في الطبعة الحديثة

بعد ذلك نبحث عن مكتبة الاسكندرية وهل كان لها وجود في ذلك الوقت ؟ كان بالاسكندرية في عهد البطالسة مكنبتان فلما أمر قيصر باحراق الاسطول امتدت النيران فأحرقت إحداهما ثم حاول أنطوني أن يعوض هذه الخسارة فقدم لكيلو باترة مكتبة كانت بدار كتب مدينة بيرجام ثم صارت مكتبة سيرابسيوم هي المكتبة العامة وفي سنة ٣٨٩ أو ٣٩١ أمر تيودوسيوس باتلافها فنهبا المسيحيون وقد نقل الدكتور حسن ابراهيم حسن في رسالته تاريخ عمرو بن العاص عن الاستاذ اسماعيل رأفت بك حيث قال : انه في هذا الوقت لم تكن دار كتب الاسكندرية موجودة وأن قسماً كبيراً من قسمها

أحرقته جنود يوليوس قيصر من غير قصد سنة ٤٧ ق. م وان
قسمها الثاني تلاشى كذلك بعد الزمن المذكور بنحو أربعة قرون أى
فى سنة ٣٩٠ ب. م بامر الاسقف تيوفيل ولا ندهش لهذا الأمر
لأسباب اخصها ان الآداب والفلسفة الوثنية كانت منعت وقضى
عليها قضاء تاماً طول تلك المدة فى كل مكان حتى ان جوتنيانوس
أمر باغلاق مدارس أتينا . اه

وقال الأستاذ بتلر بعد ان لخص الاسباب التى استند إليها فى
تكذيب حرق المكتبة بيد العرب :

« لا بد ان يعترف الانسان ان قصة أبى الفرج إنما هى خرافة
مجردة من كل أساس تاريخى »

ثم إن عبارة أبى الفرج فيها مبالغات مضحكة لا يقبلها العقل
كقوله إن حرقها استنفد ستة أشهر وإنها وزعت على الحمامات مع
ان عمرا لو أراد لحرقها دفعة واحدة فى مدة قصيرة ولو أنها احترقت
فى ستة أشهر لكان من المتيسر تهريب جزء عظيم منها ولم يعرف عن
العرب أنهم أتلفوا شيئاً . قال جييون :

« إن تعاليم الاسلام تخالف هذه الرواية لأن تعاليمه أن الكتب
الدينية اليهودية والنصرانية المأخوذة فى الحرب لا يجوز إحراقها أما
كتب العلم والفلسفة والشعر وسواها من العلوم غير الدينية فانه
يجوز الاتفاح بها »

وإذا كان المسلمون لم يتعرضوا فى البلاد التى فتحوها للكنايس

ولم يمسوها هي وما حوته باى سوء وأباحوا للذميين حرية الأديان
فهل يعقل أن يأمر امير المؤمنين باحراق مكتبة الاسكندرية ؟ اللهم
إن هذا افتراء محض ودسيسة على الاسلام قد أتعبت العلماء في تحقيقها
على انا والحمد لله لم نجد عالماً مسلماً أو مسيحياً يؤيدها فكلهم أجمعوا
على إنكارها بالأدلة التاريخية

غزو فارس من البحرين

العلاء بن الحضرمي يبارى سعداً

كان النبي صلى الله عليه وسلم ولي العلاء بن الحضرمي البحرين
وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عليها فأقره أبو بكر خلافة كلها
ثم أقره عمر ثم عزله وجعل قدامة بن مظعون مكانه ثم عزل قدامة
ورد العلاء

(عزل قدامة)

وانا قبل أن نذكر مباراة العلاء لسعد بن أبي وقاص وما كان
من غزو فارس من البحرين نكتب السبب الذي دعا عمر إلى عزل
قدامة من البحرين ليتبين للقارى تمسك عمر بالشرع والعدل
قدامة بن مظعون هو أخو عثمان بن مظعون وخال حفصة وعبد
الله ابني عمر بن الخطاب وكان تحتة صفية بنت الخطاب وهو من
السابقين إلى الاسلام.هاجر إلى الحبشه مع أخويه وشهد بدرأوأحدأ

وسائر المشاهد مع رسول الله صلى عليه وسلم
استعمل عمر قدامة على البحرين فقدم الجارود العبدى من
البحرين على عمر فقال يا أمير المؤمنين ان قدامة شرب فسكر وإني
رأيت حداً من حدود الله حقاً على أن أرفعه إليك
قال عمر من شهد معك؟ قال أبو هريرة . فدعا أبا هريرة فقال بم
تشهد؟ فقال لم أره يشرب ولكنى رأيت سكران يقى . فقال عمر
« لقد تنطعت في الشهادة » . ثم كتب إلى قدامة ان يقدم عليه من
البحرين . فقدم . فقال الجارود لعمر . اقم على هذا كتاب الله . فقال
عمر أخصم انت ام شهيد؟ فقال شهيد . قال « قد اديت شهادتك »
فسكت الجارود ثم غدا على عمر فقال . اقم على هذا حد الله عز وجل
فقال عمر « لتمسكن لسانك أو لاسوأئك » فقال يا عمر والله ما ذلك
بالحق . يشرب ابن عمك الخمر وتسؤنى ! فقال أبو هريرة ان كنت
تشك في شهادتنا فارسل إلى ابنة الوليد امرأة قدامة فسلها . فأرسل
عمر إلى هند بنت الوليد ينشدها . فأقامت الشهادة على زوجها . فقال
عمر لقدامة « انى حادك » قال لو شربت كما يقولون اكان لكم ان تحدونى
فقال عمر لم؟ قال قدامة : قال الله عز وجل (ليس على الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا
الصالحات) فقال عمر : اخطأت التأويل . ولو اتقيت الله اجتنبت ما
حرم الله . ثم أقبل عمر على الناس فقال ماذا ترون في حد قدامة؟
فقال القوم لا نرى ان تجلدة ما كان مريضاً . فقال عمر لان يلقى الله

تحت السياط أحب إلى من ان ألقاه وهو في عنقي. اتوتني بسوط تام»
فأمر عمر بقدامة فجلد . فغاضب قدامة عمر وهجره فحج عمر وقدامة
معه معاضباً له . فلما قفلا من حجتهما ونزل عمر بالسقيا نام فلما استيقظ
من نومه قال عجولوا عليّ بقدامة فرأته لقد أتاني آت في منامي فقال
سالم قدامة فانه أخوك فعجلوا عليّ به . فلما أتوه أبي ان يأتي فأمر به
عمر ان أبي ان يجره إليه . فكلمه عمر واستغفر له فكان ذلك أول
صلحهما (١)

هذا ما كان من حد قدامة على سكره وعزله ولاية البحرين ولنعد
إلى العلاء بن الحضرمي فانه كان يباري سعد بن أبي وقاص . فلما كانت
حروب الردة اشتهر العلاء فلما انتصر سعد بالقادسية وتغلب على
الأكاسرة أراد العلاء ان يصنع شيئاً يكون له به من الشهرة ما لسعد
وكان عمر نهاه عن البحر لشدة حذره وخوفه على المسلمين فلم يقدر
العلاء الطاعة والمعصية وعواقبهما فذب أهل البحرين إلى فارس
فتسرعوا إلى ذلك وفرقهم أجناداً فحملهم في البحر إلى فارس بغير
إذن عمر وكان عمر لا يأذن لأحد في ركوب البحر غازياً . فعبرت
تلك الجنود من البحرين إلى فارس فخرجوا في إصطخر (٢) وبازائهم

(١) أسد الغابة

(٢) اصطخر كورة وبلدة في بلاد فارس . أما الكورة فهي أكبر وأجل
كور فارس وقاعدتها مدينة اصطخر وبها كثير من المدن والقرى وبها كانت خزائن
الملوك قبل الاسلام وهي واقعة على تل صخرى قرب نهر بندمير في اصطخر
م - ٣٦ الفاروق

أهل فارس فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم فلما رأى المسلمون ذلك قاتلوهم قتالا شديداً وتغلبوا عليهم ثم خرجوا يريدون البصرة وقد غرقت سفنهم ثم لم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً (وهذا ما كان يخشاه عمر) ثم وجدوا شہرك قد أخذ على المسلمين بالطرق فعسكروا في موطنهم وامتنعوا

فلما بلغ عمر ذلك اشتد غضبه على العلاء وكتب إليه يعزله وتوعده وأمره بأثقل الأشياء عليه وأبغض الوجوه إليه بتأمر سعد عليه وقال ألحق بسعد بن أبي قاص فيمن قبلك . فخرج بمن معه نحو سعد وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان أمير البصرة ان يسير جنداً لتخليص من أرسلهم العلاء فوجد عتبة ٢,٠٠٠ مقاتل وعليهم ابوسبرة ابن أبي رهم ف ساحل بالناس لا يلقاه أحد حتى ادركوا شہرك وهو أخذ على جنود البحرين طريقهم فقاتلوه وهزموه وانقذوا اخوانهم ثم عادوا بما أصابوا وذهب أهل البحرين عائدين إلى بلادهم من طريق البصرة

وضع هيستاسب كتاب زرادشت نبي المجوس لما كانت أصطخر في عظمتها
واسمها القديم برسيوليس Persepolis

فتح الالهواز

وانهزام الهرمزان

الاهواز كورة بين البصرة وفارس وسوق اهواز من مدنها
لما انهزم الهرمزان يوم القادسية توجه إلى خوزستان فملكها
بعدان قاتل أهلها وأغار على أهل ميسان ودستميسان^(١) من وجهين
من مناذر^(٢) ونهر تيرى فاستمد عتبة بن غزوان (أمير البصرة)
سعد بن ابى قاص (أمير الكوفة) فأمدته بنعيم بن مقرن ونعيم
ابن مسعود وامرهما ان يأتيا اعلى ميسان ودستميسان حتى يكونا
بينهم وبين نهر تيرى^(٣) ووجه عتبة بن غزوان سلمى بن القين ،
وحرملة بن مريظة وكانا من المهاجرين مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهما من بنى العدوية من بنى حنظلة فنزلا على حدود ارض
ميسان ودستميسان بينهم وبين مناذر ودعوا بنى العم فخرج إليهم
غالب الوائلى وكليب بن وائل الكلبي فتركا نعيما وأتيا سلمى وحرملة
وقالا أتيا من العشيرة وليس لكما مترك فاذا كان يوم كذا وكذا

(١) ميسان اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط
قصتها ميسان . ودستميسان كورة جليلة بين واسط والبصرة والاهواز وهى
إلى الالهواز أقرب

(٢) مناذر بلدتان بنواحي خوزستان مناذر الكبرى ومناذر الصغرى

(٣) نهر تيرى من نواحي الالهواز

فانهدوا للهرمزان فان أحدنا يثور بمناذر والآخر ينهر تيرى فنقتل
المقاتلة ثم يكون وجهنا إليكم فليس دون الهرمزان شيء إن شاء الله
ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك وكانوا
ينزلون خوزستان (١) قبل الاسلام فأهل البلاد يأمنونهم فلما كان
تلك الليلة ليلة الموعد بين سلمى وحرملة وغالب وكليب وكان
الهرمزان يومئذ بين نهر تيرى وبين دُثْ وخرج سلمى وحرملة
صبيحتها في تعبئة وأنهضنا نعيما ومن معه فالتقوا هم والهرمزان بين
دُثْ ونهر تيرى وسلمى بن القين على أهل البصرة ونعيم بن مقرن
على أهل الكوفة فاقتتلوا . فبينما هم على ذلك أقبل مدد من قبل غالب
وكليب وأتى الهرمزان الخبر بأن مناذر ونهر تيرى قد أخذوا فكسر
ذلك قلب الهرمزان ومن معه هزمه الله وإياهم . فقتل المسلمون منهم
ماشأوا وأصابوا ماشأوا واتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ دُجَيْل (٢)

(١) ولاية من بلاد فارس اسمها القديم شوشنة يحدها شمالا وشمالا بشرق
لرستان وإلى الجنوب الشرقى فارس وجنوبا خليج العجم وغربا ولاية بغداد
مساحتها نحو ٣٩٠٠٠ ميل مربع . وشط العرب وهو مجتمع نهرى دجلة والفرات
قسم من حدها الغربى وبعض فروع هذا النهر التى تتألف منها دلتاه تصب فى
خليج العجم مارة بهذه الولاية واعظم الأنهر التى تمر فى وسطها هي الكرخ والكارون
وفى خوزستان مراع متسعة ترعى فيها قطعان كبيرة من المواشى ومن حاصلاتها
الأرز والدررة والشعير والقطن وقصب السكر والتمر . قال ياقوت والغالب على
أخلاق أهلها سوء الخناق والبخل المفرط والمناقشة فيما بينهم فى النزر الحقيق
(٢) اسم نهر فى موضعين أحدهما مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت وبينها

وأخذوا مادونه وعسكروا بحيال سوق الاهواز وعبر الهرمزان
جسر سوق الاهواز وأقام وصار دجيل بين الهرمزان والمسلمين . فلما
رأى الهرمزان مالا طاقة به طلب الصلح . فاستأمرُوا عتبة فأجاب
إلى ذلك على الاهواز كلها ومهرجان قَدْف^(١) ما خلا نهر تيرى
ومناذر وماغلبوا عليه من سوق الاهواز فانه لا يرد عليهم . وجعل
سلى على مناذر مسلحة وأمرها إلى غالب وحرملة على نهر تيرى
وأمرها إلى كليب فكانا على مسالح البصرة . وهاجرت طوائف
من بنى العم فنزلوا البصرة . ووفد عتبة وفداً الى عمر منهم سلمى
وجماعة من اهل البصرة فأمرهم عمر ان يرفعوا حوائجهم . فكلهم قال
اما العامة فانت صاحبها . وطلبوا لأنفسهم الأحنف بن قيس فانه قال
(يا امير المؤمنين إنك كما ذكروا ولقد يعزب عنك ما يحق علينا
إنهاؤه اليك مما فيه صلاح العامة وإنما ينظر الوالى فيما غاب عنه بأعين
اهل الخبر ويسمع بأذانهم فان إخواننا من اهل الكوفة نزلوا فى مثل
حدقة البعير الغاسقة من العيون العذاب والجنان الخصاب فتأتهم
ثمّارهم ولم تخضد وإنا معشر اهل البصرة نزلنا سبخة هشاشة زعقة
نشاشة طرف لها فى الفلاة وطرف لها فى البحر الأجاج يجرى إليها

مقابل القادسية ثم تصب فضله فى دجلة أيضا . ودجيل الآخر نهر بالاهواز
ومخرجه من أرض أصبهان فى بحر فارس

(٢) مهرجان معناه بالفارسية فرح النفس قد يسقط من الكورة المذكورة
أتقا قذق فيقال مهرجان فقط وفى الطبرى (قذف) بالقاء وهو تصحيف بالطبمة
المصرية قال ابو سعد مهرجان قرية باسفرابين

ما جرى في مثل مرى^١ النعامة . دارنا فعمه ووظيفتنا ضيقة وعددنا كثير واشرافنا قليل واهل البلاء فينا كثير . درهمنا كبير وقفيزنا صغير وقد وسع الله علينا وزادنا في ارضنا فوسع علينا يا امير المؤمنين وزدنا وظيفه توظف علينا ونعيش بها)

فلما سمع عمر قوله احسن اليهم واقطعهم بما كان فينا لاهل كسرى وزادهم ثم قال هذا الفتى سيد اهل البصرة . وكتب إلى عتبة فيه بأن يسمع منه ويرجع إلى رايه ورددتم إلى بلدهم

وبينا الناس كذلك من ذمتهم مع الهرمزان وقع بين الهرمزان وغالب وكليب في حدود الارضين اختلاف فحضر سلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم فوجدا غالبا وكليبيا محقين والهرمزان مبطلا فحالا بينهما وبينه فكفر الهرمزان ومنع ما قبله واستعان بالاكراذ وكثف جنده وكتب سلمى ومن معه إلى عتبة بذلك . فكتب عتبة إلى عمر فكتب إليه عمر يأمره بقصده وأمد المسلمين بحرقوص بن زهير السعدى كانت له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره على القتال وعلى ما غلب عليه وسار الهرمزان ومن معه وسار المسلمون إلى جسر سوق الأهواز وأرسلوا إليه إما أن تعبر إلينا أو نعبركم فقال اعبروا إلينا . فعبروا فوق الجسر فاقتلوا بما يلي سوق الأهواز حتى هزم الهرمزان ووجه نحو رامهرمز^(١) فأخذ على قنطرة أربك

(١) رامهرمز . معنى رام بالمارسية المراد والمقصود وهرمز أحد الاكاسرة فكان هذه اللفظة مركبة معناها مقصود هرمز أو مراد هرمز . وهي مدينة

بقرية الشغرة حتى حل برامهرمز وافتتح حرقوص سوق الأهواز فأقام بها ونزل الجبل واتسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تَسْتَر (١) ووضع الجزية وكتب بالفتح والاحماس إلى عمر ووقد وفداً بذلك فحمد الله ودعا له بالثبات والزيادة

هذا ما ذكره الطبري وابن الأثير عن فتح الأهواز . فالهرمزان هو من أمراء العجم وقد كان اشترك في حرب القادسية التي مر ذكرها سنة ١٦ هـ - ٦٣٧ م لكنه انهزم وفر إلى مملكته خوزستان وأخذ يهاجم المسلمين فجرد عتبة جيشاً من الكوفة لقتاله وضم إليه القبائل العربية وبذلك تمكن من إجلاء الهرمزان وجيشه من الأهواز وطرده من نهر كارون فطلب الهرمزان الصلح وتخلى عن الأهواز فدخلها جيش عتبة وبعد ذلك حدث ما حدث من النزاع بشأن الحدود فقاتله العرب وأجأوه إلى الفرار

صلح الهرمزان

لما انهزم الهرمزان يوم سوق الأهواز وافتتح حرقوص (٢)

مشهورة بنواحي خوزستان في جنوب شرق الأهواز

(١) تستر أعظم مدينة بخوزستان

(٢) حرقوص بن زهير السعدي ذكره الطبري في قتال الهرمزان كانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . بقى إلى أيام علي وشهد صفين ثم صار من الخوارج ومن أشدهم على علي بن أبي طالب وكان مع الخوارج لما قاتلهم علي

سوق الأهواز أقام بها وبعث جزء بن معاوية (١) في أثره بأمر عمر إلى سُرق (٢) فخرج جزء في أثر الهرمزان والهرمزان متوجه إلى رامهرمز هاربا . فما زال يقاتلهم حتى انتهى إلى قرية الشجر فأعجزه بها الهرمزان . فمال جزء إلى دورق من قرية الشجر فأخذها وكتب بذلك إلى عمر وعتبة فكتب عمر إلى جزء وحرقوقص بالمقام فيما غالبا عليه حتى يأتيهما أمره . ثم استأذن جزء أن يعمر البلاد فأذن له عمر . فشق الأنهار وأحيا الموات وهذه همة جليلة من جزء لأنه لم يقتصر على فتح البلاد بالسيف بل نظر إلى العمران والإصلاح وترقية الزراعة

ثم أرسل الهرمزان حرقوقصا وجزءا في الصلح . فكسب حرقوقص إلى عمر فأمره أن يقبل منه على ما لم يفتحوا منها (على رامهرمز وتستر والسوس وجندی سابور والبنيان ومهرجا نقدق) فأقام أمراء الأهواز على ما أسند إليهم وأقام الهرمزان على صلحه يجبي إليهم ويمنعونه من الاكراد إذا أغاروا عليه

(وفد جند البصرة إلى عمر)

لما رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن الذميين ينقضون العهد ويشورون على المسلمين أراد ان يعرف هل نقضهم العهد بسبب

فقتل يومئذ سنة ٣٧ هـ

(١) جزء بن معاوية بن حصين اختلف في صحبته

(٢) سرق إحدى كور الأهواز

سوء معاملة المسلمين لهم او بسبب آخر ؛ فكتب إلى عتبة أن أوفد عليّ وفداً من صلحاء جند البصرة عشرة . فوفد إلى عمر عشرة فيهم الأحنف بن قيس ^(١) . فلما قدم على عمر قال :

« إنك عندي مصدق وقد رأيتك رجلاً فاخبرني أن ظلمت

الذمة ؛ المظلمة نفروا أم لغير ذلك ؟ »

فقال الأحنف : « لا بل لغير مظلمة والناس على ما تحب »

قال « فنعم اذن انصرفوا إلى رحالكم »

فانصرف الوفد إلى رحالهم . فنظر في ثيابهم فوجد ثوباً قد

خرج طرفه من عيبة فشمه . ثم قال : لمن هذا الثوب منكم ؟ فقال

الأحنف . لي قال . فيكم اخذته ؟ فذكر ثمنا يسيراً . ثمانية او نحوها

ونقص مما كان اخذه به وكان قد اخذه باثني عشر . فقال : « هلا

بدون هذا ؟ ووضعت فضله موضعاً تغني به مسلماً . حصوا وضعوا

الفضول مواضعها تريحوا أنفسكم واماوالمكم ولا تسرفوا فتخسروا

انفسكم واماوالمكم . إن نظر امرؤ لنفسه وقدم لها يخلف له »

وكتب إلى عتبة : « ان اعزب الناس عن الظلم واتقوا واحذروا

(١) في اسد الغابة الأحنف كان احد الحكماء الدهاة العقلاء وقدم على عمر في

وفد البصرة فرأى منه عقلاً ودياً وحسن سمعت فتركه عنده سنة ثم أحضره وقال

ياأحنف أنتدري لم احتببتك عندي ؟ قال لا يا امير المؤمنين قال ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم حذرنا كل مفاق علم لحشيت ان تكون منهم ثم كتب معه كتاباً

إلى أمير البصرة يقول له الأحنف سيد اهل البصرة فما زال يعلو من يومئذ

أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغى . فانكم انما ادركتم بالله ما
ادركتم على عهد عاهدكم عليه وقد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم فأوفوا
بعهد الله وقوموا على أمره يكن لكم عوناً وناصرأ »
وبلغ عمر ان حرقوصا نزل جبل الالهواز والناس يختلفون
إليه والجبل كثود يشق على من راحه . فكتب إليه :
« بلغنى انك نزلت منزلاً كثوداً لا توثق فيه إلا على مشقة
فأسهل ولا تشق على مسلم ولا معاهد وقم في أمرك على رجل تدرك
الآخرة وتصف لك الدنيا ولا تدركك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك
وتذهب آخرتك »

يزدجرد يعود إلى قتال المسلمين

٥٢٠ - ٢٦٤١

أسر الهرمزان

كان يزيدجرد فر من وجه العرب إلى مرو فلم يزل وهو بها يثير
أهل فارس أسفا على ما خرج من ملكهم فتحركوا وتكاتبوا وأهل
الاهواز وتعاهدوا على النصره فجاءت الأخبار حرقوص بن زهير
وجزه وسلى وحرمة . فكتبوا إلى عمر بالخبر فكتب عمر إلى سعد
ابنك إلى الالهواز جنداً كشيفاً مع النعمان بن مقرن وعجل فليزلوا
بازاء الهرامزن ويتحققوا أمره . وكتب إلى أبي موسى الأشعري

وكان ولاء البصرة بعد عزل المغيرة أن ابعت إلى الاهواز جنداً كشيفاً وأمر عليهم سهل بن عدى اخا سهيل فابعث معه البراء بن مالك ومجزأة بن ثور وعرفجة بن هزئمة وغيرهم وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي رهم

جعل عمر رضى الله عنه القيادة العامة في هذه الغزوة إلى أبي سبرة بن أبي رهم وهو قرشى عامرى قديم الاسلام شهيد بداراً واحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلامة بن وقش

خرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة فسار إلى الاهواز على البغال يجنبون الخيل تخلف حرقوصا وسلي وحرملة وسار نحو الهرمزان وهو برامهرمز فالتقى الهرمزان بأربك^(١) فاقتلوا قتلاً شديداً فانهزم الهرمزان إلى تستر وسار النعمان إلى رامهرمز ونزلها

ثم اجتمع جنود البصرة والكوفة وجميع القواد وحاصروا الهرمزان بتستر في الخنادق وكانوا جميعاً تحت قيادة أبو سبرة فحاصروهم اكثر من شهراً كثيراً فيهم وزاحفهم المشركون أيام تستر ثمانين

(١) أربك من نواحي الاهواز . بلد وناحية دات قرى ومزارع وعنده قنطرة . شهورة لها ذكر في كتب السير وأخبار الخوارج وغيرهم . قال نعمان بن مقرن :

عوت فارس واليوم حام أواره بمحتفل بين الدكالك وأربك
فلاغرو والاحين ولوا وأدركت جموعهم خيل الرئيس ابن ارمك
واقفهن الهرمزان موائلنا به نذب من ظاهر اللون اعنتك

وحفاً كانت الحرب فيها سجالاتاً يوم ألهم ويوم أعلهم . ثم اقتحم المسلمون
لخنادقهم ودخلوا مدينتهم بعد جهاد عنيف والتجأ الهرمزان إلى القلعة
وتحصن بها ولما رأى أنهم ضيقوا عليه نادى متبعيه وقال أضع يدي
في أيديكم على حكم عمر يصنع بي كيف يشاء فأسر المسلمون وأوثقوه
وملكوا تستر ثم أرسلوا الطلائع لآخذ ما أحاط بها من البلدان
وزعت الغنائم فكان سهم الفارس ٣٠٠٠ والراجل ١٠٠٠
وقتل من المسلمين أناس كثير . وعن قتل الهرمزان بنفسه مجزأة
ابن ثور والبراء بن مالك وانصرف أبو موسى إلى البصرة بأمر عمر

(إرسال الهرمزان إلى المدينة أسيراً)

أرسل أبو سبرة وفداً إلى عمر بن الخطاب معهم الهرمزان فلما
دخلوا المدينة هيئوا الهرمزان في هيئته فألبسوه كسوته من الديباج الذي
فيه الذهب ووضعوا على رأسه تاجاً يدعى الآذين مكلاً بالياقوت
وعليه حلته كما يراه عمر والمسلمون في هيئته ثم خرجوا به على الناس
يريدون عمر في منزله فلم يجدوه . فسألوا عنه فقبل جلس في المسجد
لوفد قدموا عليه من الكوفة . فانطلقوا يطلبونه في المسجد فلم يروه
فلما انصرفوا مروا بغليان من أهل المدينة يلعبون . فقالوا لهم :
ما تلذدكم تريدون أمير المؤمنين فإنه نائم في ميمنة المسجد متوسداً
برنسه . وكان عمر قد جلس لوفد أهل الكوفة في برنس . فلما فرغ من
كلامهم وارتفعوا عنه وأخلوه نزع برنسه ثم توسده فقام فانطلقوا

معهم حتى اذا راوه جلسوا دونه وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره والدره في يده معلقة . فقال الهرمزان : أين عمر ؟ فقالوا : هو ذا وجعل الوفد يشيرون إلى الناس اسكتوا عنه وأصغى الهرمزان الى الوفد . فقال : أين حرسه وحجابه عنه ؟ قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ولا ديوان . قال « ينبغي له أن يكون نبيا » فقالوا بل يعمل عمل الانبياء .. وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالسا ثم نظر إلى الهرمزان . فقال الهرمزان ؟ قالوا نعم . فتأمله وتأمل ما عليه وقال :

« أعوذ بالله من النار وأستعين الله . الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا وأشياعه . يامعشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين واهتدوا بهدي نبيكم ولا تبطرنكم الدنيا فانها غرارة »
فقال الوفد هذا ملك الالهواز فكلمه

فقال لا حتى لا يبقى عليه من حليته شيء — فرمى عنه بكل شيء عليه إلا شيئا يستره وألبسوه ثوبا صفيقا . فقال عمر :
« هيه يا هرمزان . كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله ؟ »
قال . « يا عمر إنا وإياكم في الجاهلية . كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم اذ لم يكن معنا ولا معكم . فلما كان معكم غلبتمونا »
فقال عمر « إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقتنا » ثم قال عمر : « ما عذرك وما حجبتك في انتفاضك مرة بعد مرة ؟ »
فقال « أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك »

قال «: لا تخف ذلك » واستسقى ماء . فأتى به في قدح غليظ . فقال :
لومت عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا
فأتى به في إناء يرضاه فجعلت يده ترجف . وقال : « انى أخاف
أن أقتل وأنا أشرب الماء »

فقال عمر : « لا بأس عليك حتى تشربه » فأكفأه . فقال عمر
« أعيديوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش »
فقال « لا حاجة لى فى الماء . انما أردت أن أستأمن به »
فقال له عمر : « انى قاتلك » قال « قد آمنتى » قال « كذبت »
فقال أنس « صدق يا أمير المؤمنين قد آمنتى »

قال : ويحك يا أنس أنا أو من قاتل مجزأة والبراء : والله لتأتين
بمخرج أو لأعاقبك قال قلت له لا بأس عليك حتى تخبرنى وقلت
لا بأس عليك حتى تشربه وقال له من حوله مثل ذلك فاقبل على
المهرمزان وقال خدعتنى والله لا أنخدع إلا للمسلم فاسلم ففرض له على
ألفين وأنزله المدينة

وكان الترجمان المغيرة بن سعبة وكان يفقه شيئاً من الفارسية

(طلب الوفد التوغل فى الفتح)

ثم قال عمر للوفد ، لعل المسلمين يفضون إلى أهل الذمة بأذى
وبأمورها ما ينتقضون بكم »

فقالوا : مانعلم إلا وفاء وحسن ملكة

قال : فكيف هذا ، فلم يجد عند أحد منهم شيئاً يشفيه ويبصر به مما يقولون إلا ما كان من الأحف فقال :

« يا امير المؤمنين أخبرك انك نهيتنا عن الانسياح في البلاد وأمرتنا بالاقصر على ما في أيدينا وان ملك فارس حى بين أظهرهم وانهم لا يزالون يساجلوننا مادام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان فانفقا حتى يخرج احدهما صاحبه وقد رأيت إنالم نأخذ شيئاً بعد شيء الا بانبعائهم . وان ملكهم هو الذى يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا . فلنسح في بلادهم حتى نزيله عن فارس ونخرجه من مملكته وعز أمته ، فهالك ينقطع رجاء أهل فارس ويضربوا جأشاً »

هذه نصيحة الأحف لعمر رضى الله عنه لأن سياسة عمر كانت قاضية على الجيش بان يبقى في البلاد التى فتحها ولا يتوغل في الفتح تعقباً لآثار العدو وإنما أراد عمر بذلك لم شمل الجيش وعدم تشتته في البلاد وكان شديد الحذر يخشى ان يقطع العدو على المسلمين خط الرجعة فظل جيش المسلمين فى أما كنه بلا تقدم عملاً باوامر الخليفة . غير ان هذه الخطة لم تعد تنفع بعد ان هزم المسلمون الأعاجم فى مواطن كثيرة فصار الزحف لا بد منه وقد تمكن الفرس ويزدجرد من لم شملهم ومهاجمة المسلمين فى البلاد التى فتحوها فلو كان قد اذن لهم بالزحف ومطاردة العدو المهزم لما استطاعوا ذلك لهذا طلب الأحف من أمير المؤمنين ان يغير خطته الاولى ويأذن للمسلمين بالزحف حتى لا يتمكن العدو من جمع الجيوش

فلما سمع عمر قول الاحنف قال :
« صدقتني وشرحت لي الامر عن حقه » ونظر في حوائجهم
وسرحهم :
ثم قدمت الكتب على عمر باجتماع أهل نهاوند : فكان ذلك مما
جعل عمر يأذن بالانسياح

فتح السوس

وموقعه نهاوند

سنة ٢١ هـ - ٦٤٢ م

السوس بلدة بخوزستان : قيل تعريب الشوش ومعناه الحسن
والنزه والطيب اللطيف : ونهاوند مدينة عظيمة في قبلة همدان بينها
ثلاثة أيام : ذكر أبو بكر الهذلي عن محمد بن الحسن كانت وقعة
نهاوند سنة ٢١ هـ

نزل أبو سبرة السوس وبها شريار أخو الهرمزان وأحاط بها
المسلمون وقتلوهم وسار أبو موسى إلى البصرة من السوس وصار
مكانه على أهل البصرة المقرب بن ربيعة^(١) وجمع الاعاجم يزدجرد
بهاوند وكان النعمان على أهل الكوفة محاصراً أهل السوس مع

(١) وهو الاسود بن ربيعة قدم على رسول الله فقال ما أقدمك ؟ قال اقرب
بصحبتك فترك الاسود وسمى المقرب

أبي سبرة وزر^(١) محاصراً أهل جنديسابور^(٢) فجاء كتاب عمر بصرف النعمان إلى أهل نهاوند فناوشهم قبل مسيره وكان مناف بن صياد مع المسلمين في خيل النعمان ففتح باب السوس بالقوة وكسر السلاسل والاعلاق ودخل المسلمون فطلب أهلها الصلح فأجيبوا إلى ذلك .

ثم سار النعمان حتى أتى نهاوند وسار المقرب حتى نزل على جند يسابور مع زر فحاصرها المسلمون مدة فلم يفجأهم إلا وأبوابها تفتح وخرج السرح وفتحت الأسواق وانبت أهلها فأرسل المسلمون أن ما خبركم قالوا إنكم رميتم إلينا بالأمان فقبلناه وأقررنا لكم بالجزاء على أن تمنعونا . فقالوا ما فعلنا . فقالوا ما كذبنا . فسأل المسلمون فيما بينهم فإذا عبد يدعى مكنف كان أصله منها هو الذي بعث لهم الأمان . فقال المسلمون إن الذي كتب إليكم عبد . قالوا لا نعرف عبدكم من حركم فقد جاء ونحن عليه قد قبلناه . ولم نبدل فإن شئتم فاغدروا فأمسكوا عنهم وكتبوا بذلك إلى عمر رضى الله عنه فأمر بامضائه فانصرفوا عنهم وقال عاصم في مصداق ذلك .

لعمرى لقد كانت قرابة مكنف قرابة صدق ليس فيها تقاطع

(١) هو زر أوزرين بن عبد الله بن كليب الفقيمي قال الطبري له صحبة ووفادة وهو الذي كان على جيش في حصار نيسابور وفتحها صلحاً

(٢) جند يسابور مدينة بخوزستان بناها سابور بن اردشير فنسبت إليه وأسكنها سبي الروم وطائفة من جنده وهي مدينة حصينة واسعة بها نخل وزرع م - ٣٨ - العاروق

أجارهم من بعد ذل وقلة وخوف شديد والبلاد بلاقع
فجاز جوار العبد بعد اختلافنا ورد أموراً كان فيها تنازع
إلى الركن والوالى المصيب حكومة فقال بحق ليس فيه تخالغ

(قبر دانيال)

كان بالسوس جسد دانيال وهو من أعظم الأنبياء العبرانيين .
قيل اسمه « قاضى الله » ويقال انه كاتب سفر دانيال . نقل إلى بابل
سنة ٦٠٦ وبقى على قيد الحياة إلى سنة ٥٣٤ ق . م قيل أمر عمر
بالصلاة عليه وبدفنه فى موضع لا يقدر عليه أهل السوس اكراما
له . وكان فى خزانه مقفلة داخلها حجر طويل محفور على مثال الحوض
وفيه الميت بكفنه فأمر أبو موسى بعد ان كتب اليه عمر بان يكفوا
نهرهم إلى موضع آخر وأمر أن يحفر قبر له فى وسط النهر ثم دفنه
وأجرى عليه النهر . فيقال ان دنيال عليه السلام فى نهر السوس
والماء يجرى عليه إلى وقتنا هذا . وفى معجم البلدان بخت نصر نقله
(دانيال) اليها (إلى السوس) لماتح بيت المقدس وانه مات هناك
فكان أهله يستسقون بجثته إذا قحطوا الخ .

وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند « فتح الفتوح » لأنه لم يكن
بعده حرب ولم يقيم للفرس بعده هذه الواقعة قائمة واستشهد فيها النعمان
خلبا جاء عمر البريد بالفتح وباستشهاد النعمان بكى عليه بكاء شديداً
واليك سبب إرساله إلى نهاوند .

سكن النعمان بن مقرن البصرة وتحول عنها إلى الكوفة وقدم المدينة ففتح القادسية ولما ورد على عمر رضى الله عنه اجتماع الفرس بناوند كتب إلى أهل الكوفة والبصرة ليسيروا ثلاثاً وقال لا تستعملن عليهم رجلاً يكون لها فخرج إلى المسجد فرأى النعمان بن مقرن يصلى فأمره بالمسير والتقدم على الجيش في قتال الفرس . وقال إن قتل النعمان فحذيفة وإن قتل حذيفة فجرير فخرج النعمان ومعه حذيفة والمغيرة بن شعبة والأشعث بن قيس وجرير وعبد الله بن عمر . فلما أتى نهاوند قال النعمان : « يامعشر المسلمين شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس . اللهم ارزق نعمان الشهادة بنصر المسلمين وافتح عليهم » فأمن القوم . وقال إذا هزرت اللواء ثلاثاً فاحملوا مع الثالثة وإن قتلت فلا يلوى على أحد . فلما هز اللواء الثالثة حمل الناس معه فقتل وأخذ الراية حذيفة ففتح الله عليهم . وقتل النعمان يوم الجمعة . ولما جاء نعيه إلى عمر خرج إلى الناس فنعاه اليهم على المنبر ووضع يده على رأسه وبكى وقال ابن مسعود إن للإيمان بيوتا وللنفاق بيوتا وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرن .

وكان عدد جيوش المسلمين في موقعة نهاوند ٣٠٠٠٠٠ وعدد الفرس ١٥٠٠٠٠ تحت قياده الفيرزان قتل منهم في ساحة الحرب ٣٠٠٠٠ وفر الباقون إلى الجبال المجاورة وهناك قتل منهم ٨٠٠٠٠ وفر الفيرزان إلى همدان بينها وبين نهاوند ١٥ فرسخاً .

أما تفاصيل معركة نهاوند غير ما ذكر فهي أن نهاوند كان قد أحاطها الفرس بالخنادق فحاصروهم المسلمون وصاروا يناوشونهم بقصد إخراجهم من الخنادق لقتالهم في العراء لكنهم لم يخرجوا إليهم وبقوا في حصونهم فستم المسلمون طول البقاء والانتظار على هذا الحال بلا جدوى . وأخيراً دبر النعمان خطة لإخراج العدو من مكانه فأمر جيشه بالارتداد سريعاً وخلف أشياء تافهة ليوم العدو فنجحت الخطة إذ هجم الفرس باحتراس مقتفين أثرهم واستمر النعمان في اليوم الثاني متظاهراً بالارتداد والعدو في أثره . ولمسأرى أنه قد استدرجهم إلى مسافة بعيدة عن حصونهم تكفي لقتالهم أمر جيشه بالهجوم في النهار لأنهم كانوا وقتئذ في الليل وفي ثاني يوم اشتبك الجيشان وتقاتلوا قتالاً شديداً أصيب فيه النعمان بسهم فمات شهيداً وحملوه إلى أخيه وفي تاريخ الطبرى :

« وحمل النعمان وحمل الناس وراية النعمان تنقض نحوهم انقضاض العقاب والنعمان معلم ببياض القباء والقلنسوة فاقتلوا بالسيوف قتالاً شديداً ولم يسمع السامعون بوقعة يوم قط كانت أشد منها فقتلوا فيها من أهل فارس فيما بين الزوال والاعتام ما طبق أرض المعركة وما يزلق الناس والدواب فيه وأصيب فرسان من فرسان المسلمين في الزلق في الدماء فزلق فرس النعمان في الدماء فصرعه وأصيب النعمان حين زلق به فرسه وصرع » .

ثم حمل الراية حذيفة كما ذكر وفر من لم يقتل من الفرس إلى

الجبال المجاورة لهمدان ومنهم الفيرزان . فاقتفى المسلمون أثرهم تحت قيادة القعقاع وقتلوا أغلبهم وقتل الفيرزان معهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة واستولى المسلمون على همدان وحينئذ جاءهم رؤساء البلاد من الفرس وصالحوهم على همدان (١)

وبعد انتهاء هذه الواقعة أمر عمر بالانسياح في بلاد الفرس عملاً بمشورة الأحنف بن قيس فعين رؤساء الجنود لافتح البلاد وأرسل بالالوية إلى أصحابها وهم :

(١) الأحنف بن قيس إلى خراسان

(٢) مجاشع بن مسعود السلمي إلى أزدشير خُرة وسابور (٢)

(٣) عثمان بن أبي العاص الثقفي إلى أصطخر

(٤) سارية بن رنيم السكاني إلى فسا ودارا بجرد (٣)

(٥) سهيل بن عدى إلى كرمان (٤)

(١) كانت مدينة همدان ثاني مدينة في الفرس وبها عدد عظيم من اليهود لا يوجد في غيرها

(٢) أزدشير خُرة . قال ياقوت اسم مركب معناه بهاء أزدشير وهي من أجل كور فارس ومنها مدينة شيراز وجور وخبر وممندو الصيمكار والبرجان أما سابور فكورة مشهورة بأرض فارس ومدينتها سابور وبها الأدهان الكثيرة لكثرة بساينها وهي مشهورة بالفواكه ، قرية من الجبال

(٣) فسا مدينة بفارس بينها وبين شيراز أربع مراحل وأما كورة دارا بجرد فإن أكبر مدنها فسا وهي مدينة قديمة ولها حصن وخندق

(٤) كرمان ولاية بين فارس ومكران سجستان وخراسان

(٦) عاصم بن عمرو إلى سجستان (١)

(٧) الحكم بن عمير التغلبي مكران (٢)

وأمدهم عمر بنفر من أهل الكوفة فأمد سهيل بن عدي بعبدالله
ابن عتيان وأمد الأحنف بعلقمة بن النضر وبعبد الله بن أبي عقيل
وبربعي بن عامر وأمد عاصم بن عمرو بعبد الله بن عمير الأشجعي
وأمد الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق في جموع

(غنائم المسلمين في موقعة نهاوند)

دخل المسلمون نهاوند يوم الواقعة بعد الهزيمة واحتوا ما فيها
من الامتعة وغيرها وما حولها من الاسلاب والاثاث وانتظر من
بنهاوند ما يأتهم من إخوانهم الذين على همدان مع القعقاع ونعيم
فأتاهم الهربند صاحب بيت النار على أمان فأبلغ حذيفة فقال أتومني

(١) هي ناحية كبيرة وولاية واسعة وهي جنوبي هراة . سهلة لا يرى بها
جبل وبها نخل كثير وتمر وفي رجالهم عظم خلق وجلادة ويمشون في أسواقهم
وبأيديهم سيوف مشهورة ويعتمون بثلاث عمائم وأربع . وكل واحدة لون ما
بين أحمر وأصفر وأخضر وأبيض وغير ذلك من الالوان على قلانس لهم شبيهة
بالمكوك ويلبسونها لها يظهر ألوان كل واحدة منها وبين سجستان وكرمان
١٣٠ فرسخا

(٢) هذه الولاية بين كرمان من غربها وسجستان شمالها والبحر جنوبها
والهند في شرقها . قال الاصطخري مكران ناحية واسعة عريضة والغالب عليها
المفارز والضر والقحط

ومن شئت ، على أن أخرج لك ذخيرة لكسرى تركت عندي لنواب الزمان وقال نعم . فأحضر جوهراً نفيساً في سفطين فأرسلهما مع الأخماس إلى عمر وكان حذيفة قد نفل منها وأرسل الباقي مع السائب بن الأقرع الثقفي فلما ذهب بهما أدخلهما عمر بيت المال وفي الصباح بعث في أثر السائب وكان عاد إلى الكوفة فرجع إلى المدينة من فوره فلما رآه عمر قال . إلى ومالي وللسائب . قلت ولماذا ؟ قال ويحك والله ما هو إلا أن نمت الليلة التي خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبني إلى السفطين يشتعلان ناراً فيقولون انكوبنك بهما فأقول إني سأقسمهما بين المسلمين فخذها عني فبعها في أعطية المسلمين وأرزاقهم . قال فخرجت بهما فوضعتهما في مسجد الكوفة فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بـ ٢٠٠٠٠٠٠٠ درهم ثم خرج بهما إلى أرض الأجاجم فباعهما بـ ٤٠٠٠٠٠٠٠ درهم وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الراجل ألفين وقد نفل حذيفة من الأخماس من شاء أهل البلاد .

ولما قدم بسبي نهاوند إلى المدينة جعل أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكى وقال أكل عمر كبدي وكان نهاوندياً فأسرتة الروم أيام فارس وأسره المسلمون بعد فتسب إلى حيث سبي

سعد بن أبي وقاص

والساعون هـ

في سنة إحدى وعشرين عندما كان يزد جرد يجمع جموعه لمحاربة المسلمين ثار بسعد قوم سعوا به وألبوا عليه ولم يشغلهم منازل بالناس وكان ممن تحرك في أمره الجراح بن سنان الأسدي في نفر فقال لهم عمر والله ما يمنعني منازل بكم من النظر فيما لديكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس في الاستعداد للفرس وكان محمد صاحب العمال يقتص آثار من شكا زمان عمر . فطاف بسعد على أهل الكوفة يسأل عنه فما سأل عنه جماعة إلا أثنوا عليه خيرا سوى من مالا الجراح الأسدي فانهم سكتوا ولم يقولوا سوءاً لكنهم تعمدوا ترك الثناء حتى انتهى إلى بني عبس فسألهم فقال أسامة بن قتادة اللهم انه لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية ولا يغزو في الريه . فقال سعد اللهم ان كان قاهها رياء وكذبا وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن . فعمى واجتمع عنده عشرينات وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها فاذا عثر عليه قال دعوة سعد الرجل المبارك . ثم دعا سعد على أولئك نفر فقال . اللهم ان كانوا خرجوا أشرا وبطرا ورياء فاجهد بلادهم فجهدوا واقتطع الجراح بالسيوف يوم بارز الحسن بن علي . وقال سعدا إني أول رجل أهرق دما من المشركين ولقد جمع لي رسول الله بين أبويه وما جمعهما لأحد قبلي ولقد رأيتني خمس الاسلام ونبوا أسد

تزعّم انى لأحسن اصلى وان الصىء يلهنى .
خرج محمد بن مسلة بعد ان سمع من الناس ما يقولونه فى سعد
واخذهم إلى المءىنة وسعد معه فقدموا على عمر فأخبروه الخبر : فقال
كف تصلى ياسعد ؟ فقال اطىل الأولىن واحذف الآخرىن فقال
هكذا الفظن بك يا ابا اسحاق ولولا الاحتىاط لكان سىلهم بىناً . وقال
من خلىفتك ياسعد على الكوفة ؟ فقال عبءالله بن عتبىن فأقره وفى
زمانه كانت موقعة نهاونء . ان هذه التهم التى وءهت إلى سعد لم تثبت
طبعاً فمن قال إنه لا فحسن الصلأة فهو مغرض لا فرىء إلا النكائة
برءل من كىبار الصءابة والقاءة لكن عمر رضى الله عنه أراد أن
فضع حداً للفسنة فى وقت اشءباك ءنء المسلمىن بالءرب فعزله وولى
مكانه خلىفته على الكوفة . وكان الخلىفة فعلم أن هذه التهم ءسىسة
ضء سعد لأنه قال للءراح ومن نهض معه « الءلىل على ما عنءكم من
الشء نهوضكم فى هذا الأمر وقد اسءءء لكم من اسءءء وأفم الله
لا فمئعى ءلك من النظر ففما لءفكم وإن نزلوا بكم » لا فخلو إنسان
من الءسء وما أكثر ءساد العظماء والطاعنىن علىهم وما أقل
الواصلىن إلى مرءبئهم وعلو ءءرهم

فتح أصبهان

أصبهان ويقال أصفهان مدينة في العراق العجمي من بلاد فارس واقعة على ضفة نهر زندروذ من جهة الشمال على مسافة ٢١٠ أميال من طهران إلى الجنوب وهي في وسط سهل فسيح يسقيه نهر زندروذ

بعث عمر إلى أصبهان عبد الله بن عبد الله بن عتيان وأمهه بابي موسى وكان عمر قد عزل عبد الله من الكوفة وولى مكانه عمار بن ياسر . فسار عبد الله نحو أصبهان وقاعدتها جي وعلى جندها الاسييدان وعلى مقدمته شهر يار بن جاذويه والملك بها الفاذوسفان وبعد أن حاصرها وقاتلها صالحه الفاذوسفان على أصبهان على أن من شاء أقام ودفع الجزية وأقام على ماله وعلى أن تجرى من أخذتم أرضه عنوة مجرام ويتراجعون ومن أبي أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء ولكم أرضه . قال لكم ذلك فرضى اهل جي" بالصلح إلا ثلاثين رجلا من اهل اصبهان لحقوا بكرمان ودخل عبد الله وابو موسى جيا وكتب بذلك إلى عمر فقدم كتاب عمر إلى عبد الله ان سر حتى تقدم على سهيل بن عدى فتكون معه على قتال من بكرمان . فساروا واستخلف على اصبهان السائب بن الاقرع ولحق بسهيل قبل ان يصل إلى كerman . وهذا نص كتاب صلح اصبهان :

« بسم الله الرحمن الرحيم . كتاب من عبد الله للفاذوسفان واهل
اصبهان وحواليها . إنكم آمنون ما اديتم الجزية وعليكم من الجزية
بقدر طاقتكم في كل سنة تؤدونها إلى الذي يلي بلادكم عن كل حالم
ودلالة المسلم وإصلاح طريقه وقراه يوماً وليلة وحملان الراجل إلى
مرحلة . لا تسلطوا على مسلم . وللمسلمين نصحكم واداء ما عليكم ولكم
الآمان ما فعلتم . فاذا غيرتم شيئاً او غيره مغير منكم ولم تسلموه فلا
آمان لكم . ومن سب مسلماً بلغ منه فان ضربه قتلناه . وكتب وشهد
عبد الله بن قيس وعبد الله بن ورقاء وعصمة بن عبد الله »

فتح آذربيجان

بينما نعيم بهمدان في اثني عشر الفا من الجند كاتب الديلم واهل
الري آذربيجان واحتشدوا في واج رود^(١) بين همذان وقزوين
فسار اليهم واقتلوا قتالا شديدا وكانت موقعة عظيمة تعدل بنهاوند
فانهزم الفرس هزيمة قبيحة فارسلوا إلى عمر بالفتح فامر نعيماً ان
يقصد الري ويقا تل من بها والمقام بها بعد فتحها

(١) واج رود موضع بين همذان وقزوين . قال نعيم أمير الجيش يذكر

هذه الموقعة :

صدمناهم في واج رود بجمعنا غداة رميناهم باحدى العظام
فما صبروا في حومة الموت ساعة لحد الرماح والسيوف الصوارم

فتح الري وغيرها

سنة ٢٢ هـ - ٦٤٣ م

الري بلدة في بلاد الديلم من العراق العجمي على خمسة كيلو
مترات من طهران إلى جنوبي شرقيها . كانت مدينة مشهورة من
امهات البلاد واعلام المدن . قال مؤرخو العرب انها قسبة بلاد
الجبال بينها وبين نيسابور ١٦٠ فرسخا وبينها وبين قزوین ٢٧
فرسخا وهي محط الحاج على طريق السابلة . قال الأصطخري انها
كانت اكبر من اصبهان لأنه قال وليس بالجبال بعد الري اكبر من
اصبهان ثم قال والري مدينة ليس بعد بغداد في المشرق اعمر منها
وإن كانت نيسابور اكبر عرصة منها

عول عمر بن الخطاب رضى الله عنه على ان يسير جيوش
المسلمين في بلاد الفرس لغزوها بلا توقف وابي يزيد جرد يخضع
وقد اجتمعت الشعوب التي تقطن جنوب بحر قزوین تحت قيادة
اسفندياذ اخي رستم للدفاع عن الري فسار المسلمون تحت قيادة
نعيم لقتالهم فهزموهم وارتد اسفندياذ إلى اذربيجان فانهزم هناك
ايضا وأسر . اما يزيد جرد فانه فر من الري إلى اصبهان واسند الدفاع
عنها إلى ملك الري وهو سياوخش بن مهران بن بهرام . فاستمد
سياوخش اهل ذنباوند وقومس وجرجان فأمدوه خوفا من المسلمين
فالتقوا مع المسلمين في سفح جبل الري إلى جنب مدينتها فاقتلوا به

وكان نعيم لما انصرف من واج روذ وقدم الري لقي رجلا من الرؤساء يقال له الزينبي فطلب من نعيم الصلح مخالفاً لملك الري وهو سياوخش الذي مر ذكره . وقال له إن القوم كثير وأنت في قلة فابعث معي خيلاً أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدم أنت فانهم إذا خرجنا عليهم لم يثبوا لك فبعث معه نعيم خيلاً من الليل . عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو فأدخلهم الزينبي المدينة ولا يشعر القوم فقاتلوهم وهزم أهل الري فلم يزل شرف الري في أهل الزينبي وأخرب نعيم مدينتهم وهي التي نقال العتيقة وأمر الزينبي فبنى مدينة الري الحديثة وكتب نعيم إلى عمر بالفتح وأنفذ الأخماس .

ولما تلقى عمر خبر فتح الري أرسل إلى نعيم يأمره بإرسال أخيه سويد بن مقرن ومعه هند بن عمرو والجملي وغيره إلى قومس^(١) فاستولى عليها سويد بلا حرب وصالحه الذين لجأوا إلى طبرستان ثم سار إلى جرجان^(٢) فصالحه ملكها زرنان على الجزية وكفاية حرب جرجان وأن يعينه سويد إن غلب فأجابه سويد إلى ذلك

(١) كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبال طبرستان

(٢) جرجان مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان على واد عظيم

(صلح أهل الري)

كتب نعيم لأهل الري كتاب الصلح وهذا نصه :
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى نعيم بن مقرن الزينبي
ابن قوله الأمان على أهل الري ومن كان معهم من غيرهم الجزاء طاقة
كل حالم في كل سنة وعلى أن ينصحوا ويدلوا ولا يغلوا ولا يسلوا
وعلى أن يقرؤا المسلمين يوما وليلة وعلى أن يفخموا المسلم فمن سب
مسلمًا أو استخف به نهك عقوبة ومن ضربه قتل ومن بدل منهم
فلم يسلم برمته فقد غير جماعتكم وكتب وشهد »
وكتب كتاب صلح إلى أهل قومس وجرجان وطبرستان
بهذا المعنى

فتح مدينة الباب

الباب أو باب الأبواب مدينة على بحر طبرستان وهو بحر
الخرز وهي أحد الثغور العظيمة وإلى جنبها جبل يعرف بالذئب
رد عمر أبا موسى إلى البصرة ورد سراقه بن عمرو وكان يدعى
ذا النور إلى الباب وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة وجعل
على إحدى المجنبتين حذيفة بن أسيد الغفاري وللأخرى بكير بن
عبد الله الليثي وكان بازاء الباب قبل قدوم سراقه بن عمرو عليه
فلما جاءت المقدمة وعليها عبد الرحمن كاتبه ملكها يومئذ شهر براز

وهو رجل من أهل فارس واستأمنه ليأتيه فأمنه فجاءه شهر براز وقال له :

« إني بازاء عدو كلب وأمم مختلفة لا ينسبون إلى أحساب وليس ينبغي لذي الحسب والعقل أن يعين أمثال هؤلاء ولا يستعين بهم على ذوى الأحساب والأصول وذو الحسب قريب ذى الحسب حيث كان ولست من القَبَج في شيء ولا من الأرمين . وإنكم قد غلبتم على بلادى وأمتى فأنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم وصفوى معكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا إليكم النصر لكم والقيام بما تحبون فلا تذلونى بالجزية فتوهنونا لعدوكم »

فقال عبد الرحمن :

« فوقى رجل قد أظلك فسر إليه » فسار إلى سراقه وكلبه بمثل هذا الكلام بقصد إعفائه من الجزية . فقال سراقه :

« قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا مادام عليه ولا بد من الجزاء فيمن يقيم ولا ينهض »

فقبل ذلك وصار سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين وفيمن لم يكن عنده الجزاء إلا أن يستنفروا فتوضع عنهم جزاء تلك السنة . وكتب بذلك سراقه إلى عمر فأذن له وحسنه . وهذا نص الكتاب الذى كتبه سراقه لشهر براز :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سراقه بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر براز وسكان أرمينية والأرمين

من الأمان . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وملتهم . ألا يضاروا
ولا ينتقضوا وعلى أهل أرمينية الطّراء منهم والتّناء ومن حولهم
فدخل معهم أن ينفروا لكل عارة وينفذوا لكل أمر ناب أو لم
ينب رآه الوالى صلاحاً على ان يوضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك
إلا الحشر ، الحشر عوض من جزائهم ومن استغنى عنه منهم وقعد
فعلية مثل ما على أهل آذر بيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوماً
كاملًا . فان حشروا وضع ذلك عنهم وإن تركوا أخذوا به . شهد
عبد الرحمن بن ربيعة ، وسلمان بن ربيعة ، وبكير بن عبد الله ،
وكتب مرضى بن مقرن وشهد »

بعد ذلك وجه سراقة جيشاً لمحاربة أهل الجبال المحيطة بأرمينية
وصالح بكير أهل موقان من جبال القبيج على الجزية دينار عن كل
حالم أو قيمته ، وموقان ولاية بآذربيجان يمر القاصد من اردبيل إلى
تبريز في الجبال

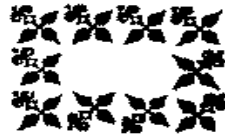
مات سراقة بن عمرو واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة فأقره عمر
وكان عبد الرحمن يدعى ايضاً ذا النور كسراقة

غزو الترك

وامر عمر عبد الرحمن بغزو الترك فخرج بجيشه حتى قطع الباب
فقال له شهر براز : ما تريد ان تصنع ؟ قال اريد بلنجر (مدينة ببلاد
الخرز خلف باب الأبواب ،

قال شهر براز : إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب . قال
لكنا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم في ديارهم . وتالله إن معنا
لأقواماً لو يأذن لنا أميرنا لبلغت بهم الردم . قال وما هم ؟ قال قوم
صحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا في هذا الأمر نية .
كانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية . فازداد حياؤهم وتكرمهم
فلا يزال هذا الأمر دائماً لهم ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم
من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم من غيرهم

زحف عبدالرحمن بن ربيعة بجيشه فلما دخل عليهم خافهم الترك
في أول الأمر وقالوا إن هؤلاء ملائكة لا يعمل فيهم السلاح .
فاتفق أن تركياً اخفى في غيضة ورشق مسلماً بسهم فقتله فآدى في
قومه إن هؤلاء يموتون كما تموتون . فلم تخافوهم . فاجترؤا عليهم
وأوقعوهم حتى استشهد عبدالرحمن بن ربيعة قائد جيش المسلمين
وأخذ الراية أخوه ولم يزل يقاتل حتى أمكنه دون أخيه بنواحي
بلنجر ورجع ببقية المسلمين على طريق جيلان



مقتل عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

(٢٤ ذى الحجة سنة ٢٣ هـ - ٣ نوفمبر سنة ٦٤٤ م)

روى ان عمر قال فى اواخر حياته « اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط » قال ذلك بمكة وهو يحج فلما قدم المدينة خطب الناس فقال :
« ايها الناس قد فرضت لكم الفرائض ، وسنت لكم السنن وتركتم على الواضحة » ثم صفق يمينه على شماله « الا ان تضلوا بالناس يمينا وشمالا ثم اياكم ان تهلكوا عن آية الرجم وان يقول قائل لانحد حدين فى كتاب الله . فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ورجمنا بعده . فوالله لولا ان يقول الناس احدث عمر فى كتاب الله لكتبها فى المصحف فقد قرأناها » والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة »

وروى ان عمر قال رأيت كأن ديكاً نقرنى نقرتين فقلت يسوق الله إلى الشهادة ويقتلنى عجمي^(١) وعلى كل حال كان عمر يتوق ان يموت شهيداً . وهذه الرواية رويت من مصادر متعددة وقد قصها

(١) طبقات ابن سعد ، عمر ،

عمر في العام الذي توفي فيه بعد ان عاد من حجة الى المدينة وذلك بأن خطب الناس يوم الجمعة وقص عليهم ما رأى وفي رواية ان اسماء بنت عميس هي التي فسرت له رؤياه فان الديك في الرؤيا يفسر برجل من العجم . واسماء بنت عميس هي زوجة ابي بكر الصديق وقد كان عالماً بتعبير الرؤيا ولا شك انها استفادت منه

ان الذي طعن عمر هو ابو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة والمغيرة صحابي اسلم عام الخندق وكان موصوفاً بالدهاء والحلم . قيل انه احصن ثلاثمائة امرأة في الاسلام وقيل اكثر . ولده عمر البصرة ثم نقله عنها فولاه الكوفة فلم يزل عليها حتى قتل عمر فأمره عليها عثمان ثم عزله وشهد اليمامة وفتح الشام وذهبت عينه يوم اليرموك وشهد القادسية وفتح نهاوند وهمدان وغيرها

وكان عمر اذا دخل المسجد قام بين الصفوف ثم قال استووا فاذا استووا تقدم فكبر . فلما كبر طعن فقال قتاني الكلب . وطار ابو لؤلؤة في يده سكين ذات طرفين ما يمر برجل يمينا ولا شمالا إلا طعنه فاصاب ثلاثة عشر رجلا من المسلمين فمات منهم تسعة

فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا له ليأخذه فلما ظن انه مأخوذ نحر نفسه

لم يكن عمر قد اتم الصلاة فأخذ العباس بيد عبد الرحمن بن عوف وقدمه فصلوا الفجر يومئذ صلاة خفيفة ^(١) فاما نواحي

(١) قرأ عبد الرحمن أقصر سورتين في القرآن والعصر ولانا أعطيناك الكوثر

المسجد فلا يدرون ما الأمر الا انهم حين فقدوا صوت عمر جعلوا يقولون - سبحان الله - فلما انصرفوا كان أول من دخل على عمر ابن عباس . فقال انظر من قتلتني فخرج ابن عباس فجال ساعة ثم اتاه فقال غلام المغيرة بن شعبة الصناع وكان نجارا . قال والله قاتله الله والله لقد كنت امرت به معروفا . ثم قال « الحمد لله الذي لم يجعل مني بيد رجل يدعى الى الاسلام »

(ديوانه)

ودعا عمر رضى الله عنه ابنه عبد الله فقال له انظر كم على من الدين فحسبه عبد الله فوجده ٨٦ ألف درهم ، فقال يا عبد الله ، ان وفي لها مال آل عمر فأدها عنى من اموالهم وان لم تف فاسأل فيها بنى عدى بن كعب فان لم تف من اموالهم فاسأل فيها قريشا ولا تعدهم الى غيرهم

(استئذان عائشة فى دفنه بقبر رسول الله)

ثم قال يا عبد الله اذهب الى عائشة ام المؤمنين فقل لها يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل امير المؤمنين فانى لست لهم اليوم بأمر ، يقول تاذنين له ان يدفن مع صاحبيه ، فأتاها ابن عمر فوجدها قاعدة تبكى فسلم عليها ثم قال ، يستأذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فقالت والله كنت اريده لنفسى ولا وثرته به اليوم على نفسى فلما

جاء قيل هذا عبد الله بن عمر فقال عمر ارفعاني . فاستده رجل اليه . فقال ما لديك ؟ فقال اذنت لك . قال عمر ما كان شيء اهم إلى من ذلك المضجع . يا عبد الله بن عمر انظر إذا أنا مت فاحملني على سريري ثم قف بي على الباب فقل يستأذن عمر بن الخطاب فان اذنت لي فادخلني وإن لم تأذن فادقني في مقابر المسلمين ، فلما حمل فسكان المسلمين لم تصبهم مصيبة إلا يومئذ ، فاذنت له فدفن رحمه الله حيث اكرمه الله مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر

(الخلافة شورى)

ولما حضرته الوفاة قالوا له استخلف ، فقال لا اجد احداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فأبهم استخلف فهو الخليفة من بعدى ، فسمى عليا وثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص فان اصابت سعداً فذاك وإلا فأبهم استخلف فليستعن به فاني لم اعزله عن عجز ولا خيانة ، وجعل عبد الله معهم يشاورونه وليس له من الأمر شيء ، وقيل انه قال للانصار ادخلوهم بيتا ثلاثة ايام فان استقاموا وإلا فادخلوا عليهم فاضربوا أعناقهم

(اختيار الخليفة)

لما اجتمع هؤلاء الذين ذكرهم عمر ، قال عبد الرحمن اجعلوا

امركم الى ثلاثة نفر منكم ؛ فجعل الزبير امره الى علي ، وجعل طلحة امره الى عثمان ، وجعل سعد امره الى عبد الرحمن

فاتم اولئك الثلاثة حين جعل الامر إليهم فقال عبد الرحمن ايكم يبرأ من الامر ويجعل الامر الى ولكم الله على الا آلوكم عن افضلكم وخيركم للمسلمين فاسكت الشيخان علي وعثمان فقال عبد الرحمن تجعلانه الى وانا اخرج منها فوالله لا آلوكم عن افضلكم وخيركم للمسلمين ! قالوا نعم فخلا بعلي فقال إنك القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم والله عليك لئن استخلفت لتعدلن ولئن استخلف عثمان لتسمعن ولتطيعن ؟ فقال نعم ، وخلا بعثمان فقال مثل ذلك ؛ فقال عثمان فنعم ، قال ابسط يدك يا عثمان فبسط يده فبايعه علي والناس

بذلك تم اختيار عثمان للخلافة وهما يجدر بي ان الاحظ ان عمر بالرغم من حصره الشورى في هؤلاء الستة اظهر ميله الى اختيار سعد بن ابي وقاص لانه قال « فان اصاب سعدا فذاك » ثم رد على ما قد يعترض عليه من انه عزل سعدا بان قال « فاني لم اعزله عن عجز ولا خيانة » الا انهم لم يتاثروا بتصريحه وقد تم اختيار عثمان بمهارة عبد الرحمن بن عوف فانه لما اخرج نفسه لم يبق غير علي وعثمان وقد فوضا اليه امر اختيار احدهما للخلافة ثم انه حسبا لما قد يحدث من النزاع اخذ من كل منهما عهدا بالطاعة اذا اختير احدهما وعلى ذلك بايع عثمان ، والذي دعا عبد الرحمن الى مبايعة

عثمان هو أنه استشار خلال هذه الليالي الثلاث أصحاب رسول الله
ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشرف الناس فأشاروا عليه
بعثمان غير أن بعضهم كان يميل إلى علي كما سيأتي . وقد جاء في طبقات
ابن سعد ان عبد الرحمن اختلى بعلي ثم بعثمان ثم بايع عثمان وهو ما
ذكرناه آنفاً والأقرب إلى الصواب أن البيعة كانت علانية كما جاء في
الطبري وهو أنهم لما صلوا الصبح جمع عبدالرحمن الرهط وبعث إلى
من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الانصار وإلى
امراء الأجناد فاجتمعوا حتى التج المسجد بأهله فقال أيها الناس إن
الناس قد أحبوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم وقد علموا من
أميرهم . فقال سعيد بن زيد إنا نراك أهلاً . فقال أشيروا علي بغير
هذا . فقال عمار إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع علياً . فقال
المقداد بن الأسود صدق عمار . إن بايعت علياً قلنا سمعنا وأطعنا .
قال ابن أبي سرح إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان فقال
عبد الله بن أبي ربيعة صدق إن بايعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا .
فشتم عمار ابن أبي سرح وقال متى كنت تنصح المسلمين فتكلم
بنو هاشم وبنو أمية فقال عمار:

« أيها الناس إن الله عز وجل أكرمنا بنيه وأعزنا بدينه فإني
تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم »

فقال رجل لقد عدوت طورك يا ابن سمية . وما انت وتأمير

قريش لأنفسها !!

فقال سعد بن ابى وقاص يا عبد الرحمن أفرغ قبل أن يفتن
الناس .

فقال عبد الرحمن إني قد نظرت وشاورت فلا تجعلن أيها الرهط
على أنفسكم سيلا

ودعا عليا فقال عليك عهد الله وميثاقه لئعملن بكتاب الله وسنة
رسوله وسيرة الخليفين من بعده . قال أرجو أن افعل واعمل بمبلغ
علي وطاقى

ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي . قال نعم فبايعه

فقال على حبوته حبو دهر . ليس هذا اول يوم تظاهرتم فيه
علينا ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله ما وليت عثمان
إلا ليرد الأمر إليك والله كل يوم هو فى شأن

فقال عبد الرحمن يا على لا تجعل على نفسك سيلا فاني نظرت
وشاورت الناس فاذا هم لا يعدلون بعثمان ، فخرج على وهو يقول
سيلغ الكتاب أجله

فقال المقداد : يا عبد الرحمن اما والله لقد تركته وإنه من الذين
يقضون بالحق وبه يعدلون

فقال يا مقداد والله لقد اجتهدت للسليين ، ان كنت اردت
بذلك الله فائابك ثواب المحسنين . فقال المقداد ما رايت مثل ما
أوتي الى اهل هذا البيت بعد نبيهم . اني لأعجب من قريش انهم تركوا
رجلا ما اقول أن أحداً اعلم ولا اقضى منه بالعدل ، اما والله لو

أجد عليه أعوانا

فقال عبد الرحمن يا مقداد اتق الله فاني خائف عليك الفتنة
فقال رجل للمقداد رحمك الله من اهل هذا البيت ومن هذا
الرجل ؟

قال أهل البيت بنو عبد المطلب والرجل علي بن ابي طالب (١)
فقال علي ان الناس ينظرون الى قريش وقريش تنظر الى بيتها
فتقول ان ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم ابدأ وما كانت في غيرهم
من قريش تداولتموها بينكم

وقد كان طلحة (٢) غائبا فقدم في اليوم الذي بويع فيه لعثمان
فقيل له بايع عثمان . فقال له عثمان انت علي راس امرك ان ابيت
رددتها ، قال اتردها ؟ قال نعم . قال اكل الناس بايعوك ؟ قال نعم قال
قد رضيت لا ارغب عما قد اجمعوا عليه وبايعه

بايع عبد الرحمن عثمان لانه كما قال نظر وشاور وهو مع ذلك
صهر عثمان ولكن كان لعلي حزب وكان له رجال يؤيدونه فلو كان

(١) المقداد بن الأسود قدم الاسلام والصحبة من السابقين إلى الاسلام
قال ابن مسعود اول من اظهر إسلامه بمكة سبعة منهم المقداد بن الاسود وهاجر
إلى الحبشة

(٢) طلحة بن عبيد الله أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله بالجنة واحد
الثمانية السابقين إلى الاسلام وأحد الخمسة الذين اسلموا على يد ابي بكر وأحد
الستة اصحاب الشورى الذين تولى رسول الله وهو عنهم راض وسماه رسول الله
طلحة الخير وطلحة الجود وهو من المهاجرين الاولين

هناك نظام للانتخابات كالنظم الحديثة لخضع كل لنتيجة الانتخابات
وزال الشك بتجلى رغبة الأمة . نعم إن للنظم الحديثة معايب ومساوى
لكنها على كل حال أضمن ولاشك أن لهم الفضل في تقرير الشورى
في الخلافة، وفي الطبري رواية مضمونها أن علياً خدع وصرح بذلك
بعد اختيار عثمان . خدعه عمرو بن العاص إذ لقيه في ليالى الشورى
فقال إن عبد الرحمن رجل مجتهد وانه متى أعطيته العزيمة كان أزهد
له فيك ولكن الجهد والطاقة فانه أرغب له فيك ثم لقي عثمان فقال
إن عبد الرحمن رجل مجتهد وليس والله يبايعك إلا بالعزيمة فاقبل
فلذلك قال علي خدعة وقد كان عمرو بن العاص وقتئذ بالمدينة لأننا
نرى أنه هو الذى أخذ السيف من عبيد الله بن عمر كما سيأتى

وإذا صحت رواية الطبري هذه فيكون على قد خدع بقول
عمرو بن العاص لأنه أجاب عبد الرحمن لما دعاه بقوله أرجو أن
أفعل وأعمل بمبلغ على وطاقتى أما عثمان فانه قال نعم كما تقدم فعلى
أجاب بالجهد والطاقة وأجاب عثمان بالعزيمة فبايع عثمان

(وصية عمر للناس)

بعد أن طعن عمر دخل عليه أصحاب رسول الله ثم أهل المدينة
ثم أهل الشام ثم أهل العراق . وكلما دخل عليه قوم بكوا وأثنوا
عليه فسأله بعضهم الوصية فقال:

« أوصيكم بكتاب الله فانكم لن تضلوا ما اتبعتموه وأوصيكم

بالمهاجرين فان الناس يكثرون ويقولون وأوصيكم بالانصار فانهم
شعب الاسلام الذى لجأ إليه واوصيكم بالأعراب فانهم أصلكم
ومادتكم - وفي رواية - وإخوانكم وعدو عدوكم وأوصيكم بأهل
الذمة فانهم ذمة نبيكم وأرزاق عيالكم . قوموا عنى »

(وصيته للخليفة من بعده)

قال عمر رضى الله عنه يوصى الخليفة من بعده :
« أوصى الخليفة من بعدى بتقوى الله والمهاجرين الأولين أن
يحفظ لهم حقهم وان يعرف لهم حرمتهم وأوصيه بأهل الأمصار
خيراً فانهم ردة الاسلام وغيظ العدو . وجباة المال . ان لا يؤخذ
منهم إلا فضلهم عن رضى منهم وأوصيه بالانصار الذين تبوءوا
الدار والايمان ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئتهم واوصيه
بالاعراب خيراً فانهم اصل العرب ومادة الاسلام وان يؤخذ من
حواشى اموالهم فيرد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله
ان يوفى لهم بعهده وان لا يكلفوا إلا طاقتهم وان يقاتل من
وراءهم »

هاتان وصيتان لعمر ، الأولى للناس عامة ، والثانية للخليفة
خاصة ، وقد بدأ وصيته الأولى « بكتاب الله » والثانية « بتقوى
الله » وهذا دليل على تمسكه بعقيدته إلى النهاية . تلك العقيدة التى
رسخت فى نفسه ولم تزحزحها ظروف الحدثنان . ثم انه على شدته

المعمودة قدمات وليس في قلبه حقد على احد بل كانت وصيته إلى الخليفة من بعده ان يشفق على الناس ويرعى الفقراء لقوله عن الأنصار « ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم » ووصيته بالأعراب « ان يؤخذ من حواشي أموالهم فيرد على فقرائهم . وان لا يكلفوا إلا طاقتهم »

روى جبير بن مطعم قال اخبرت ان عمر قال لعلي ان وليت من أمر المؤمنين شيئاً فلا تحملن بنى عبد المطلب على رقاب الناس وقال لعثمان يا عثمان إن وليت من أمر المسلمين شيئاً فلا تحملن بنى بني معيط على رقاب الناس اه . كذلك قال لعبد الرحمن « فان كنت على شئ من أمر الناس يا عبد الرحمن فلا تحمل ذوى قرابتك على رقاب الناس » من هذا يتبين ان عمر كان يخشى ان يحابي الخليفة بعده اقاربه فيضيع الانصاف ويحرم ذوى الكفاآت والمستحقين وقد تهضم حقوق

(ابو لؤلؤة قاتل عمر)

كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده صانعا ويستأذنه ان يدخله المدينة ويقول إن عنده اعمالاً كثيرة فيها منافع للناس انه حداد ، نقاش ، نجار فكتب اليه عمر فاذن له ان يرسله إلى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم كل شهر^(١) فجاء إلى عمر

(١) وقيل ١٢٠ درهما في الشهر اى اربعة دراهم في اليوم

يشتكى إليه شدة الخراج . فقال له عمر . ماذا تحسن من العمل ؟
فذكر له الأعمال التي يحسنها . فقال له عمر ما خراجك بكثير في
كنه عمالك . فانصرف ساخطا يتذمر . فلبث عمر ليالي . ثم ان العبد
مر به فدعاه فقال له . ألم أحدثك أنك تقول لو أشاء لصنعت رحي
تطحن بالريح ؟ فالتفت العبد ساخطا عابساً إلى عمر ومع عمر رهط
فقال « لأصنعن لك رحي يتحدث بها الناس » فلما ولى العبد ، أقبل
عمر على الرهط الذين معه فقال لهم أوعدني العبد آنفا . فلبث ليالي
ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذى رأسين نصابه في وسطه وطعنه
كما تقدم وكانت إحدى الطعنات تحت السرة

وكان أبو لؤلؤة من جهة أخرى حاقداً على عمر لأن العرب فتحوا
بلاده فكان إذا نظر إلى السبي الصغار يأتي فيمسح رمو سهم ويبيكى
ويقول « إن العرب أكلت كبدي » وقد كان من سبي نهاوند

(عبيد الله بن عمر وقتله الهرمزان)

لما أضمر أبو لؤلؤة على قتل عمر اصطنع له خنجراً له رأسان
وشحذه وسمه ثم أتى به الهرمزان . فقال كيف ترى هذا ؟ قال أرى
أنك لا تضرب به أحداً إلا قتلته^(١) وكان الهرمزان من قواد الفرس
وقد أسره المسلمون بتستر وأرسلوه إلى المدينة فلما رأى عمر سأل:
ابن حرسه وحجابه ؟ قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب

(١) اسد الغابة

ولا ديوان . فقال : « ينبغي له أن يكون نيا » ثم أسلم وفرض له
عمر على ألفين وأنزله المدينة

وفي طبقات ابن سعد رواية عن نافع قال رأى عبد الرحمن السكين
التي قتل بها عمر . فقال رأيت هذه أمس مع الهرمزان وجفينة فقلت
ماتصنعان بهذه السكين فقالا نقطع بها اللحم فانا لانمس اللحم فقال
له عبيد الله بن عمر . أنت رأيتها معهما ؟ قال نعم . فأخذ سيفه ثم
أتاهما فقتلها . فأرسل إليه عثمان فأتاه فقال ما حملك على قتل هذين
الرجلين وهما في ذمتنا فأخذ عبيد الله عثمان فصرعه حتى قام الناس
إليه فحجزوه عنه . وكان حين بعث إليه عثمان تقلد السيف فعزم
عليه عبد الرحمن أن يضعه فوضعه

وعن سعيد بن المسيب : ان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
قال حين قتل عمر . قد مررت على أبي لؤلؤة قاتل عمر ومعه جفينة
والهرمزان وهم نجى . فلما بغتهم ثاروا فسقط من بينهم خنجر له
راسان ونصابه وسطه . فانظروا ما الخنجر الذي قتل به عمر فوجدوه
الخنجر الذي نعت عبد الرحمن بن أبي بكر . فانطلق عبيد الله بن
عمر حين سمع ذلك من عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه السيف حتى
دعا الهرمزان فلما خرج إليه قال انطلق معي حتى تنظر إلى فرس لي
وتأخر عنه حتى إذا مضى بين يديه علاه بالسيف قال عبيد الله فلما
وجد حر السيف قال لا إله إلا الله . قال عبيد الله : ودعوت جفينة
وكان نصرانيا من نصارى الحيرة وكان ظهيرا لسعد بن أبي وقاص

أقدمه المدينة للصلح الذي كان بينه وبينه وكان يعلم الكتابة بالمدينة فلما علوته بالسيف صلب بين عينيه ثم انطلق عبيد الله فقتل ابنة لآبي لؤلؤة صغيرة تدعى الاسلام وأراد عبيد الله أن لا يترك سبيا بالمدينة يومئذ إلا قتله . فاجتمع المهاجرون الأولون عليه ونهوه وتوعده فقال والله لأقتلنهم وغيرهم وعرض ببعض المهاجرين فلم يزل عمرو ابن العاص به حتى دفع إليه السيف ثم أتاه سعد بن ابى وقاص فأخذ كل واحد منهما برأس صاحبه يتناصيان حتى حجز بينهما ثم أقبل عثمان قبل أن يبايع له في تلك الليالي حتى واقع عبيد الله فناصيا وأظلمت الأرض يوم قتل عبيد الله جفينة والهرمزان وابنة أبى لؤلؤة على الناس ثم حجز بينه وبين عثمان وكان عثمان يقول له « قاتلك الله قتلت رجلا يصلى وصدية صغيرة وآخر من ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ما فى الحق تركك »

(مؤامرة الهرمزان وجفينة على قتل عمر)

ذكرنا السبب الذى دفع أبا لؤلؤة الى قتل عمر والروايات التى عندنا تدل على أن هناك كانت مؤامرة لقتله رضى الله عنه دبرها الهرمزان منتهزا فرصة حقد أبى لؤلؤة على عمر وكلاهما عجمي ثم أن الهرمزان لما أسر وارسل إلى المدينة اسلم مرغما خشية أن يقتله الخليفة . ففي رواية نافع المذكورة فى طبقات ابن سعد أن عبدالرحمن رأى السكين التى قتل بها عمر وفي رواية سعيد ابن المسيب أن عبد الرحمن بن أبى بكر رأى الخنجر سقط من بين أبى لؤلؤة

والهرمزان وجفينة عند ما باغتهم أثناء سيرهم فلما سمع ذلك عبيد الله من عبد الرحمن انطلق في الحال وقتلها ولم يقتصر على ذلك بل قتل ابنة أبي لؤلؤة مدفوعا بعامل الانتقام ثم ان الخنجر الذي وصفه عبد الرحمن ينطبق على الخنجر الذي قتل به عمر ولولا تسرع عبيد الله بقتل الهرمزان وجفينة لكان في الامكان استدعاؤهما للتحقيق معهما وعندها كان يظهر سر المؤامرة وقد ورد في الشعر الذي رثى به حسان بن ثابت او عاتكة ابنة زيد اسم الهرمزان حيث قال :

فجعنى فيروز لا در دره بأبيض يتلو المحكمات منيب
لذلك كله نعتقد بأن هناك مؤامرة مدبرة وإنما الذي نفذ القتل هو ابو لؤلؤة

(دفنه رضى الله عنه)

كان عمر قد نقل إلى بيته بعد أن طعن وفي صباح يوم الأحد خرجوا به فدفن في بيت عائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وتقدم صهيب فصلى عليه وتقدم من قبل ذلك رجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علي وعثمان واحد من عند راسه والآخر عند رجليه . فقال عبد الرحمن . لا إله إلا الله ما أحرصكما على الامرة !! أما عليتما انه امير المؤمنين؟ قال ليصل بالناس صهيب فصلى صهيب عليه ونزل في قبره عثمان وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وعبد الله بن عمر (تم الكتاب والحمد لله)

فهرس بأسماء الرجال والنساء والقبائل

(الأرقام تشير إلى صفحات الكتاب)

أبو ادريس الخولاني : ٢٢٧	(١)
أبو الأعور السلمي : ١٩٠، ٩٤	أذين بن الهرمزان : ١٧٣
أبو أيوب المالكي : ١٩٠	إبان بن سعيد بن العاص : ٨٩
أبو بكر الصديق : ١٩٦، ١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٩٦	إبراهيم عليه السلام : ١١٠، ٩٣ (ها.ش) ١٦٢
٩٣، ٧٢، ٥٥، ٤٤، ٤٨، ٤٦، ٤٣، ٣٨، ٣١	ابن أبي سرح : ٣١٩
٢٤، ٢٣، ٢٠، ١٩، ١٤، ١٠، ٦	ابن الأثير : ٣٥، ١٠٠، ٩٧، ٨٤، ٣٥
٢٨، ٣١٧، ٣٢، ٢٨، ٢٧	٨٧، ٢٧٦، ٥٧
أبو بكر الهدلي : ٢٩٦	ابن إسحاق : ١٥٦، ١٤ (ها.ش) ٢١٧
أبو بكر : ١٧٧	ابن إياس : ٢٧٢
أبو جهل : ٢١، ١٥	ابن بطوطة : ٢٢٩ (ها.ش)
أبو حنيفة : ٤٨	ابن بقلبة : ١٣١
أبو الدرداء : ٢٤٦، ٥١ (ها.ش)	ابن الحاجب : ١٦٦
أبو ذؤب : ٤٢	ابن حوقل : ٢٣٧ (ها.ش)
أبو الزهر القشيري : ٢١٥	ابن خلدون : ٢٧٦
أبو زيد "طائي" : ٧٧	ابن سعد : ٢٧، ٢٦، ٣١٩، ٤٦، ٤٥
أبو سبرة بن أبي رهم : ٩٧، ٩١، ٢٨٢	ابن عباس : ١١، ٢٠، ١٨٦، ٣١٦
أبو سفيان : ٢٢	ابن عبد الحكم : ٧٦، ٧٣، ٢٦٥
أبو سلة بن عبد الأسد : ٢٢١	ابن قنفة : ٢٣
أبو طلحة الانصاري : ٢٢٢	ابن الكلبي : ٩٢
أبو عبيد بن مسعود الثقفي : ٧٢، ٧٦	ابن لهيعة : ٢٦٥
٢٨٦، ١٩٠، ٧٨	ابن مسعود - انظر «عبدالله بن مسعود»
أبو عبيدة بن الجراح : ٩٣، ٩٥، ٩٧	ابن نجبة : ١٥٧
٨٥، ٨٢، ٨١، ٤٨، ١٢، ٨ - ١٠١	ابن الهزبل الأسدي : ١٧٣

- أسلم مولى عمر بن الخطاب : ٤١ ، ٤٢
أسماء بنت عميس : ٤٤ ، ٣١٥
أسماء بنت مخزوم : ٢١
اسماعيل رافت بك : ٢٧٧
الأسود بن يزيد : ١٣٢
الأشعث بن قيس : ١١٧ ، ٢٧٤ ، ٤٥٠ ، ٢٩٩
الاصطخري : ٣٠٢ (هامش) ٣٠٨
الاصمعي : ٩٢
الأعرابي بن الأعمى : ١٥٠
الاعرج : ٢٤١ ، ٤٤
أفريدون كابي : ١٥٩ (هامش)
الأكراد : ٢٨٦ ، ٨٨
امرؤ القيس : ٢١٤ (هامش)
أم حكيم بنت الحارث : ٩
أم سلة زوجة رسول الله : ٤٤
أم كلثوم بنت جبرول : ٩
أم كلثوم بنت رسول الله : ٢٣
أم كلثوم بنت عقبة : ٤٤
أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب : ٩
اناستاسيوس : ٢٣٩ ، ٦٦
أنس بن مالك : ١٥ ، ٣٥ ، ٢٢٤
أنس بن هلال النخعي : ٨٠ ، ٨١
أبصار : ٤٣ ، ٤٤ ، ٧٣ ، ١٦٩ ، ٨٥
٢٢٤ ، ٢٥ ، ٣١٧ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤٤
الانطاق : ١٧٢
أبطوني : ٢٧٧
إياد : ١٧٢
- ٩٥ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩٠ ، ٨٨ ، ١٨٧
١٨٤ ، ١٦ - ١٢٤ ، ٢١٠ ، ٦٦ - ٣٤ ، ٢٠١
٢٩ - ٢٧ ، ٢٤
أبو العلاء المعري : ٢١٤ (هامش)
أبو عمر ذكوان : ١٩
أبو العرج الملقب : ٢٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨
أبو لؤلؤة فيروز : ٤٩ ، ٣٠٣ ، ١٥
٢٨ ، ٢٤
أبو محجن الثقفي : ٧٧ ، ٧٩ ، ١٥٠ ، ٥٢
أبو موسى الأشعري : ٣٦ ، ١٤٥ ، ١٤٥
٨٤ ، ٨٣ ، ١٧٨ ، ٦٧ ، ٦٧ ، ٦٤ ، ٦٣
١٠ ، ٣٠٦ ، ٩٨ ، ٩٦ ، ٩٢ ، ٩٠ ، ٢١٩
أبو هريرة : ٤٦ ، ٢٨٠
أبو هياج بن مالك : ١٧٩
أبي بن كعب : ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٢٢٥
الأحف بن قيس : ٢٦ ، ٢٦ ، ٢٨٥
٢٠١ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٨٩
الأرطوبون : ١٩٠ - ٩٢ ، ٢٠٩ ، ٢٨٤
أرمانوسة : ٢٣٨ ، ٣٩
الأرمن : ٣١٠
الأزد : ٩٠
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم : ٣١
أسماء بن زيد : ١١ ، ٤٤
أسماء بن قتادة : ٣٠٤
الأسيدان : ٣٠٦
أسفندياذ : ٣٠٨
الأسكندر : ٩٠ ، ١٨٤ (هامش)

- أيرقنج (واشنجتون): ٢٣٦٠٥٥ (هامش) ٥٤٠١٥٣
بنو أمية : ٣١٩
بنو تميم : ١٤٦
بنو حنظلة : ٢٨٣
بنو زريق : ٢٢٨
بنو زهرة : ١٥ : ٢٢٨
بنو سليم : ٤٢
بنو عيس : ٣٠٤
بنو عجل : ٨١
بنو المدوية : ٢٨٣
بنو عدي بن كعب : ٣١٦٠١٤٠٩
بنو العم : ٢٨٣ - ٢٨٥
بنو عرف : ٢٤٦ (هامش)
بنو غمار : ٢٠
بنو فراس : ٢٢٨
بنو هاشم : ١٥ : ٤٣٠ : ٢١٠٣١٩
بنو هوازن : ٢٢
بنيامين : ٢٣٦ : ٥٤
همن : ٧٥ - ٧٩ : ١٣٣ : ٤٥ : ٤٨
بوران : ٧٤ : ١١٠ : ٦٣
بولس الرسول : ٩٠
اليرزان : ١٣١ : ٤٠ : ٤٨
(ت)
الترك : ٢١٢ : ١٣
تغلب : ١٧٢
توخ : ٨٦ : ٩١ : ١٨٢ : ٢١٥
توما أو توماس : ٩٨ : ١٠٠ : ٦٣
تيودرا البطريق : ١٨٨
أيوب بن رزاح : ٨٦
(ب)
بتلر : ٢٤١ : ٥١٤٤٤ : ٥١٨ (هامش) ٢٥٨
٦٠ - ٦٢ : ٧٦٦ : ٧٧٦
بحيلة : ٧٩ : ١١٨ : ٤٤٠ : ٧٣٠٥٥٠
البحترى : ٨٤ (هامش)
البخاري : ٤٩
بخت نصر : ١٦١ (هامش) ٢٩٨
براء بن مالك : ٢٩١ : ٩٢٠ : ٩٤
برزة بنت رافع : ٤٨
برسيغال : ١٧٦
بسر بن أبي رهم : ١٢٧
بسطام : ١٦٢
بشر بن عصمة : ٩٤
البشير بن الخصاصة : ٨٣
بشير بن كعب : ٩٣
بصهري : ١٦٢
البطالسة : ٢٧٧
بكر وائل : ١٧٧
بكير بن عبد الله اللبي : ٣١٠ : ١٢٠
البلا ذرى : ٩٧ : ٢١٤ : ٧٦
بلال : ٣٧
السدوان : ٤٨ : ٩٤٨
بنو أسد : ١١٧ : ٤٥٠ : ٤٧٦ : ٤٠٤٠٥٥٠
بنو امرائيل : ٣٢

الحارث بن ظبيان : ١٤٨
الحارث بن عمرو : ٨٦
الحارث بن هشام : ٣٠٠ ، ٢١٨
الحارث بن يزيد العامري : ٧٥٠ ، ١٤٧
حارثة بن حذيفة : ٢٦٠
حبيب بن صهبان : ١٦٧
حذيفة بن أسيد الغفاري : ٧٨٠ ، ١١٢
٣٠٠ ، ٢٩٩ ، ٢٠٠ ، ٣٠٠
حرقوص بن زهير : ٢٨٦ - ٩٠٠ ، ٨٨
حرملة بن مريظة : ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٩٠٠
حسان بن ثابت : ٣٢٨ ، ٢١٧ ، ٥٤
حسن ابراهيم حسن : ٢٧٧
الحسن بن علي : ٣٠٤
حسنة أم شرحبيل : ٢٢٨
الحسين بن علي : ١١١ (هامش)
٣٧٠ ، ٢٦٠ ، ٢٣٠ ، ٩٠ : حصة بنت عمر بن الخطاب
الحكم بن عمير النخعي : ٣٠٢
حلوان بن عمران : ١٦٥ (هامش)
جمال بن مالك : ١٤٤ ، ٥٦ ، ٥٤
حمزة بن عبد المطلب : ١٩ ، ١٦
حملة بن حوية : ١٢٧
حميضة : ١٣٢
حمنة بنت هاشم : ٨
حظله بن الربيع : ٥٦ ، ١٢٧
الحواري بن العمان : ٨٦
حويرث بن ثقيف : ٤٥
(خ)
خارجة بن حذافة : ٢٤٥

تيود سيوس : ٧٧٠ ، ٢٣٩
تيودور القائد : ٦٧٠ ، ٦٦٠ ، ٦٣٠ ، ٦١٠ ، ٢٣٩
تيوفيل (الاسقف) : ٢٧٨
(ث)
ثقيف : ٧٦
(ج)
جانان : ٧٩٠ ، ٧٨٠ ، ٧٤٠
جابر بن عبد الله : ٢٢٥
جابر الاسدي : ١٣٢
جاحل الصدقي : ٧٤٠ ، ٢٧٢
الجارود العمدي : ٢٨٠
جالبيوس : ٢٣٧ (هامش)
الجالبيوس : ٦٠٠ ، ٥٧٠ ، ٤٥٠ ، ٤٠٠ ، ٣٣٠ ، ١٣٢
جبريل : ١١
جدة بن الاعم : ٨٦
جبر بن مطعم : ٣٢٤ ، ٤٣
الجراح بن سان الاسدي : ٣٠٤
جرير بن عبد الله : ٢٩٩ ، ٨٢ ، ٨٠ ، ٥٧٩
جزء بن معاوية بن حصين : ٩٠٠ ، ٢٨٨
جعدة بن جبر : ٢١١
جفينة : ٢٨ - ٣٢٦
جلال الدين السيوطي : ٢٤٢ (هامش)
جميلة بنت ثابت : ٩
جوتنيانوس : ٢٧٨
جيون : ٢٧٨ (هامش) ، ٢٦٥ ، ١١١ ، ٩٧
(ح)
الحارث بن حسان : ٧٣٠ ، ١٢٧

سليمان بن ربيعة الباهلي : ١٢١ ، ٣١٢
سليمان الفارسي : ١٢٢ ، ٦٤ ، ٧٨
سليمة بن وردان : ٢٧٤
سلي بن القين : ٢٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٠
سلي زوجة المثني : ١٢٠ ، ٤٦ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٠
سليح : ٩٠
سليط بن قيس : ٧٣ ، ٧٧ ، ١٤٨
سليمان عليه السلام : ٩١
سهل بن عامر : ٨٩
سهل بن عدى : ٢٩١
سهيل بن عدى : ١٨١ ، ٨٢ ، ١٠١ ، ٣٠١ ، ٦٢٢
سهيل بن عمر : ٢١٨
سواد بن مالك التميمي : ١٢١ ، ٣٢
سوريون : ٩٢
سومات : ٨٦
سويد بن مقرن : ٣٠٩
سويداس : ٢٣٧ (هامش)
سياوخش بن مهران : ٣٠٨ ، ٩
(ش)
شرحيل بن حسنة : ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٣
٧ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٤ ، ٩٤ ، ٢١٨ ، ٢٧٠ ، ٢٨٤
شرحيل بن السمط : ١٢١ ، ٦٢
شرح بن الحارث السكدي : ١٠١ ، ٦١ ، ٦١ ، ٢٣١
شريك بن سمي : ٢٦٢
شطا : ٢٧١
الشفاء بنت عبد قيس : ١٤
شنس الرومي : ١٨٨

زيد الاكبر : ٩
سزيق بنت جحش زوجة رسول الله : ٣٨ ، ٤٨
سزيق بنت عمر بن الخطاب : ٩
سزيق بنت مظعون : ٩
الزبني : ٣٠٩ ، ١٠
(س)
سارية بن الحصين : ٥٢
سارية بن زيم الكنتاني : ٣٠٩
سالم غلام أبي عبيدة : ١٩٧
سالم مولى أبي حذيفة : ٢٢٤
السائب بن الأقرع الثقفي : ٣٠٣ ، ٦
سبايون : ٩١
سراق بن عمرو (ذوالنون) : ٣١٠ ، ١٢
سعد بن أبي وقاص : ١٤ ، ١٢ ، ١٤
١٧ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٥
٣٩ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٧٩
٨٣ ، ٢٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٣٠٤ ، ٥٦
١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٢١
سعد بن عبيد : ٧٣
سعد بن مالك - اطر وسعد بن أبي وقاص ،
سعد بن معاذ الأشملي : ٤٣
سعيد بن زيد : ١٥ (هامش) ٣١٩ ، ٥٠
سعيد بن المسيب : ٣٢٦ ، ٢٧
سفيان بن عبد الله الثقفي : ٥٠
سفيان بن معمر بن حبيب : ٢٢٨
سقلار بن مخراق : ١٠٧
حلامة بن وقتش : ٢٩١

طلحة بن عبيد الله : ١٦ ، ٣٥ ، ١١٤

٣١٧ ، ١٨ ، ٢١

طليحة : ١١٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٦

طى : ١١٨

(ع)

عائكة امة زيد بن عمر زوجة عمر بن

الخطاب : ٥٣

عائكة بنت زيد : ٩

عاد : ٩٠

العاض بن وائل السهمي : ١٤

عاصم بن دافع أبو الحريبا : ١٧٩

عاصم بن عمر بن الخطاب : ٩ ، ٧٩

٨٢ ، ١٢٧ ، ٥٤

عاصم بن عمرو التميمي : ١٢١ ، ٣٢٦ ، ٣٠٦

٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٣٠٢

عامر بن حثمة : ٩٤

عامر بن ربيعة : ٢٧

عائشة زوجة رسول الله : ١٩ ، ٣١٦ ، ٢٨٤

عبادة بن الصامت : ٢٤٢ ، ٤٦ ، ٥١

العباس بن عبد المطلب : ٣١ ، ٣٣ ، ٤٤

١١٣ ، ٢١٦ ، ١٧ ، ٣١٥

عبد الله بن أبي ربيعة : ٥٠ ، ٣١٩

عبد الله بن أبي عقيل : ٣٠٢

عبد الله بن الأرقم : ١٧١

عبد الله بن جحش : ٢٩

عبد الله بن ذي السهمين الخثعمي : ١٢١

عبد الله بن عتبان : ١٨١ ، ٣٠٢

شهاب بن حرقة : ٦٧

شهاب بن المخارق : ٣٠٢

الشهارجة : ١٧٢

شهر براز : ٢٣٢ ، ٣١٠ ، ١٣

شهرك : ٢٨٢

شهر يار بن جازويه : ٣٠٦

شهر يار بن كسرى : ١١٠ ، ٢٩٦

الشوام : ٢٣٥

شيري : ١١٠

(ص)

صفرونيوس : ١٩٧ (هامش)

صفوان بن المعطل : ١٨٥

صفية بنت الخطاب : ٢٧٩

صفية بنت عبد المطلب : ٤٤

صهيب بن سان : ١٨ ، ٥٠ ، ٣٢٨

صيبي بن علة بن شامل : ٩٤

(ض)

ضبة : ٦٣

الضحاك : ١٥٩ (هامش)

ضرار بن الأزور : ٩٨ ، ١٠١ ، ٧٤

ضرار بن الخطاب : ١٥٨ ، ٦٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٠

الطبرى : ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٨ (هامش) ٧٩

٩٧ ، ١٠٠ ، ٣٤ (هامش) ٥٧ ، ١٣٩

٥٩ ، ٦٧ ، ٢٢٠ ، ٥٧ ، ٥٨ (هامش)

٢٧٦ ، ٨٧ ، ٣٠٠ ، ١٩ ، ٢٢

(ط)

الطفيل بن عمر الدوسي : ١٨

- عبد الله بن زيد بن الحصين الخطمي : ٧٧
عبد الله بن سلام : ٥٤
عبد الله بن عباس : ١٨٥
عبد الله بن عبد الله بن عثمان : ٧٤٣٠٦
عبد الله بن عمر بن الخطاب : ٥٠٠٩
٢٨٤١٧٤٣١٦٤٢٩٩٤٥١
عبد الله بن عمرو : ٦٣٤٢٦٢
عبد الله بن عمير الاشجعي : ٣٠٢
عبد الله بن قرط : ١٢٤٢١١
عبد الله بن قيس : ٣٠٧٤٢٣٠
عبد الله بن مرثد الثقفي : ٧٨٤٧٦
عبد الله بن مسعود : ٢٢٤٤٤٣٨٤١٨
٣٢١٤٩٩ (هامش)
عبد الله بن المطاع : ٢٢٨
عبد الله بن المعتم : ٢٧٢٠٨٠٤٦١٤٤١٤١٢١
عبد الله بن هيرة : ٢٦٠
عبد الله بن ورقاء : ٣٠٧
عبد الله بن وهب الراسبي : ١٧٣
عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق : ٢٨-٣٢٦
عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي : ١٣-٣١٠٤١٢٢
عبد الرحمن بن عوف : ١١٣٤٥٠٤٣٥
٣١٥٤٢١٤٢٠٧٤٨٦٤٧١٤١٤
٢٨٤٢٤٤٢٢-١٧
عبد الرحمن بن معاذ : ٢٢٠
عبد الرحمن الأصغر : ٩
عبد الرحمن الأكبر : ٩
عبد الرحمن الاوسط (وهو أبو الخير) : ٩
عبد عمرو بن يزيد بن عامر الجرشى : ٩٤
عبد اللطيف البغدادي : ٢٧٦
عبد مناف : ١١٥ (هامش)
عبد الوهاب عزام : ١٣٣
عود : ١٤٠
عبد الله بن عمر بن الخطاب : ٣٢٢٤٩
٢٨-٢٦
عبيد بن الحون بن المطلب : ٢٢١
عتاب بن أسيد : ١١٢
عتبة بن غزوان : ٨٩-٨٦٤٨٣٤٢٨٢٤١٧٧
عثمان بن أبي العاص الثقفي : ١١٢٤٥١
٣٠١٤٨٥٤٨٢
عثمان بن عفان : ٤٣٤٢٨٤٣٥٤٢٣
٢٩٤٢٥٤٢٠٠٤١٣٠٥١٤٥٠٤٤٨
عثمان (هامش) : ٢٨-٢٦٤٢٤٤٢٢٠٢٠٤١٧٤٣١٥
عثمان بن مطعون : ٧٩٤٢٢١
عدي بن سويد : ١٢٧
عرفجة بن هرثمة : ٢٩١٤١٧٢
عروة بن زيد الخيل : ١٩٣٤٧٧
عروة بن مسعود : ١٢١ (هامش)
عصمة : ٣٠٧٤٨٢٤٨٠
عطارد بن حاجب : ١٢٧
عقيل بن أبي طالب : ٤٦٤٤٣
عك (قبيلة) : ٢٣٦
الملا بن الحضرمي : ٨٢٤٨١٤٢٧٩٤١١٢
علقمة بن حكيم الفراسي : ١٩٠
علقمة بن الضر : ٣٠٢

عمرو بن مقرن : ١٦٦
عمرو بن النعمان : ٨٦
عمرو بن هشام (أبو جهل) : ١١ ، ١٦
عمار بن ياسر : ٣٠٦ ، ١٩
عمير بن سعد : ٥٠
عميلة الفراري : ١٦٠
عياش بن أبي ربيعة : ٢٠ ، ٢١
عياض بن عمر : ٩ ، ٩٤
عياض بن غم : ٧ ، ١٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٢١٠
(غ)
غالب بن عبد الله الأسدي : ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٦
غالب الوائلي : ٢٨٣ - ٨٦
(ف)
الفاذوسفان : ٦ ، ٣٠٦
العاروق - اطره - عمر بن الخطاب ،
فاطمة بنت رسول الله : ٩
فاطمة بنت عمر بن الخطاب : ٩
فالغ بن هور : ٨٦
ورات بن حيان : ١٢٧ ، ٧٣
المراعاة : ٢٦١
الفردوسي : ١١١
الفرس : ٧٣ ، ٧٦ - ٨١ ، ١٣ ، ١٨٦
٢٠ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٣
٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٧ - ٦٩
٧٠ ، ٩٧ (هامش) ، ٢٢٠ ، ٢٢١ (هامش)
٢٣١ ، ٣٣ ، ٤٢ ، ٧٠ ، ٩٨ - ٣٠١
٤٤ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٢٥

علي بن أبي طالب : ٣٠ ، ٢٠ ، ٤٣ ، ٣٥
٨٥ ، ١٦٨ ، ٧٦ ، ٢٠٠ ، ١٤ ، ٣٠ ، ٢٥
٧٨ (هامش) ، ٣١٧ ، ١٨ ، ٢٠٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٨
علي مبارك ناشا : ٢٧٣ ، ٢٧٤
عمارة بن مخش : ٩٤
عمالة : ٩٠
عمر بن الخطاب : ٦ ، ٤٦ ، ٤٨ - ٦١
٦٤ ، ٦٧ - ٦٩ ، ٧١ ، ٧٧ - ٧٩ ، ٨٠
٨٣ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٦ - ٢٦
٤٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ١٠٠
١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨
٣٢ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٥٦
٦٠ ، ٦٧ - ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ٨٦
٩٠ ، ٩٢ - ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣
عمر بن سعد : ١٨٣ ، ٨٤
عمر بن قتادة : ٣٣
عمر بن مالك : ١٧٤ ، ٧٥ ، ٨٠
عمرو بن الحبيب بن عمرو : ٩٤
عمرو بن حريث الخزومي : ٣٠٣
عمرو بن العاص : ٢٨ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٩٣
٩٥ ، ١٠١ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٩٠ - ٩٣ ، ٩٧ ، ٢٠٧
١٦ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٥ - ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ - ٥٣
٥٥ - ٩١ ، ٣٢٢ ، ٢٧
عمرو بن عتبة بن نوفل : ١٨٠
عمرو بن قيس : ٢٢٦
عمرو بن كليب : ٩٤
عمرو بن مسعود كروب : ١١٧ ، ٢٧
٣٢ ، ٣٣ ، ٤٤

كليب بن وائل السكبي : ٢٨٣ - ٨٦

كنانة (قبيلة) : ٢٠ هاشم

كندة (قبيلة) : ١٤٥ - ٢١٢

الكندي : ٢٧٦

كونستانس : ٢٦٦

كيلوبانزه : ٢٧٧

(ل)

لبدة بن عامر بن خثعم : ٩٤

لبدة جارية بن مؤمل : ١٧

ليلي الأختيلية : ١٨٩

لحية أم ولد : ٩

(م)

مارتيا : ٢٦٦

مارية زوجة رسول الله : ١٧٦

مالك بن أنس : ١٨٥ (هاشم)

مالك بن حبيب : ١٧٤

مالك بن حير : ٨٦

المتى : ٧٢ - ٧٧ - ٧٤ - ٧٧ - ٨٣ - ١١٠

١٢ - ١٧ - ٢٠ - ٢٢ - ٤٧

مجاهد بن مسعود السلمي : ٣٠١

مجزأة بن نور : ٢٩١ - ٩٤ - ٩٢

معلم : ١٦٨ - ٦٩

محمد صلى الله عليه وسلم : ١١ - ٢٣ - ٢٥

٢٨ - ٢٩ - ٣١ - ٣٢ - ٣٨ - ٤٣ - ٤٤

٤٦ - ٤٧ - ٥١ - ٥٥ - ٥٨ - ١١٤ - ١٥٠

(هاشم) ١١٦ - ١١٦ - ٣٦ - ٤٧ - ٧٦ - ٩٩ -

٢٠٣ - ٩٦ - ١٦ - ١٩ - ٢١ - ٢٢ - ٢٤

الفضل بن العباس : ٢١٧ - ٢١٨

فكيبة أم ولد : ٩

الفيضان : ٨٠ - ١٠٤ - ١١٠ - ١٢٤ - ١٤٠ - ١٦٢ - ١٩٩ - ٢٠١

(ق)

قابوس بن قابوس : ١٢٠

القط : ٢٣٥ - ٢٣٩ - ٣٩ - ٥٢ - ٥٤ - ٥٧

٥٩ - ٦٧ - ٧١ - ٧٣

قدامة بن مظعون : ٢٧٩ - ٨١

قريش : ١٠ - ١١ - ١٩ - ٢٠ - ٣٣ - ٤٣

٤٦ - ٩١ - ٩٦ - ١٨٦ - ١٩٦ - ٢١

القزويني : ٨٥

قس بن ساعدة الايادي : ٦٣ (هاشم)

قسطنطين (قائد) : ٢٦٦

قسطنطين بن هرقل : ٢٣٨ - ٢٦٦ - ٣٧

قضاءه : ٨٣ - ٨٦ - ١١٨

القمقاع بن عمرو : ٩٦ - ١٤٨ - ٥٠

٥٣ - ٧٠ - ٨٠ - ٨٢ - ١٠١ - ٢٤

قيس بن أبي العاص السهمي : ٢٣٩ - ٥١

قيس بن المكشوح المرادي - انظر

« قيس بن هيرة »

قيس بن هيرة : ١٣٢ - ٥٣ - ٩٤ - ٩٢

(ك)

كسرى : ٤٥ - ١١٠ - ١٢ - ٦٥ - ٦٨

٧٨ - ٧٨ - ٢٣٢ - ٥٧ - ٨٦ - ٣٠٣

كعب بن مالك : ٢٢٧

كعب الاحبار : ٢٢٩

كعب بن سور الاسدي : ٢٣١

٢٤٤١٥٠٣٠٣٤٩٩٤٢٩٤٦٧٨٠٧٧٤١٣٩
 المقرب بن ربيعة : ٩٧٥٢٩٦
 المقداد بن الاسود : ٢١٠٣١٩٠٧١٠٧٠٠٤٤٣
 المقریزی : ٢٣٧٤٢٠٨ (هامش) ٢٤٢
 (هامش) ٢٥١ (هامش) ٧٤٠٧٢٤٢٥٩
 المقوقس : ٤٤٤٤٢٤ ٤١٤٣٩ ٤٢٣٨
 ٧٠٤٦٧٤٦٦٤٥٦
 مكثف : ٢٩٧
 مئاف بن صياد : ٢٩٧
 المدر بن عمرو : ٣٠٩
 المهاجرون : ١١٥٠٧٣٤٤٤٤١٥ (هامش)
 ٢٧٤٢٣٤٣١٩٤٨٣٤٣٠١٤٨٥٤١٦٩
 مهران بن بهرام الرازي : ١٣١
 مهران الحمداني : ٨١٤٨٠
 المهيرون : ٢٦٣
 المهلب : ٢١٨
 مهمل بن زيد : ١٩٤
 موير : ٢٢٠٤٢١٦٤١٥٩٤٥٤ (هامش)
 ٢٣٦ (هامش)
 ميسرة بن مسروق العبسي : ١٥٤٢٠٠
 ميناس : ١٨٧
 (ن)
 نائليون : ٢٣٨ (هامش)
 نافع بن الحارث : ٥٠
 السطيون : ٩٠
 بجران : ٢٢٢
 النحام : ١٤

٢٧٩ (هامش) ٤٦٠٣٠٤٢٨٤٢٢٦
 ٢٨٤١٧٤٣١٤٤٩٩٤٨٣٤٢٨٠
 محمد بن عبيد : ١٨
 محمد بن مسلمة : ٥٤٣٠٤٤٨٠٤١٧٩
 مخزومة بن نوفل : ٤٦٤٤٣
 مذعور بن عدى : ٩٦
 مردانشاه : ٧٩
 مرضى بن مقرن : ٣١٢
 المرقال بن هاشم بن عتبة : ٩٤٤١٩٣
 مسروق بن فلان العكي : ١٩٠
 مسعود أخو المتى : ٨٢٤٨١
 المسعودي : ٨٦
 مسلمة بن مخلد : ٦٥٤٦٤٤٢٤٣
 المسيب بن نجيه المزاري : ٩٤٤١٩٣
 المسيح عليه السلام : ٣٢٤٢٠٨
 المسيحيون : ٢٣٥
 المضارب : ١٧٣
 مضر : ٤٨٤١١٧
 معاذ بن جبل : ٢٥٤٢٠ - ٢١٨٤٧٧
 ٤٦٤٢٨ (هامش)
 معاوية بن أبي سفيان : ١٨٩٤٨٦٤٥٠
 ٣٠٤٢٨٤٢٠٤٢٠٧٤٩٠
 معاوية بن خديج : ٧٠ - ٢٦٨
 المعلى بن طريف مولى المهدي : ٢٠٧ (هامش)
 المعنى بن حارثة أخو المتى : ٢٧٤١٢٠
 المغيرة بن زرارعة بن الباش : ٢٨٤١٢٧
 المغيرة بن شعبه : ٢٧٤١٢١٦٦٤٤٠٥٠

مود عليه السلام : ٩٣
هستاسب : ٢٨٢ (هامش)
(و)
الواقدي : ١٠٤ (هامش) ١٠٥ ، ٥٧٤٦٤
٤٢٤٣٨٤٢١٣ (هامش) ٢٠٦٤٦٦٤٥٨
وردان مولى عمرو بن العاص : ٢٦٢
الوليد بن عقبة : ١٨٢
الوليد بن المغيرة : ١٧
الوليد بن هشام بن المغيرة : ٤٣ ، ٤٥
(ي)
ياقوت : ٨٤ ، ٩٢ ، ٢١٨ ، ٢٧٦ ، ٢٩٤
(هامش) ٨٤ ، ٢٦١ (هامش) ٣٠١ (هامش)
بردحرد : ١١٠ ، ١٢٤ ، ٢٦٤ ، ٢٨٤
٧٠٤٦٩٤٦٥٤٦٤٤٥٣٤٤٠٤٣٥
٨٠٣٠٤٤٩٥٤٢٩٠
يزيد بن أبي سفيان : ١٠٧ ، ٨٥ ، ٨٨
٢٨٤٢٧٤٢٠٤١٨٤١٤٤٢٠٦٤٩٥٤٩٢
يزيد بن حبيب : ٢٦٠
يزيد الخير - أنظره يزيد بن أبي سفيان
اليحافة : ٢٥٣ ، ٥٤ ، ٧٥
اليحقوني : ٢٧٦
يعلى بن منية : ٥٠ ، ١١٢
يقظان بن عابر : ٩٢
اليحيون : ٩١
اليهود : ٣١ ، ٣٥ ، ٣٠١ (هامش)
يوحنا أسقف قيقوس : ٢٦٢
يوحنا البحري : ٢٧٥ - ٧٧
يوقنا : ٢١٣
يوليوس قصر : ٢٧٨

النخع : ١٤٩
نرسی : ٧٥٤٧٤
نسطاس بن نسطوس : ٩٥
نصر بن حجاج : ٤٢
النعمان بن عمرو بن مالك : ٨٦ ، ٩٠
النعمان بن مقرن : ١٢٧ ، ٢٩٠ ، ٩١٤
٣٠٠ ، ٩٦
نعيم بن عبد الله : ١٤
نعيم بن مقرن : ٢٨٣ ، ٨٤ ، ٣٠٢
١٠٤٩٤٧
النمر : ١٧٢ ، ٨٠
(ه)
هاشم بن عتبة بن أبي وقاص : ١٤٨ ، ٥٣
٨٣٤٧٤٤٧٣٤٧٠٤٦٩٤٦٢
الهاموك : ٢٧٠ ، ٧١
الهرند : ٣٠٢
هريس : ١٠٥
هرقل : ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ٣٤ ، ٦٤١
٣٢٤٣١٤١٥٤٢٠٩٤٨٨٤٧٤
٦٥٤٥٣٤٥٢
هرمز : ١٤٤
الهرمزان : ٤٦ ، ١٣١ ، ٦٢ ، ٢٨٣
٢٨٤٣٢٥٤٩٦٤٩٤٤٩٢٤٩٠٤٨٨
هشام بن العاص بن وائل : ٢٠ ، ٢١
هشام بن المغيرة : ٢١
هلال بن علقة : ١٥٧ ، ٥٨
هند بن عمرو الجلي : ٣٠٩
هند بنت الوليد : ٢٨٠
هوازن : ١١٢ ، ١١٤

تصحيح الخطأ

صواب	خطأ	سطر	صفحة
خوزستان	خورستان	٢٠	٤٩
زاعت	زاعت	١	٦٤
شهاب بن حرقة	شهاب ابن حرقة	١١	٦٧
الققعقاع بن عمرو	الققعقاع بن عمر	٣	٩٦
دحول أبي عبيدة	دحول أبو عبيدة	٨	١٠٤
على اليمين	على اليمين	٩	١١٢
يمحو	يمحوا	١٢	١١٥
بيته	بيت	١٠	١٣٣
وعلى كل حال	وعلى كل حال	١٤	١٥٩
باذن	بأذن	١٥	١٥٩
بهرسير	نهرسير	٨	١٦٣
وكانوا	وكانوا	٩	١٧٢
إحداهما	أحدهما	١٤	١٧٦
نصيدين	نصيين	١٨	١٨٢
حاذاهم	حاراهم	١٤	١٩٧
وعاد البطرق	وعلى البطرق	١٥	١٩٧
إقامة	إقامه	٦	٢٠٩
دامس	رامس	٩	٢١٢
أيرفتج	أرفتج	٢٠	٢٢٦
تيورسيوس	تيورسيوس	١٩	٢٣٩
برسيوليس	برسيوليس	١٦	٢٨٢
خوزستان	خوزستان	٤	٢٨٤

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٨٥	١٩	(٢)	(١)
٢٩١	١	أبعث	أبعث
٢٩١	٣	عرفجة بن هرثمة	عرفجة بن هرثمة
٢٩٤	١٥	المغيرة بن سعبة	المغيرة بن سعبة
٢٩٧	١١	بعث	بعث
٣٠١	٩	أردشير	أردشير
٣٠١	١١	سارية بن زعيم	سارية بن زعيم
٣٠١	٢١	سجستان	سجستان
٣٠٢	٢	مكران	الى مكران
٣٠٤	١٩	و بنو أسد	و بنو أسد

أطلبوا هذه المطبوعات وغيرها من المكتبة المحمودية التجارية بالأزهر بمصر

الدر المثقوب في أسرار الغيوب

الطبعة الثانية سنة ١٩٣٥ تسعة رسائل للعالم الروحاني الكبير الشيخ محمود عبد الباسط الطوخى العالكي . ثمنه ٢٥ قرشا بعد أن كان ثمنه واحد جنيه .

سراج الملوك للامام الطرطوشي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ مقاس الكامل .
طبع في آخر سنة ١٩٣٥ في أكثر من ٤٠٠ صحيفة لا يستغنى عنه عالم ولا واعظ يحوى ٦٤ بابا في العلم والأدب والاجتماع والأخلاق والتربية والحكم الإسلامية والسُنن الكونية والعظائم الدينية الخ . . . بوب وعلق على بعض كلماته أديب يشار إليه في هذا العصر * ثمنه ٢٠ قرشا صاغا مجلد بالقماش المذهب

أطلبوا قائمة فهرس الكتب العموى يرسل لكل طالب مجاناً